الجاسوسية

بقلم المستشار

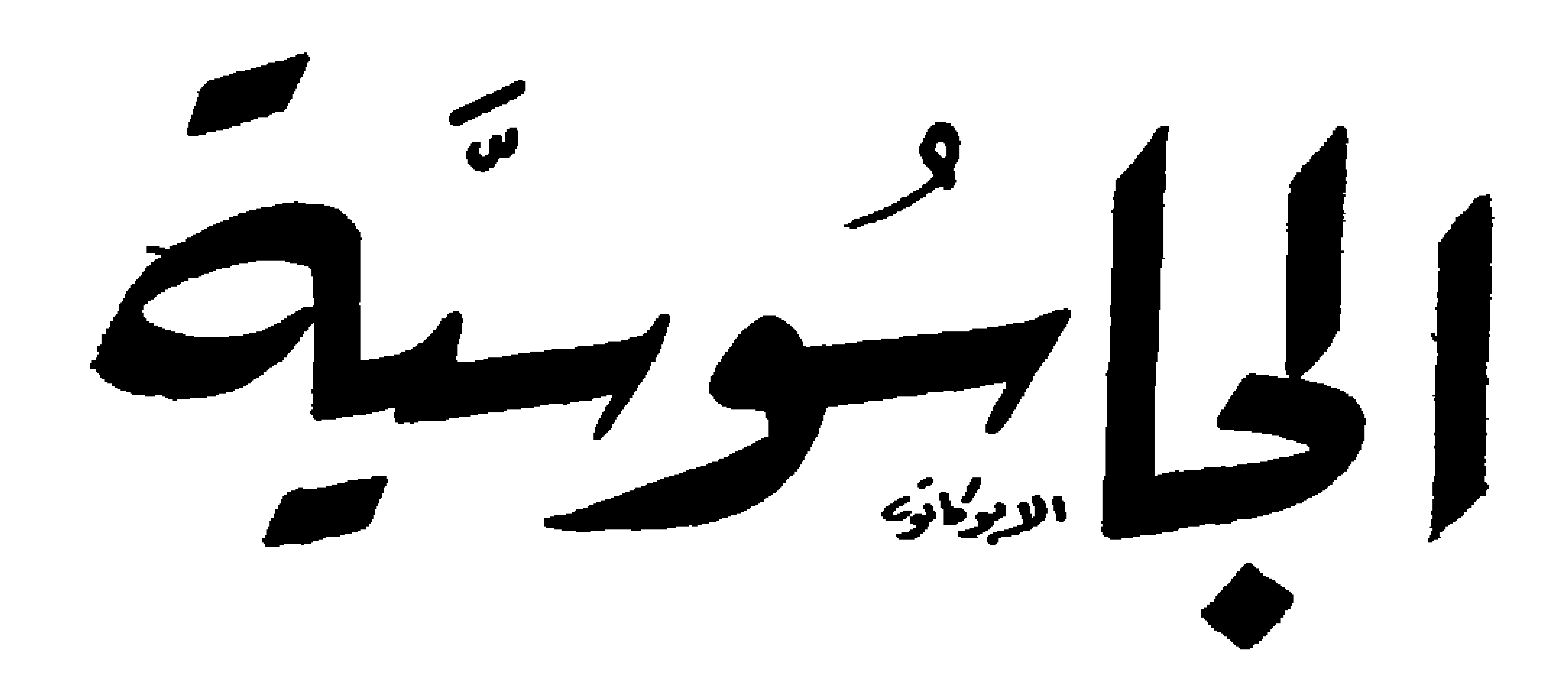
محمد كامل البهنساوي

رئيس محكمة الاستئناف العليا

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد بالقاهرة



قصتها وعلاقتها بالمجتمع
وبأمن الدولة وبالقانون

بقلم المستشار

محمد كامل البهنساوي

رئيس محكمة الاستئناف العليا

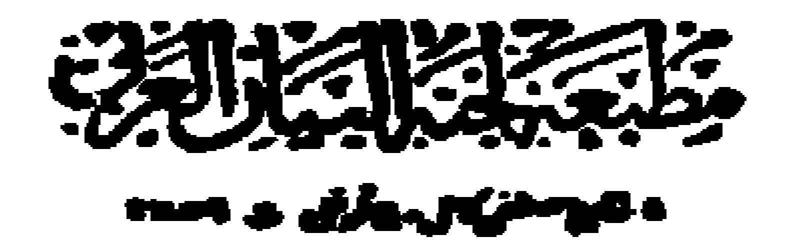
١٩٦١

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

"بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ"

"صدق الله العظيم"

" انه فى سنة ١٩٥٨ بزغ أمل جديد على أفق الشرق .
دولة حديثة . انبعثت من قلب دولة كبرى . ليست دخيلة
فيه ولا غاصبة . ليست عادية ولا مستعدية . دولة تحمى ولا تهدد .
تصون ولا تبدد . تقوى ولا تضعف . توحد ولا تفرق . تسالم ولا تفرط .
تشد أزر الصديق . ترد كيد العدو . لا تتحزب ولا تتعصب . لا تنحرف
ولا تنحاز . تؤكد العدل . تدعم السلام . توفر الرخاء لها ولمن
حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق" .

جمال عبد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدى هــــذا الكتاب

« إلى أولئك الذين عاشوا بعيدين عن الأضواء . لينيروا السبيل أمام البشر ! ! » .

« إلى أولئك الذين رسَمُوا معالم الطريق دون أن يفكروا فى أنفسهم . أو يَعْنُوا برسالتهم ! ! » .

« إلى الجنود المجهولة فى تاريخ البشرية . الذين بذلوا أرواحهم فى سبيلها لتصلَ إلى أهدافها ! ! » .

« إلى الأرواح الهائمة فوق ثرى أوطانها . وقد افتدته بالدم المُهرَاقْ والمهج الغالية . وهى تجود بأنفاسها الأخيرة فى إيمان وصبر وجلد ! ! » .

« إلى النفوس الكبيرة التى اتسعت آفاقها لكل الناس وامتدت ظلالها فى جميع الأجواء . وملأها حبها للإنسانية إيثاراً وعزما وإقداما ! ! » .

« إلى الذين يضحون ويعملون للأمن والسلام أبدا ! ! » .

« إلى كل هؤلاء وإلى غيرهم ممن يعيشون فى غير أثرة وأنانية ومنّ !! »

أهدى هذا الكتاب ؟

القاهرة مايو سنة ١٩٦١

محمد كامل البهنساوى

تقـــدمة

إن معنى التقدم الذى ننادى به .

ومعنى العدالة التى نقيمها والتى تنشدها القوانين .

ومعنى القوة التى نشير إليها دائما والتى نريد أن تصل لها الجمهورية العربية المتحدة .

ومعنى الثقة المتبادلة التى نريد أن نخلقها بيننا وبين الدول جمعاء .

كل هذه المعانى إنما تحمل معنى واحداً هو جماع كلمة السلام فى العالم .

كل ذلك نأمله باسم الملايين من أبناء أمتنا العربية المجيدة

وهذا هو ما يدفع كل واحد منا إلى أن يتكلم وأن يكتب ويضع نصب عينه أمراً واحداً وغرضاً واحدا .

هو رعاية وصيانة حقوق جمهوريتنا وتقدمها حتى لايستغلها المستغلون أو ينحرف بها المنحرفون أو يضارب بها المتهزون .

إن من شأن التأثر العميق بالأحداث وما يمر بالإنسان فى حياته وعمله أن يتسع الأفق الفردى .

وأن الأحداث التى مررت بها وما اتصل بها من قضايا نظرتها وقضيت فيها وأثر هذه القضايا وأمثالها فى المحيط الخاص والعام دفعتنى إلى أن أروى ما لاحظته وما درسته وأن لا أترك ما مر بى من تجربة وعظة وبالأخص عن

التجسس . قصته وتاريخه وعلاقته بالمجتمع وبأمن الدولة وبالقانون .

وقد أردت بذلك الذى أدونه أن يكون كتابا يقرأه الناس فقد يجدون فيه منفعة أو شيئا جديداً أو متعة . وهذا الكتاب هو استرجاع الماضى الذى مر عن الجاسوسية والجواسيس وهو إنما يعيش أيضاً فى الحاضر وأحداثه وما يستخلص منه للمستقبل .

وإنى أقدم كتابى هذا لكل أولئك الذين يريدون السلام والأمن لهذا البلد الأمين .

إن مستقبل العالم اليوم يتوقف على المواهب الذهنية التى تستخدمها أمة ضد أخرى للحصول على المعلومات الجديدة عنها وتفصيل الاستعدادات الدفاعية فى كل باب .

وقد شاءت الظروف أن أختم عملى فى القضاء الجنائى بالإقليم المصرى بنظر قضايا الجاسوسية الأخيرة التى شغلت الرأى العام مدة من الزمن ليست قصيرة ، كما أن ما قرأته عن التجسس وأساليبه ومكافحته بهذه المناسبة هو الذى يدفعنى إلى أن أعرف المواطنين جميعا بالصورة الشاملة له . لأن فى محاربة الجاسوسية وتعرف أساليبها دور أصيل فى حل المشاكل بين الدول المتصارعة فيه . وفى المحافظة على أمن وحياد بلدنا . وليس هذا كل شىء بل إن التغلب على أزمات العالم اليوم يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعرفة الدقيقة لما يجرى فيه من أحداث . ومن بين السبل فى ذلك الصحف والكتب التى تدرب قراءها على البحث وراء أسرار الشعوب وتنشر التفصيلات الدقيقة للسياسة العليا وخطط الدول ونواياها وإمكانياتها العسكرية والاقتصادية مما يثير فى نفس الإنسان الكثير .

وأن مأساة الصراع بين مخابرات الدول تتمثل في الحرب الناشبة بين الجهات السرية التي لا يعلم المواطنون الكثير عنها .

إننا نسمع هذه الأيام كثيراً عن حوادث طائرات التجسس في روسيا وأمريكا وأبحاث إختراق الفضاء وعن محاكمات الجواسيس في الكثير من البلاد والحكم عليهم وعن هرب العملاء في الشرق والغرب وعن شكوى الحكومات من وسائل التجسس عليها وعن النظريات المختلفة التي يقول بها كل طرف لتأييد وجهة نظره .

فقد صرح رئيس جمهورية أمريكا سنة ١٩٦٠ وقال : —

« ان الدول في حاجة إلى نشاط المخابرات لجمع المعلومات . وجهودها في هذا السبيل يجب أن تظل سرا حتى يمكنها أن تخترق قواعد السرية التي تحيط نفسها بها الدول الأخرى وأن للمخابرات وسائلها في ذلك » .

وصرح في الوقت نفسه وزير خارجية روسيا : —

« انه يجب أن لا تحل وسائل التجسس محل القانون الدولي وإلا حلت العصابات الدولية وأعمال رجالها محل العرف الدولي في العلاقات بين الدول بعضها بالبعض — وأن مثل هذه الوسائل هي اللعب بالنار بطريقة خطرة من شأنه جعل العلاقات بين الدول على شفا الحرب لأن التجسس إن هو ألا تدخل دولة في شئون دولة أخرى للقيام بأعمال عدائية »

فهل حقيق أن لكل دولة أن تتجسس لصالح حماية نفسها ! وهل حقيق أنه لا توجد دولة واحدة ليس لها جهاز ضخم للتجسس ولمقاومة تجسس الدول الأخرى عليها. إذ أنه كلما زادت مسئوليات الدولة وزادت مشاكلها وإتصالاتها زادت حاجتها إلى أجهزة مقاومة التجسس . إلا أن التجسس حين

ينكشف وحين يتم بطريقة فجة سافرة مفضوحة تكون له آثار وخيمة. وحين يتورط أشخاص من أبناء البـــلاد فى ذلك فهى أكثر من فضيحة وهى خيانة عظمى.

أننا اليوم نعيش فى عالم عظيم الاضطراب ولا يمكن لدولة أن تعيش كذلك فى عزلة عن باقى دول العالم ولذا يجب عليها أن تكون لنفسها شخصية وأن تضع القوانين والوسائل لحماية أمنها وأن تقوى نفسها وتجهزها بكل أنواع العلوم والفنون . وأنه بالنسبه لنا فلابد لذلك من الإيمان بالقومية العربية متطلعين إلى وحدة عربية شاملة بين الدول العربية تلك الوحدة التى هى قوام وجودنا ودعامة قوتنا وسلامتنا دون أن تسيء إحداها للأخرى.

وهو كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر : —

« إن تضامن الدول العربية حيوى وضرورى لسلامتها أمام أعدائها ولضمان قدرتها على التوجيه ولحسن تنسيق آمالها . ولكن ذلك كله لا بد أن يكون صادرا عن فهم للواقع العربى. لهذا لا ينبغى أن يكون التضامن العربى مجرد شكل خارجى يخدع شعوبنا ولا يخدع أعداءنا . وكذلك لا ينبغى أن يكون التضامن العربى تجميداً لإمكانيات الانطلاق العربى وقيدا على حركة الطلائع العربية القادرة على الفعل المتطور المتصاعد »

هذا هو ماقصدته من هذا الكتاب من الناحية الاجتماعية .

وأما من الناحية القانونية فتبسيط للمبادىء وشرح لتاريخ الجرائم التى عددها قانون العقوبات وأنواعها وشرح الجزاءات المترتبة عليها حتى يعرفه المواطنون حقوقهم وماعليهم من واجبات نحو أمن الدولة

إن الغد لنا بإذن الله . وسننتصر فى معارك الفكر والتحرير كما انتصرنا فى معارك القضاء على الاستعمار . وإن تغلبنا على أزمات اليوم يرتبط ارتباطا وثيقا بما يجرى فى العالم من أحداث فى كل مكان وعلى الأخص ما يدور وراء الجدران وعلى معرفة التفصيلات الدقيقة للسياسات العليا والإمكانيات العسكرية والاقتصادية وغيرها والبحث وراء أسرار الشعوب لنسير فى ركب الحضارة وفى زعامة سياسة الحياد ذلك الذى لا ترضى عنه الدول الكبرى التى تريد من جميع دول العالم سيما الصغرى أن تتخير الجوانب التى تنضم إليها .

وقل اعملوا وسيرى الله عملكم وهو ولى التوفيق ؟

المؤلف

* * *

الباب الأول

تاريخ الجاسوسية

يقولون أن المخابرات والتجسس أن هى إلا فكرة قديمة من أولى العصور وأنها تتطور بتطور الزمن وأحداثه . ويقولون أنه لو كان لفرعون مصر منفتاح قوة مخابرات قوية لما تمكن موسى من الخروج بقومه بنى إسرائيل منها. وليس بمنكور أيضا ماورد بسفر المزامير من إرسال سيدنا موسى بعض رجاله لأرض كنعان وقبل دخول قومه فيها للاستطلاع .

إلا أنه أيضا قد ثبت من استقراء أوراق البردى وما كتب على الآثار المصرية أن استخدام الجواسيس حدث منذ خمس آلاف سنة فى مصر الفرعونية. فقد كانت للفراعين الأولين شبكة قوية من الجواسيس يعملون فى البلاد إلى ما بين النهرين وكانت دراسة الجاسوسية واحدة من الدراسات السرية الكثيرة. وقد ظهر فى بعض أوراق البردى قصة ضابط اسمه « توت » كان فى خدمة تحوتموس الثالث واستطاع بمعاونة الجواسيس أن يدخل مائتى جندى فرعونى مصريين مسلحين إلى ما وراء أسوار مدينة يافا بوضعهم فى جوالات . وأدخلت هذه الجوالات على أنها شحنة من الدقيق مساعدة للمدينة المحاصرة إذا ذاك .

وقد ظهر اهتمام الفراعنة كذلك بضرورة وجود المخابرات وكشفها عن مجريات الأحوال فى عهد رمسيس الثانى فقد حدث أنه سنة ١٢٧١

قبل الميلاد لما زحف الفرعون على الحيثيين وسار حوالى ٤٠٠ ميلا تقريباً ولم يظهر لأعدائه أى أثر . شك فى أمر هذا الهدوء ورأى أن ينتظر بجيشه . وبعد فترة ضبط رجاله جنديين من جنود العدو وقد أدليا لهم بمعلومات تفيد أن جيش الحيثيين لايزال على مسافة بعيدة وأن الجنود متمردون على قادتهم ويرغبون فى الفرار من القتال . ولما وصلت لرمسيس النابه هذه المعلومات لم يرتح إليها ولا للظروف التى أدت لمعرفتها فاحتفظ بالأسيرين وأرسل دوريات من الكشافة فلما رجعوا إليه أنبأوه بأن المعلومات التى أدلى بها الأسيران تختلف عن الحقيقة تماما وأن جيش الحيثيين قريب وليس فيه أى تذمر بل أنه على استعداد لملاقاة جيش مصر . فوضع رمسيس خطته الحربية على هذا الأساس الجديد وحارب الحيثيين فى جبهتين وتمكن بذلك من الانتصار عليهم ذلك النصر الذى غير وجه التاريخ فى مصر القديمة .

وليس بغريب على الأذهان ماورد بالياذة «هوميروس» عن قصة جواد « ترواده » تلك التى شوهدت أخيراً فى السينما وهى من أعظم قصص الجاسوسية فى التاريخ القديم .

وما قيل بعدها من قصة يتناقلها الناس عن أمر ملك الفرس «دارا» الذى أحضر أحد رجال بلاطه الموثوق بهم وحلق شعر رأسه وكتب عليها رسالة لأحد أتباعه قبل غزو مصر وانتظر حتى كثف شعر الرأس ثم أرسله إلى مصر يحمل تعليماته قبل الهجوم وبعده إلى عملائه بها .

وفى العهد الأول للاسلام كان رسول ﷺ قبل أن يشن غاراته على المشركين يرسل أتباعه لتعرف مواقع أعدائه وقد تم انتصاره فى موقعة بدر بالفئة القليلة المؤمنة التى غلبت الفئة الكثيرة بإذن الله . كما أنه عندما علم بأن

المشركين سيعيدون الكرة فى العام التالى كما أخبره أنصاره فى مكة بالمؤامرة الجديدة كان أن جهز الخنادق. وذهل المشركون عندما وجدوا خندقا وسورا يحيط بالمدينة ويحميها وحمى الله محمداً والمسلمين من العدوان ونصر دينه.

وقد حدث فى عهد حروب المسلمين مع المشركين أن أرسل رسول ﷺ عبد الله بن جحش وأمره بأن يذهب ليتقصى له الأخبار — ورأى عبد الله أثناء مسيره ثلاثة أشخاص قد تخلفوا عن قافلة لقريش ليتجسسوا أمر المسلمين فقتل أحدهم وضبط الآخرين وعاد بهم إلى رسول الله ﷺ — وكان ذلك أثناء الأشهر الحرم التى كان القتل محرما فيها فعتب بعضهم على عبد الله ما فعل. ولكن الله أنزل آياته فى سورة البقرة : —

« والفتنة أكبر من القتل . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » . صدق الله العظيم .

أى أن المشركين وقد ارتكبوا أعمال العنف مع المسلمين واعتدوا على أموالهم وأنفسهم وحاربوا المؤمنين الوادعين فى الأرض المقدسة فى الأشهر الحرم فلا يحل لأحد أن يتعلل بالأشهر الحرم عندما يحاول المسلمون تقصى أمرهم وعقابهم لأنهم البادئون . والفتنة أكبر من القتل . ولأنهم لن يمسكوا عن قتال المسلمين حتى يردوهم عن دينهم . فعمل المسلمين إنما هو من قبيل الدفاع عن النفس ! !

والتاريخ الحديث يشهد بأن أول من نظم المخابرات والجاسوسية على مستوى عال كانت الملكة «اليزابث» بوساطة السير «ولنجهام» فى انجلترا والكاردينال «ريشليو» فى فرنسا وقد وضع على رأسها «جوزيف دى ترمبلاى»

ألا أن « فوشية » وزير داخلية فرنسا فى القرن التاسع عشر كان هو الذى نظم الجاسوسية السياسية واستطاع بها القضاء على كثير من المؤامرات التى قامت فى عهده .

وفى عهد حروب نابليون تكونت الجاسوسية العسكرية وأستخدمت من الجانبين فى حروب روسيا وفرنسا ـ كما استخدم « ويلنجتون » القائد الإنجليزى جواسيسه فى جنوب فرنسا لمعرفة خطط نابليون الأخيرة بعد عودته من جزيرة البا ونقلوا إليه الكثير من أنبائه قبل معركة « ووترلو » مما كان له أكبر الأثر فى إنتصاره .

بل أنه فى سنة ١٨٧٠ بدأ استخدام « بسمارك » السياسى الألمانى الداهية لشبكة من الجواسيس فى فرنسا انهت إليه بكل المعلومات الداخلية عن البلاد حتى تم له حصارها وإنتصاره فى موقعة باريس . وقيل انه عند إعلان الحرب الفرنسية البروسية إذ ذاك كان للألمان ثلاثين ألف جاسوس فى فرنسا وبعد أن استسلم نابليون الثالث فى سيدان عرف الألمان قيمة الشبكة القوية من الجواسيس وأهميتها فى نقل الأخبار فاستمروا على هذه السياسة دائما.

ومن بين الأمثلة التى تدل على مهارة الجاسوسية الألمانية أنها وسطت شركة سويسرية فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ فاعانت عن عزمها فى إرسال طرود وهدايا من التبغ والحلوى وغيرها إلى الجنود الفرنسيين فى عيد الميلاد مساهمة منها فى رعاية الأسر الفرنسية وطلبت من كل أسرة أن ترسل لها عنوان جندى واحد من أبنائها وراء خطوط القتال حتى توزع هداياها على نطاق واسع . ووصلت للشركة جميع هذه العناوين التى أرسلت منها صورة عاجلة لمخابرات الجاسوسية الألمانية والتى تمكنت بعدها القيادة

الألمانية من معرفة أماكن كثير من الوحدات الفرنسية فى جهات مختلفة .
ولن ننسى ما قرأناه عن محاكمة الجواسيس الألمان فى الحرب العالمية الأولى ومنهم « ماتاهارى » التى حكمت عليها محكمة فرنسية بالإعدام رمياً بالرصاص والتى إتضح أنها إنما جندت بواسطة جاسوس ألمانى اسمه « ولتر ويليم » الذى عمل فيما بعد رئيسا للخدمة السرية فى ألمانيا .

وليس يبعيد ما حدث فى روسيا الشيوعية فى عهد زعيمها « لينين » من تنظيم الجواسيس وعملهم وأسميت ال Cheka واستبدلت أخيرا بمنظمة N. K. V. D. وهى التى تعمل اليوم فى العالم كله من رجال وماجورى الكومنترن والكومنفورم .

كما لا ننسى كذلك العديد من العملاء الإنجليز الذين أرسلوا لمختلف البلاد فى الحرب العالمية الثانية ومنهم كبار الأدباء الذين لا يشك فيهم أصلا من أمثال « ج ويلز » الروائى الشهير والقصصى « سومرست موم » والكشاف « لورد بادن باول » فى الأولى منها .

وقد حدث فى أول الحرب العالمية الثانية أيضا أن أنشىء مكتب الخدمة « العمليات الاستراتيجية » فى أمريكا واستطاع هذا المكتب أن يسقط بالطائرات فى فرنسا المحتلة بعض العملاء المدربين والمخربين الذين عاونوا قوات المقاومة الشعبية والذين وصفهم « إيزنهاور » القائد العام لهذه القوات إذ ذاك بأنهم استطاعوا إبقاء خمس فرق ألمانية بلا قدرة على العمل أثناء غزو الحلفاء لنورماندى .

* * *

وهكذا فإن قصة الجاسوسية والعمل لمكافحتها كانت فى سجل التاريخ منذ

القدم وهى قصة طويلة تحتاج إلى مجلدات كبيرة ولـكنا آثرنا بهذه التقدمة التاريخية أن نبين أثرها وأهميتها فى الحروب الباردة والعلنية .

أهمية الجاسوسية:

إن الصورة العملية لتنظيم الجاسوسية وأهميتها تظهر من حادث تاريخى أقص حديثه الآن قد وقع سنة ١٩٤١ أثناء غزو ألمانيا للاتحاد السوفيتى :

كان «هتلر» قد قرر غزو روسيا ولم تـكن الاستعدادات قد تمت لتنفيذه ووضعت لذلك خطة سميت خطة « بارباروسا» ولـكن بعض العناصر المضادة لهتلر علمت بأمرها وأخطرت رجال المخابرات الروسية عن طريق جواسيسها بمضمونها ونقلت هذه المعلومات فى أوائل يونيو سنة ١٩٤١ الى شخص اسمه «شنيدر» فى سويسرا وقدمها هذا بدوره إلى رئيس مخابرات روسى محترف اسمه « رادو » بواسطة شفرة الأرقام والتقطت الإشارة فى موسكو وأبلغت للجنرال جوليـكوف الذى أخطر رجال الـكرملين بالأمر وتأيدت هـــذه المعلومات بعدها بواسطة جاسوس ألمانى للروس اسمه « هارتاك » وكان لهذه المعلومات أثرها فى تغيير دفة الحرب وفى تجهيز طرق المقاومة أبانها من التقهقر وإحراق القرى كما هو معروف للمعاصرين .

كما نجح الجواسيس الروس كما هو معلوم سنة ١٩٤٥ فى الحصول على الأسرار الذرية من الولايات المتحدة وكندا. وكان سبب ذلك خبرا بسيطا أثر فى مجرى التاريخ

فقد حدث فى مارس سنة ١٩٤٥ بينما كان أحد عملاء شبكة المخابرات السوفيتية يتناول طعام الغداء مع أحد مخبريه المدعو : « دانفورد سميث » إذ حاول العميل السوفيتى أن يحصل منه على أحدث تطورات أجهزة الرادار

فى أمريكا فاجابه «دانفورد» إجابة بسيطة ولكنها كانت ذات قيمة كبيرة. إذ قال له بأن الرادار لم تعد له أهمية كبيرة اليوم وأن الاهتمام متجه فى أمريكا وكندا إلى تنمية النشاط الذرى فى الأغراض العسكرية — فأبلغ العميل السوفيتى الخبر إلى مدير المخابرات الروسى إذ ذاك الكولونيل « زابوتين » الذى أبلغها بدوره إلى مديره العام ثم إلى « ستالين » وشرعت روسيا بعدها بناء على تعليمات ستالين فى العمل للحصول على تفصيلات هذا التطور الذرى الهام — فطلب إلى فرع الجاسوسية السوفيتى فى كندا أن يهتم بالأمر وأن يحصل على بعض عينات من « الأورانيوم » الذى يستعمل فى القنبلة الذرية وكذلك فى أمريكا للحصول على الأسس العلمية للقنبلة والنظام الميكانيكى لاطلاقها . وبعدها أمكن للروس كما هو معلوم الوصول إلى الأسرار الذرية من العالم « كلاوس فوخس » الذى سمعنا عنه جميعا وبدأت روسيا تقرر سياستها الجديدة فى ضوء هذا التطور وعملوا حتى تمكنوا من صنع القنبلة الذرية وبدأت تترى بعدها أبحاث الفضاء والقنبلة الهيدروجينية وأقمار الفضاء والصواريخ وكان ذلك كله نتيجة لخبر بسيط كما تقدم .

رجل الفضاء :

وأخيرا تم ذلك الحدث العظيم العالمى عن رجل الفضاء الروسى «جاجارين» ذلك الذى دار حول العالم فى أقل من ساعتين وعاد إلى الأرض ليعلن للعالم أن غزو الفضاء والوصول إلى القمر وإلى الاجرام قد يصبح قريبا فى متناول الانسان وأن تخريب جزء من الكرة الأرضية قد يتم فى دقيقتين .

ولا شك أن العلماء جميعا متفقون على أن العالم يواجه الآن ثورة جديدة لا يستطيع الإنسان أن يتكهن بنتائجها ونرجو أن لا تستخدم كلها من بعض العالم ضد بعضه فى التجسس والأعمال العسكرية بل أن يصبح العالم بعدها وحدة متقاربة المسافات وأن يصبح الخلاف السياسى بين الحكومات أمراً لا خطر له ولا تقبله الشعوب .

وهناك من يقولون أن السوفيت اليوم أصبحوا فى مركز يسمح لهم بالتجسس على العالم وأصبح العالم فى عجز عن منعهم من ذلك بل أصبحت طائرات أمريكا ال « U. II. » ولا فائدة منها . ولكن كنا نأمل فى أن يكون هذا الغزو للفضاء هو بداية السلام على الأرض تجد فيه الشعوب جميعها كبيرها وصغيرها مكانها تحت الشمس وهى محتفظة بحريتها وكرامتها وحياتها الخاصة .

ولنعرف أهمية الجاسوسية يكفى أن نعلم أن عشرة فى المائة من حوادث الجاسوسية هى التى يمكن الكشف عنها وأن قضية واحدة من عشرة قضايا هى التى يمكن القبض على المشتركين فيها ويقول بعض الباحثين من قلم المخابرات الأمريكية أن عدد الجواسيس الذين يعملون فى حلقة الاتحاد السوفيتى فى العالم تصل إلى ربع المليون رجالا ونساء وهم يعملون فى مجموعات للحصول على المعلومات ونقلها بأساليب مختلفة وبعض هؤلاء العملاء يعملون فى وزارات الخارجية لمختلف الدول وإدارة الشفرات ومراكز البحوث الذرية وبعض إدارات الحكومات المختلفة الهامة كالأمن العام والطيران ووزارات الدعاية والتخطيط وبالمجالس النيابية .

ومما يجدر بالذكر فى هذا الشأن ماجاء على لسان « هتلر » نفسه أبان سطوته . من أن أغلب الاعتراضات التى واجهها فى طريقه ليس أساسها الأسلحة السوفيتية وإنما كانت نتيجة لروح المقاومة التى قابلها والتى كان أساسها نظام المخابرات مما يدل على التقدير والعرفان لأهمية نظم الجاسوسية .

ولا يخفى أن نظام الجاسوسية هو فى نفسه خروج على القوانين وتمنى الحكومات بسترها بل وانكار وجودها بل قد تتنكر الحكومات للجواسيس من أبنائها عند القبض عليهم ولكنها تعمل كل مايستطاع لمعاونتهم من وراء حجاب وذلك لتسهيل أعمالهم — وقد ذكر الكاتب القصصى الانجليزى المشهور « سومرست موم » فى بعض كتبه عند ما جند أثناء الحرب العالمية كعميل انجليزى فى سويسرا أن رئيسه خاطبه يوم تعيينه وقال له جملة لا يزال يتذكرها تدل على حقيقة مركز الجاسوس المضاد :

« هناك شيء واحد أرى من واجبى أن أحدثك به هو أن لا تنتظر شكرا وثناء إذا وفقت فى عملك ولا تنس كذلك أنك إذا وقعت فى المتاعب فلن نمد لك يد المساعدة ولن نعمل لمعاونتك بشيء » .

إن الجاسوسية عمل صعب مجهد يتطلب الكثير من النفقات بل والتضحيات وقد يرسل العملاء لأموريات كثيرة وقد لا يأتى أغلبهم بأية نتيجة بل قد ترى بعض الحكومات أنه من الأوفق لها استخدام أفراد من سكان البلاد المحليين لتقديم المعلومات وذلك بتكوين شبكات داخلية فى البلدة نفسها يعملون نظير مكافآت مالية وتكتفى بلاد أخرى برجالها على أن المعروف أن الاتحاد السوفيتى خلافا لغيره ينتفع بالأحزاب

الشيوعية المحلية الموجودة فى البلاد الأجنبية الأمر الذى ظهر فى كثير من القضايا التى نظرتها المحاكم فى السنوات الأخيرة .

وتبعاً لذلك فإن « الكولونيل زابوتين الروسى » لما ذهب لكندا سنة ١٩٤٣ وجد عددا من الرعايا الروس آخرين من أهل البلاد يعملون معهم فى الخلايا السرية . وقد أحضر هو معه وآخرين ومنهم من كان يعمل حارسا للباب أو سائقا للسيارة أو عاملا فى مناصب أخرى وإنما فى نفس السلك السياسى .

وهذاهو نفس ما تبعته حكومات أخرى كاليابان والألمان إذ أنشأوا خليات مماثلة فى الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الأخيرة .

ومن الروايات الطريفة التى تروى فى هذا الشأن أن اليابانيين أمكنهم خدع الملحقين العسكريين والبحريين فى طوكيو وإخفاء الخطة التى وضعت للاستيلاء على « بيرل هاربور » . إذ حدث أنه لما سئل الملحق العسكرى الأمريكى قبل الحرب فى طوكيو عن رأيه فى إمكان انضمام اليابان لألمانيا أو حدوث أى هجوم منها فأجاب بأن المعلومات التى لديه تقطع فى أنه لا يمكن القيام بأى هجوم ولم يدفعه إلى هذا التصريح إلا مباحثه وتحرياته من عملائه الذين أخبروه بأن الأسطول اليابانى مازال فى قاعدته الأساسية وذلك لكثرة ما كانوا يشاهدونه من العدد الكبير من بحارة هذا الأسطول الذين كانوا يسيرون فى شوارع طوكيو ويترددون على ملاهيها — إلا أن الحقيقة التى خفيت إذ ذاك هى أن الأسطول برجاله كان فى ذلك الوقت يشق عباب البحر فى الأماكن التى حددت له وأن هؤلاء البحارة الذين كانوا

يشاهدون فى الطرقات إن هم إلا بعض رجال الجيش الذين البسوا ملابس البحارة لخداع الجميع . تغطية للخطة التى كانت تنفذ بالاستيلاء على « بيرل هاربور ».

وفى الوقت نفسه لا ينسى أحد منا ما حدث من هزيمة لألمانيا الهتلرية وأنه لولا جهود أمريكا وحلفائها لمعرفة ما كان يجرى داخل ألمانيا وعلمها بوجود فئة كبيرة مناهضة للنظام الهتلرى بعد سقوط موسولينى ومحاولتهم الاتصال بهم كاتم . الأمر الذى استطاعت به أمريكا أن ترتب مؤامرتها داخل القيادة الألمانية نفسها تلك المؤامرة التى انتهت باستسلام الجيش الألمانى وانتحار هتلر وبعض أعوانه .

على أن ألمانيا نفسها قد فعلت نفس الأمر مع فرنسا فهى قد استفادت بعد هزيمة فرنسا من العثور على المستندات الحربية سنة ١٩٤٠ وعلى الأرشيف السرى لأركان الحرب فى فرنسا ومن بينها الاتفاقات التى كانت تمت مع الإنجليز وكان الاستيلاء على مثل هذه المستندات مما ساعد فى انتصار هتلر وقتا كبيرا لولا تدخل أمريكا والظروف السابقه التى قامت فى القيادة الألمانية نفسها وروح العـــداء للنظام الهتلرى بين الألمان أنفسهم .

ومن بين القصص الطريفة التى ذكرت فى بعض الكتب الخاصة بالتجسس والتى تدل على الطابع المثالى لأعمال الجاسوسية الأنجليزية ونشمبها أبان الحرب العالمية الثانية ما كان من أمر الجاسوس الألمانى المدعو «مولر» وزوجته والذى اشترك مع عميل انجليزى أرسل لمعاونتهما خصيصا.

فقد كان مولر علك فندقا صغيرا فى بلدة ألمانية على الطرف الجنوبى لقناة كييل

التى تربط بحر البلطيق ببحر الشمال وكان « مولر » موضع حب وتقدير بحارة الغواصات الألمانية التى كانت تعبر القناة فى طريقها للعمليات الحربية فى الاطلانطيق وكان من عادة هؤلاء البحارة أن يمروا بالفندق قبل رحيلهم مباشرة لاحتساء بعض كؤوس الجعة الألمانية التى اشتهر بها « مولر » الشيخ . وكان مولر يقدم لزواره هؤلاء سجلا يوقعون فيه بامضاءاتهم ووظائفهم والتاريخ الذى مروا فيه كتذكار لهذه الزيارة وكان يحدث بعد خروج البحارة مرحين أن يهبط مولر بدوره إلى حيث يلتقى بالعميل الانجليزى الذى يعاونه ويقيد له الأسماء المدرجة بالسجل وهذا يرسلها باللاسلكى إلى مركز المخابرات بلندن وهناك تبحث الأسماء ويعرف من مطابقتها على البيانات السابقة لدى المخابرات البحرية أى الغواصات نزلت إلى البحر كما يمكن من العثور على اسم القائد معرفة حمولة الغواصة ومدى طاقتها على العمل بل وحتى طبيعة العمل الذى تكون مُقدمة عليه لاختصاص بعض الغواصات بأعمال الكشف والأخرى بأعمال النسف أو الهجوم .

وتكشف مثل هذه القصة عن أهمية الاعتناء بتعرف المسائل البسيطة التى لا يشتبه فيها كحفلات الوداع تلك . على أن الذى عرف بعدها أن الزوجين مولر فى سبيل مبادئهما وكراهيتهما للنظام النازى دفعا حياتهما ثمنا لذلك .

ومن الطرق الطريفة التى استعملها الانجليز أيضا فى أثناء الحرب الأولى وهى مما يستحق الذكر ما قام به مؤسس الكشافة الأول « بادن باول » وكان من أشهر الجواسيس الانجليز كما يبين عنه تاريخ حياته : —

لقد اشتهر لورد « بادن باول » فى التنكر وكانت له قدرة عجيبة على تغيير منظره وعاداته . وقد طلب إليه مرة أن يحاول معرفة مواقع وعيار بعض مدافع قلعة « كاتارد » على ساحل دلماسيا فقرر أن يذهب بنفسه إلى هذه المنطقة فى هيئة أحد علماء الحشرات — ورأى أن يدرس قبلها بعض عادات هؤلاء العلماء وأساليبهم وحاجياتهم واستقل طريقه بعدها إلى قرب القلعة وهو يحمل شبكة لاصطياد الفراشات ومعه كراساته وصندوق أدواته وألوانه وفرشاته وكراسة أخرى لرسوم فراشات مختلفة ومكنته طريقته التى عمد إليها فى مطاردته لإحدى الفراشات من الاقتراب من الحصن وأمسك بفراشة داخل شبكته وراح يرسمها بسرعة وفى داخل رسم الفراشة وأجنحتها كان قد رسم خطوط التحصينات وحدّد أماكن المدافع بالنسبة للقلعة ونجح فيما أراد ولم يكشف أمره الحراس المنتشرون حول الحصن .

الجاسوسية والصحافة :

ومن الأمثلة الحية التى أرى ضرورة الحديث عنها ليعلمها الجميع والتى تبين عن أهمية الرقابة الدقيقة الواجبة على كل ما ينشر بالصحف والمجلات خاصاً بالمسائل العسكرية ووسائل الدفاع والتى يجب أن لا تتخذ فيها قاعدة السبق الصحفى وسيلة للنشر تلك القصة التى وقعت بألمانيا فى بداية عهد هتلر وكان لها أثرها عليه :

حدث فى مارس سنة ١٩٣٥ أن كتب صحفى اسمه « برتولدجا كوب » عن الجيش الألمانى الذى كان وقتها فى مرحلته الأولى لإعداد تسليحه كتيبا

صغيراً نشر فيه بعض تنظيمات الجيش الهتلرى ووصف قيادته وأفراد أركان حربه ومجموعاته والأقسام العسكرية وأورد بعض أسمـــاء القادة وتاريخ حياتهم

وعندما أطلع «هتلر» على هذا الكتاب ثار غضبا واستدعى الكولونيل «والتر نيكولاى» الذى كان مستشاراً له فى شئون المخابرات إذ ذاك وسأله كيف استطاع رجل واحد أجنبى أن يجمع هذه المعلومات عن الجيش الألمانى وقرر هذا أن يعرف الجواب من جاكوب نفسه .

ووجهت المخابرات النازية جهودها لهذا الأمر وخصصت عميلا يدعى «هانز» للاتصال بجاكوب فذهب إلى حيث بلدة الصحفى وأنشأ محلا لبيع المطبوعات الأدبية وتستر فى شكل لاجىء ألمانى وأنشأ علاقات صداقة مع بعض المنفيين والهاربين من الحكم النازى ثم أمكنه بعدها بوساطتهم الاتصال بجاكوب نفسه — وفى ليلة ما تمكن من دعوته للعشاء فى أحد المطاعم الفاخرة ووضع له فى هذه الليلة مخدرا فى شرابه ولما ترنح من أثر المخدر اعتذر « هانز وازمان» للساقى بمرض صديقه وإفراطه فى الشراب وتمكنا من نقله بالسيارة التى كانت بانتظاره وسافر به توا لألمانيا ووصل برلين ودفع به إلى رئاسة الجستابو حيث حقق معه الكولونيل «نيكولاو» عن كيفية حصوله على البيانات الكثيرة الدقيقة التى أوردها كتيبه — فشرح له «جاكوب» الحقيقة وأنه استقى كل هذه المعلومات من الأنباء والأخبار الكثيرة التى توردها الصحف الألمانية فى أعمدتها وأجابه بأنه حدث أن ذكرت إحدى نورمبرج أن « الجنرال هـ » وصل توا إلى نورمبرج وهو قائد الفرقة ١٧ وحضر جنازة أحد العسكريين — واطلع على

خبر آخر فى صحيفة أخرى محلية عن زفاف الـكولونيل «فيرو» إلى الانسة س.
«ابنة سترمان» وذكرت الصحيفة فيما ذكرته أن فيرو هذا هو قائد الآلاى.
٣٦ وأن الميجر سترمان هو ضابط إشارة الفرقة . وذكرت الأنباء كذلك.
إن الماجور جنرال «سالار» قائد الفرقة قد قدم إلى ستوتجارد حيث يقصد
رئاسة فرقته .

فأمكن من تجميع هذه الأنباء وضمها لبعضها مع بعض التحريات الأخرى
الوصول إلى أسماء قوات الفرق المختلفة ومكان وجودها وعملها — وهكذا
أبان لهم كيف استقى معلوماته ووصل إلى غالبها مما ضمنه كتابه . وكان من
نتيجة هذا التحقيق بعد مراجعة كل البيانات أن أبلغ مدير المخابرات إذ ذاك
هتلر بأن جاكوب لا ذنب له وأن الخطأ يقع على عاتق الصحافة وأنه ليس
هناك فى الفرقة جاسوس ينقل الأخبار وكان لقصة جاكوب هـــذه قضية
سياسية تدخلت فيها سويسرا لأنه أحد رعاياها وأفرج عنه بعدها .

ومن هذا يتبين أهمية الأخبار الصغيرة وما يمكن أن يترتب عليها ولعل فى
هذا ما يوضح اهتمام المشرع المصرى كما سيرد بعد ذلك عند البحث فى جرائم
التجسس عن تقصى أنواع من التخابر جرّمها القانون.

أهمية الصور الصحفية :

وأذكر بهذه المناسبة أيضاً أن ما يسمونه الريبورتاج وهو أمر يجب العناية
به لأن الصورة هى وسيلة مختصرة ومفيدة لجمع المعلومات فالصور التى تؤخذ
بواسطة المصورين المحترفين أو الصحفيين أو السائحين أو الهواة والتى تنشرها

المجلات والصحف المصورة يمكن الانتفاع بها فمثلا قد يوجد فى ركن من الصورة أو خلفها طريق منحنى أو ممر أو برج أو كنيسة أو نفق ويمكن بواسطة قياس الشخص العادى الذى يوجد فى الصورة قياس البرج ومعرفة ضخامته وطوله وفى تصوير يوم عطلة على الشاطىء يمكن معرفة حالة الشاطىء وما فيه .
ومن تصوير الطرادات أو المراكب الحربية فى المناورات أو تصوير الطائرات كل هذا مما يستفاد به فى تعرف أنواعها وسلاحها وقوتها .

ومن الأمثلة التى استفادت بها روسيا ما نشرته مرة صحيفة الاسوشيتدبرس عن اصطدام طائرتين من قاذفات القنابل من طراز لا نكستر فى البحر الأبيض المتوسط قرب مالطة . فنشط العملاء الروس فى هذه المنطقة لتتبع أساس هذا الخبر وقد تبين من بحثهم أن تسعة أفراد من طاقم الطائرة قد أنقذوا. وتوصلوا من هذه السطور القليلة التى نشرتها الصحيفة لمعرفة معلومات قيمة وظهر من تتبع الأمر أن الطائرات كانت تقوم بإجراء تمرينات حول مالطة ونتيجة لذلك علموا أنه لا بد أن يكون لهذه الطائرات قواعد على الأرض هناك وأمكنهم أن يتحروا أمكنتها .

المناقشات البرلمانية :

أن المناقشات البرلمانية تقدم دائما تفصيلات قيمة لإدارة مخابرات الدول المعادية فيجب القصد فى هذه المناقشات سيما الأسئلة الخاصة بالعتاد الحربى والقوات المسلحة لأن مثل هذه المعلومات محظور نشرها علنا بل أن الاتحاد السوفيتى محافظة منه على ما بداخل الستار الحديدى يحظر نشر أى شىء عن ذلك .

مخبروا الصحف العالميين . إن مخبرى الصحف الخارجيين ينجحون فى كثير من الأحيان بحكم عملهم ويستطيعون الوصول لمعلومات خطيرة لها قيمتها

الـكبيرة ويستطيعون نقلها بكيفية أفضل ولذا قدرهم الشيوعيون وخافوا منهم على أسرارهم

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية عملهم ما حدث سنة ١٩١٢ إذ اكتشف مندوب صحفى تشيكى يدعى «أرجون كيسك» سرا عسكريا هاما عرفه مصادفة أثناء تجواله وبحثه ذلك أن مؤسسة صناعة السيارات الألمانية المشهورة «سكودا» بدأت تعمل فى إنتاج الأسلحة فى «بلسن» قد طلب إليها أن تصنع ضاغطات وآلات مائية ذات مقاسات أكبر من المعتاد . . وعلم الصحفى التشيكى هذا الأمر أثناء حديثه مع جماعة من الضباط ومهندسى المدفعية كما علم أنها أيضاً بدأت تنتج مدافع الهاوتزر المعروفه المتحركة تلك التى استعملت فى الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ والتى دمرت تحصينات بلجيكا القوية وحولتها أطلالا فى وقت قصير ولو كان هذا الخبر قد وصل إلى الحلفاء فى وقته لتغير وجه الحرب بصمود بلجيكا أمام جيوش ألمانيا .

ولعل هذا هو الذى يؤكد وجوب توطيد العلاقة بين الصحافة ورجال المخابرات للتشابه الكبير بين العملين ولعله هو الأساس الذى استهدفته الحكومة أيضا عند تأميم الصحافة كما حدث أخيراً وجعلها فى خدمة الدولة والشعب بل أن الأنباء الصحفية نفسها تكون أسرع فى نقل المعلومات قبل أنباء المخابرات فمن المعروف أن مرض ستالين الخطر سنة ١٩٥٣ لم يصل لوزارة الخارجية الامريكية إلا بعد أن نشرته وكالة الاسوشيتدبرس . كما أن أنباء غزو الشيوعيين لكوريا الجنوبية وصل إلى صحيفة نيويورك تريبون قبل أن يصل لوزارة الحربية الأمريكية كما قيل . ولهذا كله تحرص بعض الدول على أن

تستخدم المراسلين الصحفيين فى الخارج إلى جانب أعمالهم الصحفية للاستفادة بهم لصالحها .

والدليل على هذا ما وقع منذ قديم من الحدث التاريخى العظيم المتعلق بمصر نتيجة للمعلومات التى توصل اليها مراسل جريدة التيمس أثناء مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وأرسلها لجريدته عن العلاقة التى قامت بين تركيا وألمانيا والتى أدت إلى أن قام دزرائيلى رئيس الوزراء البريطانى بشراء حصص قنال السويس من الخديوى اسماعيل تلك التى كانت بداية التدخل البريطانى لاحتلال مصر سنة ١٨٨٢ وفصلها عن تركيا لتأمين سلامة مواصلات الامبراطورية للهند وغيرها .

طبيعة عمل المخابرات :

إن طبيعة عمل المخابرات أنها منشأة هامة من منشئات الدولة ويجب أن يكون نظامها وعملها على إمكانيات هائلة وهى خليط من الخير والشر ولذا يجب أن يستخدم فيها كل الرجال الموثوق بهم فهى تتبع كل الوسائل لأنها تتعامل مع الخونة ومع الأبطال ولأنها بهذا تقبض على قوة الحياة والموت ولذا يجب أن تهتم بها الدولة وأن تعالج أمورها بكل عناية وأن تبقى داخل نطاقها السرى نوعا ليتاح لها السير بكفاءة وانما دون أن تذهب بعيدا بحيث يترتب على عملها الاضرار بالديموقراطية والحرية التى يجب أن ترعاها لتطابق روح العدالة .

وإنى أرى أن لا تعزل المخابرات عن المواطنين بل يجب إزاحة السرية عنها .

فى بعض الأحيـان وتقريبها إلى أذهان المواطنين الذين تعتمد هى عليهم فى الشدائد ويجب أن يعرف الناس أغراضها النبيلةوأهميتها لأن من واجبهم جميعا أن يأخذوا أنفسهم بمساعداتها عندما يحزب الأمر ويجد الجد .

استخدام النساء فى المخابرات :

وليس هناك ما يمنع من استخدام النساء فى عمل المخابرات بل أن كثيراً من الدول تستخدمهن لانهن أقدر على الخديعة والظهور بمظهر عدم المبالاه سيما إذا عملن كسكرتيرات أو فى المصانع أو المراقص أو غيرها على أن بعض الدول تقيد استخدامهن — وقد ذكر التاريخ فى بريطانيا أمثلة عديدة لنساء ارتفعن إلى درجة عليا وهما « جروترد بيل، فريارستارك » . وكانت « جروترد » فعلا سيدة ممتازة بل انها كانت مسئولة إلى حد كبير عن أنشاء دولة العراق كمملكة مستقلة على رأسها أمير هاشمى ولو أنها لم تكن على براعة وشهرة «لورنس» الذى كان له الأثر الأول فى انحلال الحكم التركى فى الشرق الأوسط والبلاد العربية كما هو معلوم .

على أن ذلك لم يمنع هتلر نفسه من تقييد استخدام النساء فى أعمال التخابر بل إنه منع استخدامهن فى الصفوف العليا لما ثبت له من أن بعض النساء البولنديات عملن ضده وذلك اعتقاداً منه بسهولة انقيادهن بدوافع العاطفة والحب وسهولة الحصول منهن على ما يمكن معرفته .

* * *

القومية العربية وتجسس إسرائيل :

إن القومية العربية التى نادى بها رائدها العظيم والتى اتخذناها مبدأ لنا والتى بدأ العالم يحس بوجودها ويخشاها إنما هى كما هو المفهوم فى اللغة : الاخلاص بوحدة جوغرافية اخلاصا يفوق كل اخلاص .

ونعنى بالوحدة الجغرافية التى تتناول العرب أولئك الذين يتكلمون العربية والذين ورثوا التراث العربى والتاريخ العربى وليست تعنى المعنى الضيق لكلمة العرب ولا تقف عند حد دولة معينة لأنها أوسع امتداداً من الحدود الدولية ويجب على من يعتنقها أن يخلص لها فهى لا تعرف حدودا دينية وهى مرحلة تالية للوطنية لأن الوطنية هى الاخلاص للوطن الواحد وإنما هى أعم من ذلك فمع الاخلاص للوطن الواحد فهى تخلص لعقيدة واحدة ولإيمان بمبدأ واحد هو رسوخ القومية العربية كفكرة ثابتة واضحة المعالم تصطبغ بصبغة إشتراكية ديموقراطية موضحة الأركان . ولذا جهدت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ على أن تعمل ما فى وسعها وطاقتها فى المحيط الداخلى والخارجى على نشر رسالة القومية العربية وهذا ما ينادى به رئيس جمهوريتنا جمال عبد الناصر فى كل خطبه وأحاديثه وتعاليمه بحيث لا تقتصر على الجمهورية العربية بإقليميها بل تجاوزها إلى كل بلد عربى من المحيط إلى الخليج فيجب أن تحتاط لوجودها وتتصل مخابراتها ببعضها لإمكان المحافظة على كيانها من دس الدساسين وكيد الخائنين .

وغنى عن البيان أن العالم الخارجى اليوم بحاجة إلى أن يعرف دائما أن

أهداف هذه القومية لاتقوم على التعصب والانحياز وإنما أساسها الكلمة العظيمة التى صدرنا بها هذا الكتاب . فهى قومية تدعو إلى التسامح وإلى الأخذ والعطاء وإلى التعايش السلمى وإلى التعاون بين الأمم وإلى المؤاخاة بين الدول والمساواة بين الشعوب فليس هناك من دولة كبرى أو صغرى بل هناك شعوب من حقها أن تعيش عيشا كريما وأن تتعاون جميعا لخدمة الإنسانية والإبقاء على الجنس البشرى كله لا تفرقة فيه للون أو دين أو لغة أو جنس .

ولذا جهدت إسرائيل تعاونها دول الاستعمار وبدأت عملياتها فى التجسس على الإقليم المصرى وظهرت أولى هذه العمليات ١٩٥٤ والتى فضحت وعرفت أخيرا باسم عملية «لافون» والتى تبين منها أن بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ومعه موشى ديان قائد جيشه وسكرتير وزارة الدفاع سيمون بيرنز سنة ١٩٥٤ بدأوها وجهزوا خطتهم كما اتفقت عليه جميع المصادر العالمية على إثارة الاضطرابات فى مصر باعتبارها قاعدة القوميه العربية وإثارة الوهم بأن الوضع القائم انما غرضه التخريب وحاول بعض الصهاينة نسف السفارة الأمريكية وبعض المؤسسات الأمريكية وغيرها لإساءة العلاقات بين مصر وأمريكا وغيرها من البلدان الأجنبية ولاحداث الأثر السيء ضد مصر أمام الرأى العام العالمى بالخداع . ولسنا فى مقام تفصيل هذه المسألة وإنما المهم أن الذى ثبت من المحاكمات أن أحد الخبراء فى الاتصال اللاسلكى وأحد الخبراء فى صنع المفرقعات هم الذين وضعوا مع أعوانهم تلك المتفجرات

فى المنشآت الأمريكية والأجنبية ثم بعدها حدثت حرب السويس ثم قضايا التجسس الأخيرة فى السنة الماضية .

حوادث التجسس الأخيرة والحرب الباردة بين الشرق والغرب:

لعلنا جميعا نذكر حادث الطائرة ى ٢ الأمريكية التى أسقطت فوق الاتحاد السوفيتى وإنه كانت بها كاميرا قوية تكلفت كما قيل مليونا وأربعمائة ألف دولار أى نصف مليون جنيه مصرى وقد قيل أن صناعتها قد استغرقت ثلاث سنوات وتسلمها السلاح الجوى الأمريكى وأمكن بها إلتقاط صور واضحة حتى قيل على ما جاء بالصحف على سبيل التقريب أنها تستطيع إلتقاط صورة لفتاة حسناء تقف على مبنى « الامبير ستيت » الذى يرتفع ١٤٠٠ قدما ويمكن أخذ الصورة على بعد ٢٠ ميلا وتكون واضحة التفاصيل بل قيل أن هذه الكاميرا الجديدة تستطيع إلتقاط الصور بوضوح من طائرة تسير على إرتفاع ١٠٠ ألف قدم وهى تسير بسرعة ١٤٠٠ ميل فى الساعه بحيث أنها قد تلتقط أيضا صورة على هذا البعد لمساحة ٥٠ ميل مربع من الأرض تظهر فيها جميع الأجسام بعد تكبيرها بوضوح ومن ذلك يمكن معرفة خبايا هذه المناطق ومواضع المصانع وغيرها من المنشآت فيها مما يسهل تدميرها عندما يحين الوقت . ولم تكتف أمريكا بذلك بل أطلقت كما هو معلوم فى نهاية عام ١٩٦٠ قمراً جاسوسا كما يقولون كان هو أول قمر صناعى للتجسس وأطلقت عليه اسم جاسوس السماء والغرض منه أن يحل محل طائرات التجسس « ى ٢ » التى كان الجاسوس الأمريكى فرانسيس باورز يحلق باحداها كما تقدم والذى عليها حوكم فى روسيا بالسجن عشر سنوات .

وقيل إن مثل هذا القمر كما ورد فى البرقيات يشبه السيجار ويزن طنين ويحمل فى مقدمته معدات التصوير وقد كان موضوعا أصـــلا فوق صاروخ عابر للقارات من طراز الصاروخ « أطلس » الأمريكى .

وقد علق خروشوف على المحاكمة فقال إن الحكم الذى صدر ضد باورز بالسجن عشر سنوات يعتبر حكما خفيفا بالنسبة للذى صدر ضد روزنبرج وزوجته الذى أعدمته أمريكا بالكرسى الكهربائى لتجسسه لحساب روسيا بالرغم من أنهما لم يعترفا بجرمهما كما فعل « باورز » وأفصح خروشوف أيضا أنه طالما هناك صراع فسيكون هناك جواسيس فى كل مكان على الدوام .

وقد حذر خروشوف العرب جميعا ونشر تحـذيره راديو موسكو بأن الطائرات الأمريكية التى تقوم من تركيا وتجرى بانتظام فوق البلاد العربية إنما تستخدم كمراكز رئيسية للتجسس وذلك لأن أصدقاء تل أبيب هم الذين يهمهم معرفة القوة الجوية العربية ومدى استعدادها .

كما وأن أمريكا لم تـكتف بذلك بل طالعتنا الصحف أخيراً فى شهر فبراير سنة ١٩٦١ بأن قلم المخابرات الأمريكى أنشأ مدرسة للتدريب على وسائل التجسس فى آسيا بالقاعدة البحرية الأمريكية جنوب اليابان وأن القيـــادة العسكرية الأمريكية تدرب عددا من الصينيين والكوريين وتبعث بهم إلى أماكن مختلفة فى آسيا .

ولم تترك أمريكا هـذا الأمر جانبا بل برره « كابوت لودج » مندوبها بمجلس الأمن فى مايو سنة ١٩٦٠ وقال : — « إن أمريكا فى تجسسها على

روسيا لم ترتكب عملا عدوانياً . وإنما روسيا بإصرارها على السرية فى تسليح نفسها تسليحا تاما إنما يعنى ذلك أنها تُصِرُّ على إخفاء قدرتها على مباغتة البشرية بالهجوم عليها . »

ورد على ذلك «جروميكو» مندوب روسيا بأن أمريكا إنما تستعمل أعمال القرصنة باتباعها سياسة التجسس والعدوان وذلك بإرسال طائراتها لروسيا وطالب الدول بأن توقف أمريكا أعمالها وإلا فإن روسيا ستستخدم كل قواتها فى الدفاع عن نفسها .

ولم يقتصر الأمر على أمريكا وروسيا واسرائيل بل أن بلدة عربية أرسلت بعض جواسيسها إلى الجمهورية العربية وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٦٠ كما طالعتنا الصحف قد حوكم المتهم أمام محكمة أمن الدولة العليا بدمشق واعترف فى التحقيق الذى أجرى معه أنه أوفد للاقليم السورى لإشاعة الإرهاب هو وغيره وأنه سبق أن طلب إليه مرسلوه أن يطلب الإلتجاء السياسى بسوريا ثم يحاول التجسس عليها بعد ذلك . كما ضبطت عصابة أخرى للتجسس لحساب تركيا أخيرا .

كما أنه قد أعدم فى الإقليم السورى كذلك رميا بالرصاص تنفيذا لحكم محكمة أمن الدولة العليا بدمشق كل من أسعد ملحم بريك وسليم فارس وفايز بريك لثبوت قيامهم بالتجسس لصالح اسرائيل فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ .

التجسس فى بريطانيا أخيرا :

وكان من أهم قضايا التجسس التى وردت أنباؤها بالصحف وكانت فى مثل أهمية قضية العالم الذرى « فوخس » سنة ١٩٥٠ تلك الشبكة التى تم كشفها

فى أوائل سنة ١٩٦١ فى قاعدة الغواصات البريطانية البحرية فى بورتلاند على الساحل الجنوبى من بريطانيا لمصلحة روسيا — وأتهم فيها خمسة أشخاص هم هنرى هوتون الموظف بحوض بناء الغواصات وزميلته إيثيل و بيتر كروجر وزوجته ورجل اسمه جوردون من رجال الأعمال — وقد تم القبض على هوتون وإيثيل يوم ٧ يناير سنة ١٩٦١ عندما كانا يسلمان حقيبة إلى كروجر وزوجته هيلى بالقرب من بيتهما وتبين أن إيثيل كانت تعمل بادارة الرسم فى قسم المحفوظات بالقاعدة وأن عملها هو ضمن جهاز أمن البلاد — وقد كان فى متناول يدها جميع الرسومات والمطبوعات التى لبعضها طابع السرية المطلقة وأن هوتون بدوره كان يعمل فى قسم سلاح الغواصات منذ خمسة أعوام أى منذ سنة ١٩٥٧ ثم نقل لوحدة الإصلاح وأنه لوحظ بعد مراقبته إتصاله ببقية المتهمين من الشبكة واتضح أن أسرة كروجر كان لديها محطة لاسلكية قوية تتصل بموسكو وتتلقى منها تعليماتها وقد حكم على هؤلاء المتهمين بالسجن المؤبد والمؤقت .

حادث « بليك »

وبالأمس اهتزت بريطانيا تحت تأثير حادث الجاسوسية الذى كشف أخيراً بعد الحكم على الجاسوس الإنجليزى « بليك » بالسجن ٤٢ سنة . وقد اعترف « بليك » أمام المحكمة بأنه يتجسس لصالح الاتحاد السوفيتى منذ تسع سنوات كامله نقل فيها أخطر الأسرار وأهمها باعتباره من كبار موظفى وزارة الخارجية البريطانية وذلك تحت تأثير عقيدته الجديدة وهى الشيوعية على أنها

تُقَـدِمُ في نظره للعالم نظاما أفضل للحكم وكانت المصادفة وحدها هي التي كشفت أمر « بليك » عندما أرسل إلى بيروت ليتعلم اللغة العربية وأحوال العرب في المدرسة التي تعلم الدبلوماسيين الإنجليز . وقد لاحظ زملاؤه اتصاله ببعض رجال السوفييت . فوضع تحت المراقبة حيث تبين منها حقيقة تخابره وتبين أنه أحد العملاء المزدوجين وحوكم بعد أن ظهر أنه أعطى السوفييت معلومات أخطر مما أخذ منهم كان فيها الاضرار بمصالح بلاده العليا .

غزو كوبا :

وقد تناولت الصحف كلها وسار في العالم جميعه نبأ تدخل مخابرات أمريكا الـ "Central Intelligence Agency" C. I. A. في أمر مساعدة اللاجئين الكوبيين في غزو كوبا ذلك الغزو الذي فشل نتيجة لسوء تقدير المخابرات للحالة السياسية والشعور الوطني بكوبا نحو زعيمها كاسترو والتي دعت إلى تفكير الرئيس كنيدي في تغيير رجال المخابرات الأمريكية وعلى رأسهم «ألان دلاس» الذي عرف بالمقدرة في المخابرات والذي يستخدم حوالي الخمسة عشر ألف أمريكي في جهازه .

والواقع من هذا كله أنه يجب أن تبذل الجهود الآن لاستبدال الصراع الجسماني بحرب أخرى هي الصراع العقلي الذي لا يمكن أن يقاس به أي صراع آخر وفي كل الميادين .

ومما هو جدير بالبحث أيضاً في هذا البـاب أمر العلاقة باسرائيل إذ هي التي بدأت واهتمت بالتجسس على الجمهورية العربية بإقليميها ولا تزال تعمل جاهدة في ذلك بكل الوسائل .

العلاقة بإسرائيل :

بالرجوع إلى التاريخ الحديث نجد أنه منذ إثنى عشر عاماً وقع فى منطقة الشرق العربى حادث عميق الأثر خطير النتائج ظل منذ ذلك الحين إلى اليوم سبباً للاضطراب والقلق وسيظل سبباً لهما إلى أن ينتهى وتعود الأوضاع لطبيعتها ويعود الحق إلى أهله ففى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وسحبت جنودها منها وسرعان ما حلت محلها العصابات الصهيونية وأعلنت قيام إسرائيل وفى الوقت نفسه تحركت الجيوش العربية من مختلف الاتجاهات لتحول دون قيام دولة لإسرائيل واشتبكت مع القوات الصهيونية وبدأ ما سمى بحرب فلسطين واقترنت هذه المأساة بما اقترنت به من أخطاء وانحرافات ولعبت فيها بعض المطامع والأغراض الشخصية .

كما أنه حدث أيضـــا قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أن الجمعيــة العامــة للأمم المتحدة أصدرت قرارا بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحــداهما لليهود والأخرى للعرب وكان واضحا أن هذا القرار يعنى الاعتراف بإسرائيل كدولة والتمهيــد لقيامها وكانت بريطانيا منتــدبة لإدارة فلسطين منــذ انتهاء الحرب العالمية الأولى . وكانت سياستهــا قائمة على ما سمى بوعد بلفور وهو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين الذى تحوّل بعدها لإنشاء دولة . إلا أنه كما تقدم لما انتهى الانتداب البريطــانى كان كل شىء معــدا لافتراس البقية الباقية من فلسطين . ولما لم توفق الجيوش العربية فى مهمتها وكذلك الحــكومات العربية إذ ذاك لما كان بينها من عدم التجاوب فى إعادة فلسطين لأهلها فقد أحست الشعوب العربية بالمرارة التى سببها هذا الفشل ولم يمض على ذلك إلا بضع سنين حتى قامت ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ وبدأ

البعث الجديد فى مصر الذى كان فى الواقع تعبيرا عن ثورة العرب جميعا ثم عمل الشعب وحكومة الثورة فى مصر على انتهاج سياسة جديدة فيها مصلحة الوطن العربى وهدفها إعادة فلسطين لأهلها ورد الحقوق لأربابها وعدم الاعتراف بإسرائيل . ثم كان العدوان الغاشم الذى قامت به إسرائيل تعاونها بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ والذى اندحرت قواته العسكرية كما هو معلوم . ورأت إسرائيل يحفزها الاستعمار أن تجرب لتحقيق أهدافه حرباً أخرى هى حرب الجاسوسية . وحرب الاقتصاد . والاستعمار فى هذا يحاول أن يزرع الشك وأن ينشر السموم . ثم رأت مصر أن تحصل على السلاح والعتاد بكل وسيلة لتكون جيشاً قوياً يكون سندها وقد عانت فى سبيل ذلك ما عانت ولم تكتف باستيراد ما استطاعت استيراده بل أنشأت المصانع لإنتاجه ثم تكونت الجمهورية العربية المتحدة فى سنة ١٩٥٨ ولم تستسلم هذه ولم تتراجع بل استجمعت قواها وجهزت نفسها لتستكمل قوتها العسكرية وعتاد جيشها براً وبحراً وجواً وأصبحت المعركة مع إسرائيل معركة حياة أو موت لها. ورأت هى إزاء ذلك أن تخوضها بسلاح الدسيسة والغدر — سلاح التجسس — وعملت جهدها فى ذلك كما هو معروف لأن الصهيونية تعلم منذ بعيد أن الخطر عليها قائم من العروبة والدول العربية ومن حاملة اللواء وهى الجمهورية العربية المتحدة الفتية . وإذا كانت النفس تَـفْرَقُ من الخيانة فإنها تكون أكثر حزنا عندما تكون الخيانة سعياً لنفع إسرائيل تلك التى ابتدعت مسألة الوطن القومى لليهود والتى لم تعرف غـير الجريمة وسيلة والشر طريقاً . وفيما ورد ببروتوكولات صهيون ما يؤيد هذا النظر إذ نص البروتوكول الأول وهو المبدأ الأساسى لليهود على ما يأتى .

إذ يقول «إن جواز المرور فى الدنيا . هو القوة والكذب والادعاء »
ويقول البروتوكول الثالث عشر « أنه لا عيب ولا عار فى أن تكون جاسوسا أو دساسا بل إن هذه فضيلة وخطتنا تقضى بأن يشرف ثلث الجمهور على فرض رقابتهم على الباقين من وجهة نظر القيام بالواجب العام . دون توجيه أو حافز بل على أساس التطوع لخدمة الدولة » .

ويلوح البروتوكول الخامس بالرشوة وسيلة وسبيلا فيقول « إن دولاب الأعمال المختلفة فى جميع الحكومات إنما يسير بمدة الماكينة التى نسيطر عليها فى أيدينا وهذه الماكينة هى الذهب» .

ويفسر هذا كله ما ذكره : —

أولا — تيودور هيرتزل مؤسس حركة الصهيونية فى كتابه « دولة اليهود » .

« من أن حدود إسرائيل هى من النيل إلى الفرات وهى دولة الملك سليمان ! ومن أنه يجب تكوين جماعات من الناس غير اليهود تنتشر بين الطبقات غير اليهودية للحصول على أكبر نفوذ سياسى لبث الاضطرابات كما يجب استخدام الإرهاب عند الضرورة وإزالة الرجال ذوى المراكز العامة الذين هم خطر على قضيتنا أى أنه يجب استعمال وسائل التدمير والغش والإرهاب » .

وكذا ما قاله زعيم اليهود حايم وايزمان من « أننا سنوطد أقدامنا

فى فلسطين شئتم أم لم تشاءوا إن لنا فى ذلك كل وسيلة وإلا حوّلنا قوتنا إلى قوة تدميرية تسبب الانهيار » .

وما صرح به موسى شاريت اليهودى فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٥٥ قبل الاعتداء الثلاثى الغاشم على الدولة المصرية ، بأن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تنشىء حربا وقائية على الدول العربية . وتمد حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها » .

ولهذا اجتمع المؤتمر اليهودى الصهيونى فى أوائل القرن العشرين وكانت أهم أغراضه العمل على جمع شتات اليهود الذين يطلبون مكانا ينقلون إليه فى العالم وقد عرضت عليهم فرنسا مدغشقر . وانجلترا أوغندا أو كينيا . وأمريكاولاية الأريزونا . ولكن نيتهم كانت متجهة إلى فلسطين وكانوا يوسمون مستعمراتهم فيها حتى أعلنوا بعدها فى جرأة كافية أن فلسطين لليهود وأنهم يريدون إعادة دولتهم الكبرى من النيل للفرات . وأصبح الأمر حقيقة عندما ألغى انتداب بريطانيا على فلسطين وشردوا بعدها مليونا من المواطنين العرب على أساس دعايتهم الكاذبة : أنهم شعب الله المختار · وأنهم لا بد أن يسيطروا على العالم كما أنبأتهم التوراه من قبل . إلا أن هذا الذى نثروه وأرجفوه وقف دونه وطن عربى ورائد أمين أخلص بما آمن به وصفوف متراصة تقف خلفه فى ظل عروه وثقى وإيمان عظيم بأنه لن يقر لنا قرار حتى تمحى هذه المطامع تصديقا لقول الله تعالى :

« قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون

الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » وإيمانا بما قاله فى كتابه الكريم « ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

أن التخابر والتجسس الذى حدث لصالح إسرائيل من العمل على كشف مقوماتنا وقواتنا من الناحية الحربية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية . يوجب علينا البحث فى سياسة الدولة وتعرف ما استقرت عليه الأوضاع فى الجمهورية العربية المتحدة من العمل على وحدة الشعب والجيش وفى الذود عن حياض الوطن والحفاظ على مقدسات الأمة والدفاع عنها ذلك الذى ظهر وبان عندما التقت قوات الجيش وصفوف الشعب خلال معركة العدوان الغادر بما كتب الله بعدها النصر للأمة . ممثلة فى شعبها وجيشها . وحين تلاقت قوات الشمال والجنوب للذود عن الحق العربى بعد تمام الوحدة وبعد ما عانيناه فى الماضى من الحصول على الذخيرة والأسلحة نتيجة لاحتكار الدول الاستعمارية ولمؤامرات الصهيونية العالمية فعملت الأمة على تحقيق الاكتفاء الذاتى وعلى دعم سياسة التعاون العربى للوقوف سدا منيعا ضد مطامع الصهيونية اليهودية وللقضاء على نقطة الارتكاز التى وجدت فى قلب الوطن العربى بالخديعة والتى تهدد كيانه وتعوق تقدمه

لهذا كله رأى الصهيونيون واليهود أن الخطر قائم ضدهم فعملوا جاهدين بكل الوسائل ومنها وسيلة التجسس بالمال والغدر والخديعة تلك التى انكشفت بعد أن سارت بطرق لجة وفضحت . ولولا ذلك لكانت لها آثار وخيمة على سلامة البلاد ومما يؤيد هذا النظر ما قاله السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة : تلك الكلمة العظيمة التى تمثل حاضرنا ومستقبلنا .

« إنه فى سنة ١٩٥٨ بزغ أمل جديد على أفق الشرق . دولة جديدة انبعثت من قلب دولة كبرى ليست دخيلة فيه ولا غاصبة . وليست عادية عليه ولا مستعدية . دولة تحمى ولاتهدد . تصون ولا تبدد . تقوى ولا تضعف . توحد ولاتفرق . تسالم ولا تفرط . تشد أزر الصديق . ترد كيد العدو . لاتتحزب ولا تتعصب . لا تنحرف ولاتنحاز . تؤكد العدل . تدعم السلام . توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا . بقدر ما تتحمل وتطيق» .

« لقد بزغ عام ١٩٥٨ عام الوحدة . والشعوب العربية المتحررة تقاتل أعنف معاركها . وكان العدوان الذى اندحرت قواته العسكرية عن مصر . يُجَرب بكل طاقاته لتحقيق أهدافه عن غير طريق القوة العسكرية . كانت الحرب الاقتصادية على مصر تحاول أن تحقق بالتجويع ما فشلت فى تحقيقه بضرب القنابل . وكانت الحرب النفسية مع حرب الجوع تتجه إلينا . تحاول أن تزرع الشك على أرضنا المؤمنة وتنشر السموم فى أجوائنا الطاهرة » .

« وفى نفس الوقت كانت قوى العدوان تتحفز من حول سوريا . كما كان العدو الذى فشل فى تحطيم رأس الكيان العربى فى القاهرة يحاول أن يتسلل إلى دمشق ليوجه ضربته إلى قلب هذا الكيان . كانت الجيوش من الشمال والشرق تتربص بدمشق . وكانت أشكال المؤامرات تمهد للجيوش حتى تجىء لحظة زحفها . وكانت المحاولة تجرى من الداخل لأحداث الغزو بتهريب السلاح وتجنيد العملاء . وكانت إسرائيل تملك المناورة الحرة لقواتها العملية » .

فى وسط هذه الصورة . وفى خلال هذا الوقت العصيب . إذا بأمتنا العربية الباسلة المناضلة تحشد قواها وتتخذ قرارها ضاربة ضربتها الكبرى واصلة لهدفها الأسمى » .

« وذهب الاستعمار والصهيونية والرجعية يحاولون أن يحولوا دون تحقيق ما أردنا له بإرادة الله أن يتحقق » .

« لقد سمعنا التهديدات توجه إلينا دون منطق بل دون وعى . ورأينا الجيوش تتجه إلى حدودنا . تحتشد وتتظاهر فى غيظ عصبى وراحت الأموال تتدفق من غير حساب . تجرب أن تكسر الضمائر لعلها بذلك تتحقق من كسر الأهداف. ولم تصل إحداها لنتيجة وإنما ثبتت القومية العربية أقدامها وقامت الجمهورية العربية المتحدة » .

وما قاله كذلك الرئيس عن سياسة الجمهورية فى حديث آخر له عن سياسة عدم الانحياز .

« كانت بلادنا محتلة وفوق أرضها ثمانون ألف جندى بريطانى . وكانت متخلفة فى تطورها وتسبب الاحتلال والتخلف فى الفساد الذى استشرى حتى قامت الثورة » .

« وأن علاج هذه الحال لابد أن يختلف فى ظروفه وملابساته ووسائله عن الدول الأخرى ولقد أعلنا سياستنا فى عدم التحالف أو بمعنى أدق فى عدم الانحياز والحياد الايجابى . وسياستنا كذلك لا تسمح بأن تكون بلادنا

مسرحا للحرب الباردة لأننا نريد أن نبنى مجتمعا تتحقق فيه العدالة والمساواة بين الجميع » .

وقد ذكر الرئيس أيضا .

« يهمنى أن تعرفوا أن جميع أفراد الشعب فى بلادنا يتابعون الأحداث السياسية ويتابعونها بفهم وذكاء ووعى ويبقى بعد ذلك أن أؤكد أنه لا يوجد تسرب شيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة كما تروى الأقاويل التى تشير إليها . ولقد كان هناك كما يعرف الجميع حزب شيوعى صغير (يقصد فى سوريا) ولكن هذا الحزب تمت تصفيته مع تصفية الأحزاب تمهيدا لقيام الاتحاد القومى . وأود أن أضيف أن العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى مبنية على الصداقة والتعاون ولا يوجد أى تدخل من أى نوع . ولقد بدأت هذه الصلات التعاونية حينما قدم الاتحاد السوفيتى إلينا السلاح بينما رفض الغرب أن يمدنا به وكان هناك فنيون من السوفييت وعقدت بيننا اتفاقات تجارية وعقدت أيضا قروض . والفنيون السوفييت يعملون فى مشروعات عديدة تدخل ضمن مشروع السنوات الخمس الذى ننفذه » .

« كما أن مشروع السد العالى يشترك فيه الفنيون السوفييت . إلا أنه لم تقع حادثة واحدة تشير إلى أن هناك تسربا أو تدخلا شيوعيا . إن الفنيين السوفييت عملوا كفنيين فقط ولم يتجاوزوا حدود عملهم كخبراء » .

وتحـــدث الرئيس كذلك عن العلاقة بإسرائيل وتحسن العلاقات معها فقال : —

« تحسن وأى أنواع التحسن ! أى أنواع العلاقات ؟ إن إسرائيل أقامت

عدوانا على بلادنا . وهى تبذل النشاط الدائب ضدنا. واسرائيل احتلت أرضا عربية هى فلسطين وشردت مليون عربى وأصبحوا من اللاجئين واستولت على ممتلكاتهم وأموالهم بغير وجه حق . وكانت هناك قرارات للأمم المتحدة بضرورة عودة اللاجئين إلى ديارهم وتعويضهم عن ممتلكاتهم ورفضت اسرائيل قرارات الأمم المتحدة بينما هى تطالب بالمرور فى مياهنا الاقليمية فى قناة السويس. وقناة السويس ممر مائى عربى ذو أهمية دولية » .

« ونحن نواجه خطر التوسع الاسرائيلى إذ أن الصهيونيين يطالبون بتوطين أربعة ملايين يهودى جدد فى اسرائيل والمعروف أن اسرائيل ليس لديها اكتفاء ذاتى فى الوقت الحاضر بالنسبة لعدد السكان فيها الآن وهم مضطرون إلى طلب المساعدات والحصول على المعونات كل عام فماذا يكون الحال حينما يزيد عددهم إلى أربعة ملايين « فبطبيعة الحال سوف تتجه اسرائيل للتوسع على حساب الجمهورية العربية المتحدة ا بإقليميها . وعلى حساب الأردن والعراق ولبنان إذ هم يقولون أن الأرض المقدسة لاسرائيل تمتد من النيل إلى الفرات »

« هذا ما أعلنوه مراراً فى اسرائيل وخاصة أثناء الإنتخابات الإسرائيلية عام ١٩٥٥ . ونحن نريد أن نحمى شعبنا من أن يصبح أهله لاجئين مشردين بسبب التوسع الاسرائيلى ونحن نصر على أن يعود اللاجئون وتتمسك بتعويضهم وإعادة حقوقهم إليهم . واسرائيل لن تستخدم القناة ولن نسمح لها بذلك » .

إن السياسة التى أعلنها الرئيس هذه تعرفها اسرائيل حقا . ولذا فهى تعمل جاهدة ضدها بكل الأساليب . ولم تكن هذه السياسة محل شك لديها فى

يوم من الأيام بل أن جميع السياسين المصريين يكررونها ويعلنونها فى كل حديث ومؤتمر وفى كل حين .

وعلى هدى هذا . فقد سبق أن أعلن نائب وزير خارجية مصر على العالم عند زيارته لأمريكا اللاتينية ما تردد صداه ورد فيه على الهجوم الإسرائيلى على الجمهورية العربية المتحدة مما يؤيد هذا كله إذ يقول : — « أنه بالنسبة لعروض الصلح التى تزعم اسرائيل أنها تريدها فانما هى خدعة منها لأن « بن جوريون » عام ١٩٥٠ صرح فى الجامعة العبرية أن اسرائيل التاريخية تمتد من النيل إلى الفرات . وقال عام ١٩٥٢ فى بير سبع أنه لا يقبل رئاسة الوزارة إلا إذا أصبح من حقه أن يتوسع عبر الحدود الجنوبية لاسرائيل . وفى عام ١٩٥٦ تقدم « بن جوريون » كذلك « وجولدا ماير » بمقترحات للصلح وكانا فى نفس الوقت يعدان الخطة للهجوم على مصر ! واسرائيل هى التى رفضت لجنة الهدنة . وقاطعت لجنة التوفيق . وقتلت الوسيط الدولى برنادوت »

ويبين من هذا كله أن اسرائيل خاصة هى التى تهتم بأمر الجمهورية العربية المتحدة باقليميها السورى والمصرى . تهتم بجيوشها وعتادها وسلاحها البحرى والجوى والبرى وبمواقع الدفاع فيها وبكل مايساعد على تعرف قواها ومايعاونها على الاعتداء عليها والاستعداد لذلك ولذا فهى تسعى بالمال والخديعة وبحرب التجسس والتخابر لمعرفتـه وهى فى حاجة إلى دس الخونة ضـدنا وإلى تنشيط حركة التخابر وخلق العملاء لجمع المعلومات وبذل الجهود الكبيرة لتعرف حالاتنا الدفاعية ومـدى تقدمنا الحربى والاقتصادى تلك

الأمور التى يجب أن تظل سرا والتى تحاول هى بواسطة عملائها أن تخترق حجبها وتصل بوسائلها إليها كما حدث فى قضايا الجاسوسية التى يذكرها الناس. وحرب الدس والخديعة هذه هى وسيلتها لأنها هى الوحيدة التى لا علاقات سياسية تربطنا بها ولا معاملات تجارية أو غيرها مع أفرادها ولا رحلات إليها ولا سفارات أو قنصليات لها بيننا. فالسبيل الوحيدة لها هى وسائل التجسس التى جعلتها إسرائيل فينا حربا علينا ومثل هذه الوسائل هى اللعب بالنار بطريقة خطرة ومن شأنها أن تجعل العلاقات الدولية حتى بين الدول علاقات عدائية بل تجعلها على شفا الحرب إن لم تكن قائمه لأن التجسس فى الواقع أن هو إلا تدخل دولة فى شئون دولة أخرى للقيام بأعمال عدائية.

الجاسوسة والتخابر :

إن تَعَرُّفْ كيف تتم وسائل التجسس والتخابر ! وكيف يختار العملاء والجواسيس. وكيف يتم تدريبهم. بحيث يكون لدى الفرد الواحد منهم المقدرة على أن يفقد اسمه ولقبه وشخصيته وأن يحمل اسما آخر بل ولغة أخرى وشخصية أخرى إذا وجد فى أرض غريبة وكيف يتظاهرون بعمل بعيد عن حقيقتهم. وكيف يتصيدون عملاءهم ويوزعون أنفسهم بل أن الواحد منهم لينتحر إذا وجد فى هذا ما يلائم سلامة مهمته وسلامة الأسرار التى يحملها وكيف يختبرون لامتحان مدى سيطرتهم على أنفسهم وقوة احتمالهم هو من أهم مباحث هذا الكتاب للوقوف على الصورة الشاملة للجاسوسية والدعاية والتخابر والمخابرات المضادة.

من المعلوم أن مستقبل العالم كله الآن يتوقف على المواهب الذهنية فى جميع المبادىء أو كما يسمونها الاستراتيجية لدولة ضد أخرى للحصول

على المعلومات الحيوية وعلى تفصيل الاستعدادات الحربية وتكييف آراء ومشاعر المواطنين فى الداخل والخارج والبحث عن أسرار الدولة والتفصيلات الدقيقة لسياستها العليا وخططها الحربية ونواياها وإمكانياتها العسكرية والاقتصادية . وتقف وراء مؤامرات العملاء منظمات غنية للدول هى إدارة الخدمات السرية لأنه فى هذا العصر الحديث تتوقف السلامة على معرفة نوايا وخطط وإمكانيات العدو . ومع تطور المجتمع نفسه أصبح العلم بأسرار الحرب غير كاف وحده لأن الحروب اليوم لا تشمل الجيوش التى تقاتل فى الميادين المنعزلة بل الأمة بأسرها . ولا تشمل القواد وحدهم بل رجال السياسة والشعب . ولا تعتمد فقط كما كان فى الماضى على المسائل العسكرية بل على الدبلوماسية والاقتصادية وغيرها وطريق ذلك كله هو المخابرات .

التخابر ومعناه وأهميته :

إن معنى كلمة المخابرات أنها المعلومات المقدرة القيمة المنقولة وهى ليست المنقولة فقط عن مجرد الإشاعات والكلام الذى يدور بين الناس فى المجتمعات وإنما المعلومات التى على درجة من الثقة . والمخابرات اليوم عبارة عن مهمة جمع المعلومات وتقديرها جزءاً جزءاً وتجميعها حتى تتكون منها صورة أكثر وضوحاً بحيث يمكن من خلالها رؤية الأشياء الواقعة والمتوقعة . ولهذا يقول أحد رؤساء أركان حرب الجيش الأمريكى « أنه بالنظر للحالة العالمية الراهنة قد أصبح من المهم الحصول على المعلومات التامة أولا بأول عن تحديد أقصى توزيع اقتصادى لقوات الجيش يتلاءم مع الحالة العسكرية لتقليل إمكانية وميزة العدوان المفاجىء . ولضمان أعظم استخدام منتج للقوات » .

وأن المخابرات هي الأساس الرئيسي لمعرفة المخاطر وحسابها ووضع الخطط والتصرف في المهات وتخصيص الموارد وإدارة العمليات . وذلك لأن وسائل المواصلات والانتقال والاختراعات الحديثة قد قصّرت العالم إلى حد أن الدولة النائية قد تجد نفسها في الطريق للباشر لعدوان عسكري أو سياسي أو اقتصادي دون أن تدري .

ومما تهتم المخابرات به كذلك ليس فقط المعلومات الحربية البحته بل بالمعلومات عن الخواص الطبيعية للدول مثل صلاحية مياه الأنهار أو كيفية تكوين التربه وقد لا ترى العلاقة لأول وهلة بين ذلك وبين الحرب ولكنه في سنة ١٩٤٢ ثبت أن مثل هذه المعلومات كانت مفيده لتغيير أحذية الجنود حتى تصبح ملائمة لطبيعة تربة الصحراء الافريقية اللينة الواقعة على الاطراف الخارجية للصحراء الكبرى عند الغزو الأوربي .

كما تهتم المخابرات كذلك بالمعلومات الدبلوماسية وعن التكوين الدبلوماسي للدول وشخصيات وزراء خارجيتها وأفرادها وسياستها الخارجية ومحالفيها والدول المعارضة والاحتكاك بينها .

كما وأن المعلومات السياسية تشتق من المعلومات الديلوماسية فمعرفة شخصيات الزعماء وأخلاقهم وكبار رجال السلطة وقواد الجيش وزعماء المعارضة وصفات السياسيين الخلقية ونفوذهم وما يدور من إشاعات حولهم أو فضائح يكونون قد انغمسوا فيها كل هذا مما تهتم به الدول .

وتهتم كذلك المخابرات بالمعلومات الاقتصادية التي لها مثل أهمية المعلومات العسكرية والدبلوماسية كالسياسات المالية للدولة والنشرات الخاصة بمنح الرخص

والحالة النقدية العامة والتأميم والتجارة الخارجية والداخلية والمحصول والمنتجات والصناعات والموارد الطبيعية والمعلومات الخاصة بالعمال وما قد تنتجه من منازعات أو اضطرابات ومعرفة أماكن منشآت العتاد الحربي الذي تتوقف عليه بصفة كلية مسألة ضرب القنابل لإزالة القواعد الصناعية للجيش وطبيعة هذه الأماكن لتمكين القوة الجوية من التدخل وقت الحاجة .

كما تهتم المخابرات أيضا بالمعلومات الاجتماعية التي تشمل البيانات التفصيلية عن الإحصاءات الخاصة بالشعب وطبقات السكان وعلاقتها ببعض وآراء الناس ورغباتهم وأطماحهم وآمالهم وما يفضلونه وما يكرهونه وروحهم المعنوية . وكذلك المعلومات الثقافية التي لها علاقة مباشرة في تكييف الشعب والرأي العام كالصحافة والراديو والتلفزيون وغيرها من وسائل الاتصال والفنون والمهن المختلفة . وكذلك المعلومات العلمية كتطور القنبلة الذرية مثلا أو الإنتاج الذرى أو كيفية تكوين المنسوجات المستخدمة في الملابس العسكرية وحالة هذه الملابس لإبطال أثر الغازات الخانقة أو المعلومات عن الجراثيم واستعمالها وكذلك المعلومات الخاصة بشبكة المواصلات والنقل في الدول الأجنبية والتي لها أهمية قصوى في عمل حساب الإمكانيات العسكرية وشبكات الخطوط الحديدية وأجهزة تحويلها ونظام الإشارة ونقط الاتصال الرئيسية والمخازن ومراقبة تحركات الجنود وقت السلم والحرب وكيفية نقل البضائع وحركة القطارات وكلها مما يهتم به العدو عند الهجوم الجوى في الوقت المناسب . كما وأنه في المجال السياسي تعتبر معرفة الشخصيات الهامة في الدولة التي تجرى دراستها من الأهمية بمكان كما أن المعلومات الخاصة

بأفراد التكتيكات مثل أطقم الملاحين على البواخر أو داخل الغواصات وكذلك ضباط السريات فى القتال وقواد الطائرات وذلك ليمكن استغلالها فى الوقت المناسب . كما أن كل المعلومات مهمة حتى ولو لم تكن عاجلة لأنه يجب أن تكون معدة فى الملفات الخاصة عندما يحتاج إليها . كما وأن أهم عمل للمخابرات بعد ذلك هو إعداد الملخصات والتقديرات وتنسيق المعلومات وتبويبها التى يقوم بها اخصائيون يقدمونها للرئاسات العليا لأن جمع المعلومات وتقدير قيمتها ثم كيفية توزيعها هى أهم خدمة للمخابرات الحديثة ولا يقتصر الأمر فى جمع المعلومات على المصادر السرية والعملاء بل قد تؤخذ من المصادر العلنية كالصحف والكتب والراديو والمستخرجات الأخرى وقد تكون المعلومات لا علاقة لها مباشرة بالموضوع المخصص لها ولكنها تعزز معلومات معروفة سابقة له . بل أن بنود المعلومات ولو كانت تافهة فإنها قد تستخدم فى دعم معلومات سابقة يرسلها الملحقون العسكريون أو رجال القنصليات والدبلوماسيون وتدعم المعلومات بما يستخرج من الرقابة على البريد على الخطابات والبطاقات التى تقرأ أو تؤخذ صورها بواسطة الرقيب بل هناك معلومات شفوية من الأشخاص الزائرين أو المواطنين العائدين للبلاد . كما وأنه يستفاد كذلك من الصور الفوتوغرافية أو ما تنشره الصحف وقد يستفاد من الصور التى تسمى باللقطات الإخبارية كحطام قطار أو نفق أو كوبرى أو قاعدة ما . إلا أن أهم المصادر هم المخبرون أو العملاء إذ عن طريق أولئك الأفراد الذين يقدمون المعلومات متطوعين أو غير متطوعين حسنى النية أو سيىء النية يمكن الوصول إلى الكثير بل أن المعلومات التى تعطى من مخبر لا يشعر بالارتياب قد تؤدى للحصول على معلومات مهمة أكثر مما لو استخدم فيها الجواسيس . كما وأن خبرا بسيطا عن مأدبة غذاء لبعض الساسة

أو القادة ليستدل منه على الكثير إذا كانت قد سبقته معلومات أخرى عن الوضع بين البلدين .

وتحصيل المعلومات مهمة تدريبية فقد يتطلب بعضها السفر إلى منطقة معينة بقصد المشاهدة أو الدراسة أو مراقبة موضوع مكشوف للمشاهدة دون حاجة للالتجاء للوسائل السرية ويمكن أن تتوافر هذه المعلومات للاخصائى الخبير دون الالتجاء إلى الاختفاء كمشاهدة افتتاح عرض عام للبواخر البحرية فى الميناء أو المسابقات الجوية أو الاستعراضات العسكرية أو المعارض الصناعية .

أهداف الجاسوسية : —

وأهداف المخابرات والجاسوسية هى سياسية وعسكرية وإقتصادية . والجاسوسية كما تقدم هى محاولة الحصول على معلومات لا يمكن الحصول عليها بالطرق العلنية العادية ويكون هذا بالإستخدام المنظم لعملاء سريين مدنيين او عسكريين من أبناء الأمة أو غيرهم ممن يؤجرون لهذا وكل عمل يعمل لصالح العدو بعد إعلان الحرب يعتبر جريمة حرب ولكن اعتباره « جاسوسية » أو حسبانه « خيانة عظمى » فمسألة تتوقف على الظروف وعلى قانون كل بلدة . ويحاكم الجواسيس لمحاولتهم الحصول على معلومات لها خطرها تضر بأمن البلاد .

والجاسوسية نوعان سياسية وعسكرية : —

أما السياسية فغرضها الأساسى الحصول على المعلومات الخاصة بالسياسة

أو الإقتصاد أو الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو العمل أو النقل ويقوم بها الأفراد كما قد تتولاها الحكومات فى النطاقين الداخلى والدولى إلا أنه قد يستخدم الجواسيس والعملاء السريون لتكون الدولة على علم بنشاط واتجاهات الدول الأخرى التى تعنيها علماً بأن الدول جميعا تذهب إلى حدود بعيدة لاخفاء شئونها وتجعل السرية سياجا لها وتفرض القوانين الشديدة لتأمين الأسرار ولذا أوجدت الجمهورية السوفيتية نصاً فى الدستور الروسى يقضى بأن المحافظة على الأسرار هو واجب أساسى لكل مواطن ويصف إفشاء هذه الأسرار بأنه من أشنع الجرائم كما وأن غالب الدول تعاقب الخونة الذين يذيعون المعلومات السرية بعقوبة الاعدام وذلك إعتماداً على الأساس القانونى والقاعدة المسلم بها من أن لكل دولة الحق فى أسرارها الخاصة وأنها فى نفس الوقت ملتزمة بالمحافظة عليها .

والجاسوسية العسكرية : هى البحث عن الخطط الإستراتيجية للجيش ذلك لأن لكل دولة أسرارها العسكرية .

والجواسيس على أنواع مختلفة . وأهمهم من يعمل للحصول على المعلومات السرية وهم من يسمون بالعملاء أو «العملاء السريون» ومنهم « العملاء المقيمون » . « والعملاء المؤقتون » الذين يكلفون بمعلومات عارضة أو مهام معينة ومنهم « السعاة » وهؤلاء لا يشتركون فى جمع المعلومات وإنما يوصلونها فقط . وهناك عدد من الفنيين والاخصائيين كعمال الراديو السريين والخبراء فى الكتابة السرية والكيماويون المختصون بالحبر السرى وهناك المذيعون وهناك جواسيس يعملون فى تجنيد الأشخاص أى اصطيادهم للعمل

فى الجاسوسية وإلتقاط من يتوسمون صلاحيتهم للعمل فى شباك الجاسوسية .
« والوسطاء » أيضاً وهم من يكونون حلقة الإتصال بين الجواسيس أو بين جاسوس مخفى الشخصية وآخر وهناك من يسمونهم « صناديق البريد » الذين يستخدمون كنقط تحويل أو إتصال وهؤلاء يوجدون عادة فى الدول المحايدة لكى يتسلموا المراسلات ويقدمونها إلى منظمة الجاسوسية للدولة . وهناك جواسيس يقدمون المعلومات عن زملائهم أو يتحرون حقيقة أمرهم أى هم جواسيس على الجواسيس .

ولتنظيم إدارة الجاسوسية قد وجدت بها درجات مختلفة حتى تصل إلى رأس الفرع وهو ما يلقب عادة « بالمدير » ومنهم « الحاملون » المعلومات ثم « الناقلون » حتى لا تفشى الأسرار ولا يعرف البعض البعض وكل ذلك لوضع ستار كثيف يحجب العملاء العاملين والواجب الأول للعميل أى الجاسوس أن ينشىء بنفسه وسيلة استتاره وتخفيه من الأسماء المستعارة التى توضع لكل أعضاء التنظيم وهى ما تسمى « الأسماء الحركية » وأن يخفى ويغير فى كيفية التراسل كعدم الذهاب من طريق واحد واختلاف الطرق واختلاف الوسائل واختلاف الأسماء .

أما « التجنيد » فهذا يقتضى كياسة ومهارة والعادة أن يقع الإختيار على البعد ثم تبدأ عملية جس النبض كما أنه يقع عادة كذلك على أشخاص ممن يعرف عنهم حب النفس أو الاثرة أو ممن يحبون للمغامرات أو ممن يدفعون للعمل وخيانة بلدهم للعلم بكراهيتهم لها لظروفهم أو لشعورهم بالاضطهاد أو بسبب مركبات النقص التى تحفز أمثالهم على الطمع أو الحقد أو حب المال

أو مسيس الحاجة للنقود أو من عرفوا بشذوذهم أو بولعهم بالنساء وغير هذا من نقائص النفس البشرية التى تعمى الانسان عن الصراط المستقيم وتغريه بالخيانة والشر .

عملية التجسس : —

ويجب كذلك فحص عملية الجاسوسية وتفهمها بعد أن قدمنا كيف تنظم وكيف يختار الجاسوس . أما كيف تسير العملية نفسها فان عمل الفرد الذى يختار للتجسس يبدأ من يوم اختياره وينتهى باتمام العمل الموكول إليه . وفى الغالب يعمل كل جاسوس وحده إلا أن الأمر يقتضى فى بعض الأحيان إلى توجيه واحد يجمع ثم آخر يوصل وينقل. كما يحتاج إلى اتصالات من الجهة التى يعمل بها إلى المكتب الرئيسى أو المركزى إذ يوجد بكل جهاز . للاتصال والمراجعة والرقابة لأنه من الواضح أن الجواسيس الذين يعملون لا يستطيعون الذهاب إلى المصارف ليسحبوا النقود ولأن اى حساب جار فى البلدة التى يعمل بها الجاسوس قد يكشف عن حقيقة أعماله حتى لو كان ممن قضوا فى البلدة مدة طويلة أو من أهليها . ولأنه لا يستطيع أن يوضح طرق كسبه ووسائله الجديدة ولا أن يدفع ضريبة الدخل عما يكسبه إذ المعلوم أن كل عمليات الدفع تكون غالباً بعملة البلدة التى يعيش فيها وترسل إليه بواسطة الدولة التى تستخدمه أو عملائها أو ينقلها له رسل يختصون بعملية النقل بطرق سرية خاصة كوضع النقود بصناديق البريد أو بجهة خاصة متفق عليها مما يقتضى السرية التامة .

كما وأن الجاسوس لايستطيع أن يشترى مايحتاجه فى عمله من البلد الذى يعمل فيه لأنه إذا اشترى المواد الكيماوية التى يحتاجها لمزج الحبر السرى مثلا أو الاقلام التى يستخدمها فى التصوير فقد تؤدى عملية الشراء إلى تعقبه والقبض عليه ولذا فان العمل يسير على أن كل ما يحتاج إليه الجاسوس العميل من مواد كيماوية أو أحبار سرية أومظهرات الأحبار أو أجزاء للجهاز اللاسلكى أو قذائف السلاح الذى يستخدمه يجب أن ترسل إليه بوساطه التهريب من مركز رئاسة الجاسوسية الذى يتبعه . ولذا كان لابد من وجود أشخاص آخرين يعملون مع الجاسوس ويستند إليهم حتى ولو كان لا يعرفهم وإنما هم من الشبكة نفسها وهم يمدون له بعض الأشياء أو يستخدم جهازهم اللاسلكى أو يتيه لديهم . وهذه المنظمات تقدر من البداية ما يحتاج إليه الجاسوس وتمد له طرق النجاة وطريقة الدفاع عن نفسه إذا ماضبط . لأن لها من الخبرة والدراية الكثير وهى توجه عملياتها بطرق مختلفة سبق إعدادها ولابد أن يمر الجاسوس بمراحل منها اختباره بعد اختياره ثم تجنيده بعد نجاحه فى الاختبار وتحرى صدق معلوماته ثم تدريبه ثم إعداده للعمل الذى سيقوم به وإعداد وسائل تراسله وتخفيه وإصدار التعليمات له بكيفية التصرف وكيفية عقد الاجتماعات مع الأفراد وكيفية الحصول على المعلومات دون أن يتوجه الشك إليه وغيرها من وسائل المواصلات والنقل ووسائل الأمن والرقابة .

وعملية الاختيار : هى عملية هامة تحتاج إلى اخصائيين واجبهم الوحيد هو تخير من يصلح وتتم تدريجيا قبل ضمه نهائيا . وبعداختباره تعطى لهؤلاء أسماء مستعارة وشخصيات مختلفة ويدرب العملاء على أحدث الأساليب للتمييز بين الأشياء ذات القيمة العسكرية وعلى استخدام آلات التصوير

ونظارات الميدان وكيفية الملاحظة والمراقبة وكيفية تسجيل الملاحظات والرسم الكروكي والتخطيطي السريع وكيفية كتابة التقارير بالحبر السري وترقيمها وطريقة إخفائها ثم التدريب على أعمال الشفرة . وكيفية اخفاء المعلومات بوساطة وسائل بريئة المظهر . فالأرقام والأبعاد والمسافات يمكن مثلا تسجيلها على أنها مصروفات شخصية . والتنبيه بضرورة إحراق الرسائل أو الأوراق وإخفاء بقاياها . وعدم التعجل في طلب المعلومات ومعرفة هل هو متبوع أم لا وعدم السكر حتى يفقد الوعي وعدم مصادقته إلا النساء في الغالب وعدم المبالغة في وسائل التخفي وأن تكون وسائل التعارف بحمل جريدة أو حمل دخان خاص أو غيرها أو أسئلة عن الطرق أو عن الأسماء أو ارسال تحيات من شخص آخر إذ أن كل هذه الاحتياطات هي من ضرورات الأمن وسلامة العملاء .

استعمال البريد :

البريد هو الوسيلة المثلى التي لا تزال باقية للآن ولذا تستخدم الدول في زمن الحرب أو في بعض ظروف الطوارئ الرقابة على المراسلات البريدية سيما الواردة من الخارج أو المرسلة . فان العملاء دائما يستخدمون وسائل كثيرة لخداع وتضليل الرقباء منها كتابة الرسائل بالشفرة أو بالحبر السري الذي لا يوجد مظهره إلا لدى المرسل إليه زيادة في الحيطة وتنويع الأحبار ومظهراتها وكذلك طريقة التصوير الفوتوغرافي لتصغير الرسائل إلى نقطة أو حرف . ولا ترسل الرسائل مباشرة إلى منظمة من المنظمات بل إلى عنوان شخص آخر لشخص يعمل كوسيط أو إلى صناديق بريد أو للحفظ في صندوق البريد .

أو إلى مسجونين لايعلمون شيئا وقد ترسل الرسائل الهامة التى يبعث بها العملاء على مراحل حتى لايفهم مضمونها أو ترسل إلى جهات متفرقة، حتى يفهم وصولها جميعها إلى أمكنة ارسالها أن العميل فى أمان . وإذا عرف وسيط تغير واستبدل بوسيط آخر وهكذا أو ترسل بالشفرة ويكون باطنها مفهوما وظاهرها عن مسائل عادية خاصة بالعمل أو بعلاقات شخصية أو مجرد أخبار تافهه أو عادية .

ويتبع فى إرسال المعلومات بالشفرة نظما خاصة فتكتب المعلومات بلغة ظاهرة عادية ثم تنقل إلى رسالة بالشفرة ويقسم التقرير إلى مجموعات كل منها يحتوى على حروف ثم تصور وتصغر وقد تخفى فى بطاقة بريد وسط صورة ظاهرة أخرى مثلا .

وغير ذلك من الطرق الكثيرة التى تعلم للعملاء ويدربون عليها ككيفية اخفاء الرسائل فى كعوب الأحذية أو فى أزرار الثوب أو فى ثنايا القبعات أو فى معجون الأسنان أو فى الأغذية المحفوظة أو الفواكه المسكرة أو قطع الصابون أو تخفى فى العين الزجاجية لفراء رسولة حسناء .

وكذلك تستخدم أجهزة الارسال السرية وأجهزة الاستقبال إلا أنه لما كانت مثل هـــذه الأجهزة قد تنم بذاتها عن كثير فيجب أن يحاط استعمالها بالسرية فيكلف العميل دائمـــا بعدم السكنى فى فنادق . أو بنسيونات وإنمـــا يستأجر طابقا علويا من مسكن ماليستطيع أن يستخدم أجهزته وأن يضع أجهزة ارساله فيه وهذه الأجهزة عادة تكون صغيرة يسهل

اخفاؤها . ولأن الرسائل التى ترسل بالشفرة يجب أن تحول إلى لغـة عادية فيجهز العميل بكتاب للشفرة يتفق عليه وعلى وسائل حله وكيفيته .

وغنى عن البيان أن القصد من استخدام الشفرة والـكلمات «الـكودية» هو منع قراءتها أو فهمها فيما لو استطاعت إدارة الرقابة ونجحت فى التقاطها ولذا وجب أن تغير أطوال الموجات وأوقات الارسال واشارات النداء لعرقلة نجاح العدو فى التقاط الرسائل أو حتى معرفة أماكن المحطات وموجاتها . وتجرى العادة على أن يستخدم الراديو لإرسال الرسائل أيضا على نظام التلغراف المعروف بطريقة « مورس » أى أن ترسل الرسائل عليه بالاشارات لا بالحديث وذلك لأن إرسال الاشارات بطريقه مورس يصعب التدخل ضدها لاستماعها أو اعاقتها ولأنها لا تتطلب أكثر من كيلوسيكل واحد بينما استخدامه على نظام التليفون أو الحديث يتطلب ذبذبات كثيرة من ستـة إلى سبعـة كيلوسيكل كما انه من السهل سماع الرسالة على نظام التليفون بل وتمييز صوت مرسلها وأخذ تسجيل له مما يؤدى عادة إلى معرفته أو إقامة الدليل ضده بعد ذلك .

ونظرا لخطورة الرسائل المرسلة بأجهزة الراديو تتخذ وسائل الأمن والوقاية . ولذا يلقن الجاسوس التدابير الاحتياطية التى تمكنه من المحافظة على سلامة نفسه ويفهم كيف يتعقب البوليس الجاسوس. ولذا وجب عليه الحرص على أن تـكون تصرفاته ظاهرة وعلى أن يستخدم خادمة واحدة ويحسن أن تـكون عجوزا وأن يعد لها غرفة بعيدة وأن يخرجها من المسكن بعد انتهاء عملها وأن يعرف كيف يفك جهاز الارسال ويخفيه وأن لا يستخدم مكانا

واحدا للارسال فى بحر مدة كبيرة كما يتحتم أن لا يعرف العملاء بعضهم البعض ولا أسماء بعض بل تعطى لهم أسماء « كودية » وأن تعدم الوثائق والأوراق بمجرد انتهاء اللازم منها وأن يكون للجاسوس عمل آخر برىء المظهر لاصلة له بالجاسوسية للتمويه وأن يعلم ويمرن طويلا على كيفية الكتابة الرمزية وكيفية استخدامها وفك رموزها وكذلك الكتابة بالحبر السرى وكيفية إخفائها ثم كيفية إظهارها .

التخريب نوع من الجاسوسية :

والتخريب هو صورة من صور التجسس وعمليات التخريب هذه هى المعروفة فى الاصطلاح الانجليزى والفرنسى بكلمة « Sabotage » أى الإتلاف وأصل هذه الكلمة مشتقة من كلمة « Sabot » وتعنى هذه الكلمة الحذاء الخشبى الذى ترتديه الطبقات الفقيرة فى بعض البلاد الأوروبية فى الشمال وقد كان هذا الحذاء الخشبى يعتبر رمزاً للثورة ضد أسياد الإقطاع والمحتكرين فقد كانت الأحذية الخشبية تلقى فى آلات المصانع طوال فترات الإضراب فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى تتعطل الآلات وتقف عن العمل وهكذا استعملت هذه الكلمة لتعنى التخريب لممتلكات الغير .

والتخريب الذى تستخدمه الدول ضد بعضها بواسطة عملائها إنما يهدف إلى إتلاف وتدمير النظام العسكرى أو الاقتصادى وتدمير الوسائل التى تعدها الدولة للانتاج الصناعى أو الغذائى أو المواصلات وبعبارة قصيرة تخريب كل مايعاون المجهود الحربى للعدو .

وعمليات التخريب تنظم بشتى الوسائل فى المناطق الرئيسية كالمصانع

أو المؤسسات الهامة ويقوم بها أفراد يسمون أنفسهم « جنود التخريب » فني انجلترا وأوروبا يسمون « الكوماندوز » وفي أمريكا المغيرون أي الـ « rangers » وفي روسيا الأنصار . أي « the partisans » ونطلق على بعضهم هنا « الفدائيين » .

وتتم عمليات التخريب إما بكسر الآلات والمصانع أو بالحرائق أو إلقاء المتفجرات — كما حدث بمصر في عملية التخريب التي سميت أخيرا باسم عملية لافون والتي سبق أن تحدثنا عنها — أو بإلقاء المواد الحارقة أيضا على مراكز القيادة أو الإدارات الحكومية أو جهات البرق أو محطات الرادار أو مستودعات الذخيرة وبالجملة المنشآت الهامة للدولة أو التخريب البحري في الموانى والمنشآت لتعطيل عمليات الشحن والتفريغ .

ونتيجة لهذا كله فكرت بعض الدول الآن — وبعضها يتبارى في كيفية استعمال المواد السامة أو الأسلحة الذرية — في أن يجاهد العالم جميعه وعلى الأخص الدول الحيادية لوقف آثار هذه المخترعات المفنية للبشرية .

خطورة الجاسوسية :

إن خطورة أعمال الجاسوسية وخفائها يقتضي من الدولة دائما أن تبذل الجهود المضنية للعناية بأمر مكافحتها . ولذا قد عنيت الجمهورية العربية المتحدة ممثلة في إدارة مخابراتها بمكافحة الجاسوسية وبذلت من الجهود كبيرها ووضعت النظم الوقائية وأحكمت أمور رقابتها على المطبوعات والمراسلات والمحادثات المرئية طبقا لقانون الطوارىء حتى تحفظ للبلاد أمنه ولتمنع الأعداء من التسرب

بيننا والحصول على المعلومات التى يريدون استخدامها للاعتداء أو لبث روح التذمر والفرقة بالإشاعات الكاذبة . ومكافحة الجاسوسية عمل يتطلب أن تكون المقاومة على نطاق واسع . وأمر مطاردة الجواسيس الذين يعملون لخيانة البلاد هو واجب من أشد الواجبات وأكثرها تعقيدا ولذا عدلت الحكومة القانون ليفى بالغرض المطلوب منه وقررت المواد التى تنص على أن أوراق الدولة تعتبر سرية وأن المعلومات العسكرية وغيرها لا يسمح بنقلها أو البحث عنها أو إذاعتها إلا إذا أذن كتابة بذلك من المسئولين . لأن الواقع أن نجاح الجاسوس فى الوصول إلى بعض المعلومات الخطيرة أو غيرها لا يرجع إلى نقص أو ضعف نظم هيئات المكافحة بل يرجع فى الغالب إلى نقص التدابير الوقائية فيما يختص مثلا بكيفية استئجار الأشخاص أو توظيفهم سيما الأجانب منهم أو طريقة حفظ الوثائق أو منع الجمهور من زيارة بعض الجهات أو منع التصوير فى جهات أخرى أو زيارة غير المسئولين للمصانع أو معامل الأبحاث بل قد يصل الأمر إلى أن يضطر جهاز المخابرات الخاص بمكافحة الجاسوسية أن يترك العميل حرا تحت المراقبة لأنهم لو كشفوا عنه قبل موعده لواجهوا فى الخفاء عميلا آخر يجهلونه يكون قد حل محله بل أنهم قد يعملون للانتفاع بالعميل نفسه إذا ماتم ضبطه حتى يوجه بقصد آخر لنقل معلومات كاذبة أو محرفة إلى أولئك الذين يستخدمونه بغية الوصول لمعرفة الباقين ومعرفة أسرارهم .

* * *

البحث القانونى

الباب الثانى

البحث القانونى

الآن وقد انتهينا من الباب الأول من هذا الكتاب من إلقاء نظرة تاريخية على التجسس والجاسوسية وعمل الدول فيها وكيف تسير وتختار عملاءها فقد آثرنا فى هذا الباب الثانى أن نستعرض المواد التى تعاقب على الجاسوسية ومقارنتها بغيرها والجرائم التى نصت عليها وأن نشرحها ونبسطها حتى يستفيد منها طلاب القانون كما يستفيد منها القارىء فيبتعد عما يؤذيه ويؤذى بلاده أو ما يضعه فى مواضع الزلل والشبهات . وبعد نهاية الباب الثانى سنعرض للقارىء فى إيجاز بعض قضايا الجاسوسية الهامة التى وقعت بمصر والتى تمت عما كانت للمتهمين فيها وبعض القضايا الأخرى الغريبة التى وقعت فى الخارج وكيف حدثت وكيف عرفت وما انتهت إليه مما يكون شائقاً للمتتبعين .

قبل أن نتحدث حديث القانون وهو حديث جاف على غير أهله فإنى سأجتهد فى أن أقربه للأذهان وقبل أن أبدأه أود أن أشير إلى أنه يجب التفرقة كثيراً بين ما يسمع أو يقرأ عن تحقيق الجنايات العادية والكشف عنها وبين الكشف والبحث عن وسائل التجسس والجواسيس .

التحقيقات :

فالتحقيقات الجنائية تبدأ على مسرح الجريمة حيث يمكن أن يوجد البلغون وتحصر الأدلة وترى الآثار المادية ويعثر على الشهود الذين يشهدون وتعرف الدوافع الظاهرة التي تؤدى إلى إثبات الجريمة .

ولكن الأمر يختلف جداً فى قضايا الجاسوسية ومنطقها فمن النادر أن يكون هناك مسرحاً للجريمة وحتى إذا وجـد الباعث أو الدافع فلن يكون بقوة الدافع فى الجرائم العادية كالقتل وغيره ولذا يتطلب الأمر جهداً ومهارة فى إحكام الرقابة والتحرى وفى ضبـط الرسائل والكشف عنها وهى عادة تكتب بأحبار سرية أو بشفرات خاصة كودية . وذلك لأن العملاء السريين أنفسهم يعرفون تماما الوسائل التى تستخدم ضدهم ويتدربون من أول الأمر على إخفاء نشاطهم وقد يستطيعون الفرار والنجاة من المراقبة الدقيقة بل قد يدافعون عن أنفسهم بما يجوز قبوله لو أخـذ على ظاهره دون الإتجاه إلى التنقيب والبحث فى حقيقته وعلاقته . والحقيقة أنه إذا كان العملاء والجواسيس يغامرون بمواجهـة الأخطار فان الدول التى يعملون فيها وضدها هى إنما الأخرى تخاطر بأداتها لأن الجاسوسية مباراة للأخذ والعطاء ولأن لها اليوم أهميتها ولا تستطيع دولة ما أن تهملها إذ أن مكافحة الجاسوسية هو خط الدفاع الأول لكل دولة فى دنيا اليوم مع أحداثها التى تعيش فيها أو تسمع بها أو تراها .

البحث القانونى

إن أساس هذه البحوث كلها يرجع إلى ما كتبه شراح القانون ولهم فضل السبق والمعرفة « جارسون » « وجارو » « ودونديه دى فابر » ومختصر داللوز وبحث المستشار محمود اسماعيل والدكتور القللى وما استقرت عليه أحكام النقض فى فرنسا . وما ذهب إليه شراح القانون الجنائى وأخصهم « بيير كازايانكا » فى تعليقاته على قانون العقوبات الايطالى والمذكرات الإيضاحية للقوانين المصرية وعلى الأخص قانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ والقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٥٧ المعدل لأحكام قانون العقوبات والذى يطبق الآن فى الجمهورية العربية المتحدة .

لقد نقلت أصلا جرائم أمن الدولة من جهة الخارج أى الجرائم التى تمس سلامة الدولة فى كيانها كوحدة دولية عند وضع قانون العقوبات المصرى سنة ١٨٨٣ عن القانون الفرنسى واقتبست كلها من مواده من المادة ٧٥ إلى المادة ٨٥ عقوبات فرنسى وظلت دون تعديل إلا فى القليل عند تعديل قانون العقوبات المصرى سنة ١٩٣٧ ثم ادخل عليها التعديل الرئيسى الجدى فى سنة ١٩٤٠ عندما قامت الحرب الكبرى سنة ١٩٣٩ فى أوربا وشملت مصر إذ تنبه أولوا الشأن إلى ما فى مواد القانون من نقص ذريع وما فى نصوصه من قصور مما يجعل البلاد مهددة فى صميم كيانها حيال الدول الأخرى لأن نية المشرع الأول الذى استقى منه المشرع المصرى أصلا مواده كانت منصرفة إلى حماية الجمهورية الفرنسية من أعدائها المهاجرين منها وإلى تأمينها ضد مكائدهم

ومناصرة الدول الأخرى لهم فكانت النصوص متسقة مع هذا الغرض فقط .
على أن تطور الظروف الاجتماعية وتطور أساليب الصراع بين الدول ونشاط الجاسوسية فى كل منها وبث عيون الدول المعادية بعضها على البعض فى كل مكان والإغداق عليهم بغير حساب للوقوف على الأسرار الحربية والسياسية وبذر بذور الهدم فى شتى الميادين المختلفة كل ذلك قد دعا المشرع الفرنسى إلى العمل على معالجة هذه الأخطار الجديدة فى قانون الجاسوسية ١٨٨٦ — ولما أظهرت الحرب العظمى خطر الجاسوسية أيضا فى وقت السلام والحرب معا ضيق المشرع من شباك العقاب حتى لا تفلت الأفعال الاجرامية الكثيره — كما أنه لما امتد شر الجاسوسية فى أيام السلم كذلك فى الميادين الاقتصادية والصناعية والدبلوماسية والميادين المعنوية جميعها وأصبحت الدعايات الخبيثة من أمضى الأسلحة التى تعمل على تفكيك وحدة الأمة بشتى الوسائل وأضعاف الروح المعنوية بالوعد والكذب والاختلاق وبدأت الدول المعادية تتخذ أعوانا لها من فئات المتزمرين أو الحاقدين أو المرتزقين أو الخونة أو ذوى الغفلة بدأ المشرع الفرنسى يفكر جديا فى تعديل النصوص مرة أخرى وعنيت الدول الأجنبية جميعها بذلك فأصدر المشرع الفرنسى قانونا جديدا سنة ١٩٣٩ عدل به الأحكام القديمة .

المشرع المصرى :

ولم يتوان المشرع المصرى فى أن يجارى روح العصر ولم يقصر فى حماية البلاد من هذه الأفكار فأصدر القانون رقم ٤٠ لسنتى ١٩٤٠ وعدل بموجبه أحكام الجرائم المختلفة بأمن الدولة معتمداً فى ذلك على القانون الإيطالى والتركى

والرومانى ووضع مذكرة إيضاحية وافية كما سبق عند فحص كل مادة من مواد القانون المطلوب تطبيقها فى هذه القضية والقضايا المماثلة .

ولذا جاء فى المذكرة الايضاحية لهذا القانون : — (أن الباب الأول من الكتاب الثانى من قانون العقوبات الخاص بالجنايات المضرة بأمن الحكومة من جهة الخارج المعمول به إذا قورن بمثله فى القوانين الأخرى يجب أن يعتبر نظاما تشريعيا ناقصا لا يتفق مع مقتضيات الأحوال الحاضرة .

إذ أن الباب نفسه لا يتضمن غير تسع مواد تنص الأربعة الأولى منها على الأفعال التى ترتكب فى سبيل إثارة حرب ضد مصر (مادة ٧٨) أو مساعدة العدو أثناء الحرب بالاندماج فى صفوفه (مادة ٧٧) أو تسهيل دخوله فى القطر أو تسهيل تقدم سيره فى البلاد أو بالعمل على انتصاره — بأية طريقة كانت (مادة ٧٩ ، ٨٥) — أو افشاء الموظف أو مأمور الحكومة سرا خاصاً : — بمخابرة أو ارسالية عسكرية أو رسومات الاستحكامات أو الترسانات أو الموانى ويكون هذا السر قد أودع إليه أو علم به بطريقة رسمية أو بسبب وظيفته وعلى تجريم من « يخفى الجواسيس » .

ومفهوم هذه الأحكام كلها بادىء ذى بدء فى إشارتها للعدو أن الجرائم إنما ترتكب فى زمن الحرب إلا أنه لما كانت جرائم أمن الحكومة يجوز كما ترتكب فى زمن الحرب أن ترتكب وقت السلم أو عند اتخاذ العدة للحرب . فينبغى للحكومة ألا تقف مكتوفة الأيدى إزاء أفعال من شأنها إضعاف الدفاع عن أراضيها أو الاضرار بها أو أفعال قد يترتب عليها فيما بعد آثار بالغة على سير الأعمال الحربية أو أعماله الدفاعية فضلا عن أن كثيرا من الجرائم لم ينص عليها أو أن النص عليها غير واف لأنها نقلت أصلا عن قانون

فرنسا سنة ١٨١٠ أيام كانت لا تتناول غير الجرائم التي كانت معروفة في عهد حروب نابليون .

ولما كانت الحروب قد اتخذت صورا وأساليب لم تكن معروفة في الماضي حين كان القتال قاصرا على قوات تتلاقى أما اليوم وقد اتخذت الحروب حتى في ساحات القتال صورا أعقد وأشكل كثيرا من ذي قبل فوجب أن تستمد لها كل قوات الأمة لأنها تقع كذلك في ساحات الميادين الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية ولذا فقد استحدثت أنواع من الأفعال الجنائية لم تكن تعرف في الماضي وأصبح من الفروض على الدولة أن تتقيها وتدفعها عن نفسها .

ولهذا قد عدلت الحكومات أغلب قوانينها ومنها تركيا سنة ١٩٢٦ وإيطاليا سنة ١٩٣١ ورومانيا سنة ١٩٣٧ أما البلاد الأخرى جميعها وهي فرنسا وبلجيكا وبريطانيا فقد عدّلت كذلك قوانينها مرارا من قبل ولذا رأت الحكومة المصرية أن الأوفق فيما يتعلق بهذا الباب أن تصوغه من جديد بتعديل أوفى وأشمل وأن لا تفرق بين الوطني والأجنبي في العقاب أو التسمية إذ كانت الجرائم إذا ارتكبها الوطني تعتبر خيانة عظمى وإذا ارتكبها الأجنبي تعتبر تجسسا .

وعلى هذا الأساس عَـدّلَ القانون صياغة المواد « فعبارة » رفع السلاح على مصر التي هي عبارة ضيقة المدلول ولا تتفق كثيرا مع أحوال الحروب الحديثة . وكذا عبارة « الاتصال بصفة غير مشروعة بدولة أجنبية أو أحد مأموريها » رؤي أيضا أن يضاف إليها : « أو أي شخص يعمل لمصلحتها » لتكون أوفى وأشمل : لأنه كان يجب أصلا لتقع الجريمة أن يثبت الاتهام أن الشخص الذي اتصل به الجاني هو أحد مأموري الدولة الأجنبية — وكان

هذا الاثبات متعذراً فى الكثير من الأحوال لأن هذه الصفة تترتب على وجود وثائق أو وقائع لا يمكن معرفتها إلا بتحقيق فى الخارج وكان من الممكن مع وجود هذه القيود أن تفلت من العقاب أعمال إجرامية لا شك فى أنها ترقى إلى استعداء دولة ما على مصر أو تمكينها من العداون بسبب عدم إقامة الدليل على ركن من الأركان المكونة للجريمة كما رؤى أن تحذف عبارة الحرب والمحاربة لما دلت عليه الحوادث من جواز ووقوع قتال دون إعلان حرب ما . (المادتين ٧٧ ، ٧٨ قديمة ومعدلة) .

كما أنه بالنسبة المادة ٧٩ قديمة وهى الخاصة « بالقاء الدسائس لتسهيل دخول العدو أو تقدم سيره » فقد رُؤى التوسع فيها لأن التخابر مع الدولة الأجنبية قد يكون له أغراض أخرى لا تخلو من المساس بأمن الدولة غير دخول العدو وحده فوجب أن لا تفلت من العقاب . فجعلت لذلك مادة خاصة أيضا وحدد لهـــا قصد خاص هو الإضرار بمصر كما اعتبر التخابر مع دولة معادية دليلاً على سوء القصد . وشدد العقاب بالنسبة للموظف أو الشخص ذى الصفة النيابية العامة — أما بالنسبة لأسرار الدولة وافشائها ومنع الدعاية المثيرة فنظرا لأن القانون القديم لم يكن ينص إلا على « إفشاء سر مخابرة أو إرسالية عسكرية أو رسومات الاستحكامات أو الموانى أو الترسانات » ولقصور هذا النص وعدم كفايته حتى فيما يتعلق بالأسرار الحربية الصرفة فقد رؤى تعديله لأنه كان من أثر تعقد الحروب الحديثة أن زاد عدد ونوع الأشياء التى يجب أن تظل مجهولة من الدولة الأجنبية والتى إذا عُلمت أضرت بالاستعدادات الخاصة بالدفاع عن البلاد فى زمن السلم وبالدفاع ذاته فى زمن الحرب . كما أنه هناك معلومات كثيرة فى النواحى السياسية والاقتصادية والعلمية

والصناعية يجب أن تظل مكتومة كذلك لما قد يترتب على معرفة الدول الأجنبية لها من اضعاف لقوة البلاد — فمثلا البيانات الخاصة بحالة التموين فى البلاد فيما يتعلق ببعض الحاصلات أو المحصول الرئيسى أو بمقدرة إنتاج المصانع الحربية أو بطرق الصناعة أو بالاختراعات العلمية التى ترمى إلى تغذية التسليح هى من الأسرار الهامة التى يجب إخفاؤها عن الدول الأجنبية وليست هى من هذه الناحية بأقل من رسومات الاستحكامات أو الخطط التى تقرر هيئة أركان الحرب اتخاذها فى الأعمال الحربية — ولذا عُدلت المواد أخذا بالقوانين الأخرى الأجنبية لتشمل كل ما يعد من الأسرار — وجعل للحكومة الحق فى تقرير أهمية هذه المعلومات وضرورة حمايتها ولذا سميت بالأسرار الحكومية وقد صيغت المادة ٨٠ عقوبات على هذا النحو لهذا ، وترك أيضا للمحكمة أن تأخذ رأى السلطات ذات الشأن إذ هى أقدر من غيرها على الحكم على أهمية الوثيقة أو المعلومات المفشاة التى تجرى — بشأنها المحاكمة وتقدير مدى سريتها — وقد قالت المذكرة الإيضاحية فى هذا الشأن ما نصه : —

«أن المهم فى الأمر هو الغرض الذى يرمى إليه الجانى فغيرذى بال الصورة التى يجرى بها تحقيق هذا الغرض أو الوسائل التى تستعمل فى ذلك بل انه ليس من المحتم أن يكون السر قد عرف بأكمله فإن عبارة بأى وجه الواردة فى المادة ٨٠ يراد بها أن تطبق العقوبة ولو لم يفش من السر إلا بعضه وكذلك لو كان السر أفشى على وجه خاطىء أو ناقص» .

وتوجد الجريمة كذلك ولو لم يتحقق الغرض المقصود منها بل أنه ليكفى

أن يحصل شخص على سر من هذا القبيل وأن يثبت أنه كان ينوى تسليمه لدولة أجنبية ولو لم يحصل التسليم فعلا .

كما وأنه نظرا لما أظهرته حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ من أهمية وسائل المخابرات السرية التى تستعمل لجمع المعلومات الحربية أو إرسالها ولأنه لولا هذه الوسائل لتعذر فى الكثير من الأحوال تسليم الأسرار إلى الدول الأجنبية فرؤى أنه يجب أن يتناول العقاب تنظيم واستعمال هذه الوسائل أيا كانت المخابرات الأجنبية متى ثبت أن الغرض منها تسليم أسرار الدفاع .

القانون الأخير رقم ١١٢ سنة ١٩٥٧

وهكذا كان الحال طبقا للقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ بعد حرب سنة ١٩٢٦ ولكنه قد ظهر بعدها أنه لم يكف بالغرض المطلوب ولم يستوعب التعديل كل الجرائم المضرة والتى تحدث فعلا فى البلاد الأخرى . ولأجل أن تكون الصورة تامة ومحافظة على أمن الدولة رؤى مرة أخرى تعديل هذه المواد تعديلا شاملا فصدر القانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٥٧ فى ١٩ مايو سنة ١٩٥٧ بعد قضية الجاسوسية الكبرى بمصر التى وقعت سنة ١٩٥٦ وحكم فيها إذ ذاك ولم يغفل القانون الجديد وهو الذى طبقته محكمة أمن الدولة العليا على القضايا الأخيرة — بمتابعة المذاهب المتفرقة بين التجسس والخيانة أو القصد الجنائى فيها بل جعل همه بيان الجرائم التى يراها ماسة بأمن الدولة وسلامتها فى الخارج وما يجب لقيامها من الناحية المادية والمعنوية ودون أن يفرق بينها إذا ارتكبها أجنبى أو وطنى وجعل العقاب لكليهما سواء لأن النتيجة المترتبة على فعل أى منهما هى واحدة على كل حال .

المذكرة الإيضاحية للقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٥٧ :

استهلت المذكرة الإيضاحية بيانها عن جرائم أمن الدولة من جهة الخارج بأن هذه الجرائم بطبيعتها لا تقع على فرد أو أفراد وإنما تصيب كل من يقيم على أرض الوطن ولذا فرضت لها عقوبات خاصة لتكفل كيان الدولة وسلامتها ولتقى الأمن فى ربوعها وتحمى أنظمتها وسلطانها وأنه مع تعديل هذه المواد وخصوصا التعديل الشامل السابق بالقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ الذى صدر بعد الحرب العظمى الأخيرة فقد ظل الشعور قويا بأن أحكام قانون العقوبات فى هذا الشأن خصوصا بعد العدوان الثلاثى الغاشم الذى اندحر يشوبها التخلف عن مسايرة التطور مع أحوال البلاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأنه لما كانت البلاد فى وثبتها الأخيرة قد حققت استقلالها كاملا ودعمت شخصيتها فى المجال الدولى وأرست نظامها الدستورى كدولة جمهورية ديموقراطية. فقد صحت لذلك الضرورة للحفاظ على هذه الأوضاع التى بلغتها الدولة ضد أى خطر يأتيها من ناحية الخارج أو يتألب عليها من ناحية الداخل .

وعلى هذا الأساس وضعت المواد الجديدة وفسرت بالمذكرة الإيضاحية كما سنعود إليه عند بحث كل مادة منها .

الجمهورية العربية المتحدة :

وحيث أنه قبل البدء فى شرح المواد يجب أن نشير إلى أمر آخر هو أن مواد القانون كلها وضعت أصلا للتجسس على الإقليم المصرى إلا أنه بعد الوحدة أصبح التجسس معاقبا عليه بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة جميعها أعمالا

لحكم الوحدة والدستور المؤقت الذى صدر فى ١٣ مارس سنة ١٩٥٨ حيث نص فى مادته الأولى على مايلى :

مادة ١ : الدولة العربية المتحدة جمهورية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الأمة العربية .

مادة ٢ : الجنسية فى الدولة المتحدة يحددها القانون ويتمتع بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية أو المصرية أو يستحق أية منها بموجب القانون والأحكام السارية فى سورية ومصر عند العمل بهذا الدستور .

ثم صدر ثانيا : — (قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة) القانون رقم ٨١ لسنة ١٩٥٨ بشأن جنسية الجمهورية العربية المتحدة وإثبات جنسية أفرادها متمشيا مع الدستور السابق .

وهو يتفق مع مانصت عليه الماده ٨٥ من أنه :

« يقصد بعبارة « البلاد » الأراضى التى للدولة المصرية عليها سيادة أو سلطان » — وأراضى — الجمهورية العربية المتحدة هى الأراضى الواقعة داخل الحدود السياسية للإقليمين الشمالى والجنوبى بما فيها من أنهار و بحيرات والجزر القائمة فى خليج السويس والمياه الاقليمية والفضاء الذى يعلو أراضيها وفلسطين التى تحت سلطانها الآن .

أهم المواد التي تعالج الجاسوسية وحكم القانون فيها .

المادة ٧٧ ب عقوبات :

« يعاقب بالإعدام كل من سعى لدى دولة أجنبية أو تخابر معها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها للقيام بأعمال عدائية ضد مصر » .

السعي :

السعي أصلا هو التصرف في كل عمل : فتقول سعى الرجل للصدقة أي عمل في أخذها من أربابها : و « السعي » لغة . سعى يسعى سعيا « أي عمل أو مشى وعدا إلى آخر فالسعي يكون للدولة أو للشخص الذي يعمل لمصلحتها .

والمقصود بالسعي هنا هو كل عمل أو نشاط يصدر من الجاني ويقصد منه أي توجيه أو خدمة دولة أجنبية للقيام بعمل عدائي سواء تحقق أو لم يتحقق ونوع العمل العدائي نفسه وقد يكون ذلك عن طريق النميمة أو الوشاية كيفا وقمتا .

والتخابر :

أي خبّر كل الآخر — أو كلمه أو باحثه — وخبره بالشيء أي أخبره أو أنبأه عنه — والتخابر هو التفاهم في مختلف صوره سواء حصل ذلك شفاهة أو كتابة — صريحا أو رمزا . مباشرة أو بالواسطة .

ولهذين اللفظين مدلول شامل حتى ينال بالعقاب كل فعل يقوم به الجانى في سبيل تحقيق غرضه الاجرامى — وليس بلازم أن يطول أمر السعى أو أن يتكرر التخابر بل يكفى لتمام الجريمة فعل واحد يعتبره القانون كذلك أى يكفى قيام الركن المادى دون حاجة إلى تكرار الافعال أو تعددها .

ولفظ التخابر فى معناه هو ماتعبر عنه القوانين الفرنسية والقواميس بلفظ « Intelligence » أيضا : وهو كل تراسل أو اتصال مبناه تفاهم يتم بين شخصين أو أشخاص تتحد فكرتهم على خدع الغير : والمراسلة قد تكون بالمحادثة التليفونية أو الشفوية أو السلكية أو اللاسلكية .

(راجع فى هذا الشأن جارسون و جارو التعليقات على المادة ٧٨ فرنسى).

وكلمة المخابرات أصلا هى ماحددها الأنجليز وهى كما وضعها رجالهم وبينوا أعمالها .

The Int. Dep : dealing with the foreign countries and several parts of the world in trades, collecting information, and take action in regard to trade, commerce, they are attached also to forces :

ومن بين أقسامهـــا الـ : « Secret service » ، "Censorship"

(راجع دائرة المعارف البريطانية) .

والسعى والتخابر هو صور من الاتصال الإجرامى بدولة أجنبية وهى التى يرمى فيها الجانى إلى الإتصال بدولة أجنبية أو مع الشخص الذى يعمل لمصلحتها فيكون نتيجة لذلك تمكن هذه الدولة من القيام بأعمال عدائية ضد مصر وهى ما تسمى بجريمة الخيانة العظمى «Haute trahison»

وكانت المادة القديمة ٨٧ تنص على أن يكون إلقاء الدسائس قد حصل للدولة أو لمأمور دولة أجنبية مما كان يتعذر إثباته لأن صفة « المأمور » هذه هي أمر متعذر الإثبات . إذ هي تترتب على وثائق أو وقائع من الصعب عادة معرفتها إلا بتحقيق من الخارج فيفلت نتيجة لذلك بعض الجناة من تطبيق النصوص عليهم ولذلك عُدلت المادة الجديدة وحذف منها « أحد مأموريها » واكتفى بوضع نص شامل لها وهو « أحد ممن يعملون لمصلحتها فقط » فلا حاجة بعدها لإثبات الصفة .

والتعبير بالقاء الدسائس تعبير غير واضح وقد أوجد كثيراً من اللبس عند التطبيق . إذ قد تكون الدسائس ألقيت وتم التخابر لغرض آخر أو ليس لها أى أهمية بالنسبة للحرب وإنما في الوقت نفسه لا تخلو من المساس بأمن الدولة أو بقصد بها فقط الإضرار بمركز مصر الحربى أو السياسى أو الإقتصادى أو الدبلوماسى فحذفت جملة « إلقاء الدسائس » ووضع بدلها السعى والتخابر « ومعناهما واضح متسع المدلول كما أنه في الوقت عينه حذف من النص السابق جملة « بقصد استعدائها على مصر أو تمكينها من العدوان عليها الخ . . » أى التحريض على محاربتها ووضع بدل كل ذلك « القيام بأعمال عدائية ضد مصر » أى أياً كانت الأعمال العدائية Les actes d'hostilité لأنه من الممكن كما تقدم أن يقوم قتال ومناوشات على الحدود كما يقع عادة بين الحين والآخر إلى اليوم بين الجمهورية العربية واسرائيل دون اعلان أى حرب . وأصبح لفظ « القيام بأعمال عدائية » يتسع لكل صور العمل العدائى ولو لم يبلغ في الوصف العام أعمال الحرب أو حتى الأعمال التى لا يسبقها إعلان حرب . وهذا مستفاد من نص المادة ٢٤٣ من القانون

الايتالى التى أخذت عنها المادة المصرية والتى تنص على وجوب العقاب سواء تحقق غرض الجانى أو لم يتحقق من حيث قيام الدولة المتحارب معها بأعمال عدائية إذ المادة ٢٤٣ تقرر : —

"L'auteur du délit prevu est punissable. même s'il est étrangér, et quelle que soit sa résidence.Si l'evénement prejudiciable se produisait, c'était une circonstance aggravante, le texte est analogue si la guerre survient, si les hostilité se realisent".

(راجع تعليقات بيير كازابيكانــكا ص ١٦٣ طبعة ١٩٣٢ .

وراجع أيضاً دونديه دى فابر طبعة ١٩٤٧ بند رقم ١٧٢٦ .

وراجع موسوعة (دالوز ١٩١٥ بند ٢٢٥).

وعلى هذا الأساس أصبح قصد المشرع واضحاً فى المادة ٧٧ ب من حيث ضرورة العقاب على التخابر . سواء تحقق غرض الجانى أو لم يتحقق فالنتيجة ووقوعها لا أثر لها على العقاب . كما وأن النص واضح من حيث انطباق المادة سواء فى حالتى السلم أو الحرب ولو أن الغالب دائماً أن يكون القيام بالأعمال العدائية هو تمهيد لحالة الحرب إلا أنه ليس ما يمنع من تطبيق النص فى حالة قيام الحرب بين مصر وبين دولة أجنبيــة أخرى حتى ولو تــكن هى الدولة المتخابر معها ولأن سعى الجانى مع أية دولة أجنبية مستهدفا القيام بأعمــال عدائية حتى ولو كانت هذه الدولة محايدة هو أمر معاقب عليه لأن عبارة النص وردت مطلقة ولأن القيام بالعمل العدائى أيا كان هو أمر متروك للدولة

التخابر معها نفسها وسواء أكان التخابر مباشرة أو مع أحـد ممن يعملون لمصلحتها . والمهم فقط أن يكون الباعث لدى الجانى وقصده متجها لهذه الأعمال بمعنى أنه يدخل فى نشاطه الذهنى عنـد التخابر امكان قيام الدولة الأجنبية بالأعمال العدائية .

الأعمال خارج القطر :

كما أنه غنى عن البيان أن هـذه النصوص جميعا تنطبق على الأجانب والوطنيين وسواء وقعت هذه الأعمال فى مصر أو فى الخـارج طبقاً للمادة الثانية من قانون العقوبات . إذ ليس من شك فى وجوب مساءلة الأجنبى المقيم فى أرض مصر عما يرتكبه من هـذه الجرائم سواء أكان تابعاً للدولة الأجنبية التى يتخابر معها أو تابعاً لدولة أخرى لأن نص المادة الثانية هـذه واضح إذ هى تقرر العقاب على : —

« كل من ارتـكب فى خارج القطر جريمة مخلة بأمن الحكومة مما نص عليه فى البابين الأول والثانى من الـكتاب الثانى (أى فى المواد من ٧٧ إلى ٨٥ عقوبات .) »

ولا يهم أن يبدأ الجانى التخابر مع الدولة الأجنبية من جهته . أى أن يـكون هو الأصل أو تـكون الجهة الأخرى هى التى تخابرت معه لأن الأمر فى معناه كما تقدم هو تفاهم بين الجانبين على أى كيفية يتم . ولذلك تقع الجريمة حتى إذا كانت الدولة الأجنبية هى التى بدأت أو من يعمل لمصلحتها هو الذى قام من أول الأمر يفتح باب التخابر . وبذلك أصبح لاضرورة لاثبات الصفة

الرسمية لهذا الشخص الذى يعمل لمصلحة دولة أجنبية فى علاقته بتلك الدولة .
أما التخابر مع الدولة الأجنبية نفسها فيعتبر أنه تم معها مباشرة إذا حدث بطريق التفاهم أو الاتصال مع أحد القائمين على الأمور فيها من حكومتها المدنية أو من رجالها العسكريين فى جيشها أو غيرهم والتخابر مع الشخص الذى يعمل لمصلحة الدولة الأجنبية فهو الشخص الذى ندبته حكومته رسميا لتمثلها أو الذى يعمل بصفة رسمية أو متطوعا أو يعمل بإيعاز خفى من نفس الدولة الأجنبية لتدبير مصلحة لها على حساب مصر أو اضرارا بالمصلحة القومية أو الوطنية .

وهذه الجريمة كما يقول « جارسون » إنما هى جريمة شكلية أراد بها الشارع العقاب على القصد القائم وقت التخابر . والتخابر فى حد ذاته معاقب عليه كجريمة قائمة بذاتها . والنتيجة التى يسفر عنها التخابر من تقديم المعلومات تكون جريمة أخرى كجريمة تسليم الأسرار أو تقديم معونة للعدو حسب الأحوال وهكذا . ولاشك أن للقاضى السلطة المطلقة فى تقدير الأفعال المرتكبة التى ينطبق عليها وصف السعى أو التخابر وله أن يهتدى فى ذلك بطبيعتها أو بالكيفية التى تمت بها والظروف التى لابستها . أما القصد الجنائى الخاص أى توافر الباعث لدى الجانى على إمكان قيام الدولة الأجنبية بأعمال عدائية ضد مصر فيكفى فى توافره أن يقوم فى ذهن الجانى أن ما فعله قد يمكن أو يساعد الدولة الأجنبية على القيام بأعمالها العدائية مهما كانت صور هذا العمل العدائى وهو الذى يؤثر على المصالح الوطنية أو القومية ولايشترط تحقق الغرض من القيام بالأعمال العدائية. كما وأن التخابر مع دولة معادية كاسرائيل مثلا أو مندوبها يدل بذاته على قصد الجانى الاجرامى .

وعلى هذا الأساس سبق أن قضت محكمة النقض الفرنسية فى يولية سنة ١٩٤٨ . بأن قبول الشخص للعمل فى خدمة الجستابو الألمانى وتقديم خدمات إلى هذه الهيئة يعد من قبيل التخابر . وأن المتهم فى هـذه القضية قد قام فعلا بأداء بعض الخدمات ومنها الأخبار بالمقـالات الناهضة للنازية والمنشورة فى الصحف الفرنسية والبحث عن الصحف والمطبوعات التى تصـدر فى فرنسا بصفة سرية « ومستترة » وقد أخطر السلطات الألمانية بذلك (راجـع جارسون بند ١٩ مجموعة النقض ١٩٤٨ ص ٣٠٦) .

وقضت محكمة النقض الفرنسية أيضاً فى سنة ١٩٤٦ « بأنه يعـد من قبيل التخابر إرسال المتهم لخطابات مجهولة إلى قائد قوات الإحتـلال الألمانية ضد شخص آخر يتهمه بالشيوعية . ذلك أن من شأن هـذه الوشاية إرضاء السلطة الأجنبية وخدمة مشروعاتها فى فرنسا إذا اقتضى الحال . » (راجع مجموعة النقض سنة ١٩٤٦ جارسون بند ١٩٢) .

Cette denonciation était de nature a satisfaire la puissanee etrangére et méme les cas écheant à sérvir ses entreprises,

وقضت محـكمة النقض الفرنسية كذلك فى ٣٠/١٢ سنة ١٩٤٩. « بأن المتهم الطاعن يعد مرتـكبا لجريمة تامة لا مجرد اتيانه لأعمال تحضيرية إذا كان ثبت فى حقه من أنه كان أسيراً لدى السلطات الألمانية ورضى أن يضع نفسه فى خدمة الجاسوسية الألمانية وقبل الذهاب لفرنسا لهذا الغرض . كما أنه دخل معسكر باريس للقوات الفرنسية لـكى يحصل لصالح ألمـانيا على معلومات حربية مثل مكان الوحدات الحربية وأسماء القواد الحربيين ونقط القاء القنابل

على باريس وأن مجرد قبول الطاعن التجسس ومجرد دخوله المعسكر الحربى يكون جريمة تامة فى التخابر ولا يعـــد من قبيل الأعمال التحضيرية لهذه الجريمة » . (وقد قضت محكمة النقض بعدها برفض الطعن فى الحكم الصادر بإعدامه) (راجع فى هذا الشأن مجموعة أحكام النقض الفرنسية سنة ١٩٤٩ رقم ٢٨٦ صفحة ٢٦٩) :

« Le fait qu ' un militaire étant prisonniér de guerre en A'llemagne a entretenu des intelligences avec cette puissanee ennemie dans le but de favoriser ses entreprises ; notamment en se mettant à la disposition des agents du service d'espionnage allemand [et en acceptant d'eux d' ètre renvoyé en Franee aprés avoir pris l' engagement de s'y livrer à l'espiônnage en faveur de L' Allemagne et le fait de s'être ulteriéurement introduit dans le camp de Paris place de guerre pour se trouver dans l'intérêt de l'allemagne , puissance ennémie, des renseignements d'ordre — militaires tels que points de chute de gros — abus dans Paris, emplacement des unités militaires, noms des chefs militaires , constitue non des actes préparotoires des crimes d' intelligence avec l'ennemie et d' espionnage mais des actes d' éxécution des dits crimes et réforme tous les éléments constitufes des infractions qui ont été consommeés » .

على أنه يلاحظ من جهة أخرى أن الجانى إذا كان قد قصد من التخابر مع الدولة الأجنبية التحريض على إلغاء معاهدة أو اتفاق سياسى أو جر منفعة مثلا لرعاياها دون أن يكون لديه احتمال قيام الدولة الأجنبية بأعمال عدائية أو الاستفادة من تخابره للقيام بها فلا ينطبق نص المادة ٧٧ ب وإنما يمكن فى

هذه الحالة تطبيق المادة ٧٧ د التى تنص على عقاب التخابر أو السعى إذا كان من شأن أيهما الاضرار بمركز مصر حربيا أو سياسيا أو ديبلوماسيا أو اقتصاديا . أو إمكان تطبيق المادة ٧٧ ج إذا كان الجانى يطرأ فى ذهنه أو يهدف من وراء عمله سعيا أو تخابرا إلى معاونة الدولة فى عملياتها الحربية أو الاضرار بالعمليات الحربية للدولة المصرية نفسها .

وإذا تحقق الأمران تنطبق المادتان ٧٧ ب و ٧٧ ج على حسب الظروف والأحوال .

وكذلك من المقرر فى فقه القضاء الفرنسى أنه لا يشترط لقيام الجريمة أن تكون الدولة الأجنبية أو المعادية التى تم معها التخابر قد قامت فعلا بأعمال عدائية ضد البلاد أو أن يكون تخابر الجانى مع الدولة المعادية أدى إلى تقديم معونة فعلية لها فى عملياتها . وقصارى القول أن المشرع يعاقب على أفعال التخابر ولو لم تؤد إلى النتيجة مادامت هـــذه النتيجة أصلا داخلة فى قصد الجانى (راجع جارسون تعليقه على المادة ٧٥/٢ عقوبات فرنسى) .

« Il est certain que le crime est punissable même si les hostilités n'ont pas eu lieu ,ce que le legislateur a voulu punir ; c'est l'intention criminelle existant aux moments des intelligences avec une puissance étrangére . Il s'agit d'un crime formel »

المادة ٧٧ ج .

«يعاقب بالإعدام كل من سعى لدى دولة أجنبية معادية أو تخابر معها أو مع

أحد ممن يعملون لمصلحتها لمعاونتها فى عملياتها الحربية أو للأضرار بالعمليات الحربية . للدولة المصرية » .

وهى جريمة أخرى من جرائم الخيانة العظمى . وغرض الجانى فى هذه الجريمة خلافا للجريمة السابقة ٧٧ ب . أن يهدف من وراء سعيه وتخابره إلى معاونة الدولة المعادية فى عملياتها الحربية أو للأضرار بالعمليات الحربية للدولة المصرية .

وهذه المادة تقابل المادة ٧٥ / ٢ معدلة بالقانون سنة ١٩٣٩ فرنسى والمادة ٢٤٧ ايتالى . وهى صريحة فى أنها خاصة بالعمليات الحربية القائمة بين مصر وبين الدولة الأجنبية وأن يكون التخابر أو السعى مع الدولة المعادية أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها لمعاونتها فى أعمالها الحربية أو للأضرار بالعمليات الحربية للدولة المصرية أى للقوات المسلحة فهى جريمة من جرائم الحرب أو التى تقع فى زمن الحرب أو بين مصر وبين دوله معادية وهى فى حالة حرب .

فسعى الجانى وطنياً كان أو أجنبياً لدى العدو أو رجال الدولة المعادية الذين يعملون لمصلحتها وتزويدهم ببعض البيانات عن السلاح أو الذخيرة أو تزويدهم بالإرشادات لإمكان احتلال حصن أو موقع أو تمكينهم بأى وسيلة أو أكثر لاستخدام طرق المواصلات أو بيانها أو كشف المواقع الحربية كمواقع المطارات والغواصات والموانى ليمكن للعدو استخدامها فى الحرب أو لتمكين العدو . أى الدولة الأجنبية المعادية من معرفة مواقع القوات الحربية أو مواقع وإقامة رجال الجيش وقادته للاستفادة بها عندما تستدعى

الظروف ذلك . كل هذا مما يتوافر به القصد الجنائى لدى الجانى لأنه ليس بلازم أن يتحقق القيام بالعدوان من الدولة المعادية .

وهذا أمر مستفاد من نص الماده المقابلة فى القانون القديم سنة ١٩٤٠ وهى المادة ٧٨ « كل من الق الدسائس إلى دولة أجنبية أو إلى أى شخص آخر يعمل لمصلحتها أو تخابر معها أو معه بقصد استعدائها على مصر أو تمكينها من العدوان عليها يعاقب . . . الخ . سواء تحقق الغرض المطلوب أم لم يتحقق » .

فإذا كان الغرض الذى تغياه الجانى بما فعل أو الذى دخل فى ظنه وضمن نشاطه الذهنى هو معاونة العدو ومده بما يمكنه من المضى فى عملياته الحربية أو أن يكون غرضه أيضاً الأضرار بالعمليات الحربية للدولة نفسها فإن فعله يقع تحت حكم المادة ٧٧ د إذ الشارع قد سوى بين الحالتين سواء تحقق الغرض المطلوب أم لم يتحقق وذلك خلافاً لنص المادة ٢٤٧ من قانون العقوبات الإيتالى الذى جعل من تحقيق الغرض ظرفاً مشدداً عقوبته الإعدام فإذا لم يتحقق كانت العقوبة السجن .

أما من يعمل لمصلحتها :

فقد عرفه « جارسون » بأنه الوسيط . إذ يجوز أن يكون العميل تابعاً لدولة محايدة ولكنه فى الواقع ليس إلا وسيطاً بين الجانى والدولة المعادية (راجع جارسون ف / ٤ وجندى عبد الملك موسوعة ص ٩٨) .

والقصد الجنائى فى هذه المادة يتوافر متى ثبت أن الجانى بما فعل إنما قصد معاونه العدو وحده بما يمكنه من المضى فى عملياته الحربية أو معاونته فيها أو الأضرار بالعمليات الحربية للدولة المصرية وهذا أمر يستفاد من الوقائع .

أما المادة ٧٧ وتنص على أنه :

« يعاقب بالسجن إذا ارتكبت الجريمة فى زمن سلم . وبالأشغال الشاقة المؤقتة إذا ارتكبت الجريمة فى زمن حرب » .

أولا — كل من سعى لدى دولة أجنبية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها أو تخابر معها أو معه وكان من شأن ذلك الأضرار بمركز مصر الحربى أو السياسى أو الدبلوماسى أو الاقتصادى .

ثانيا — كل من أتلف عمداً أو أخفى أو اختلس أو زور أوراقاً أو وثائق وهو يعلم أنها تتعلق بأمن الدولة أو بأية مصلحة قومية أخرى فإذا وقعت الجريمة بقصد الأضرار بمركز البلاد الحربى أو السياسى أو الدبلوماسى أو الاقتصادى أو بقصد الأضرار بمصلحة قومية لها كانت العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة فى زمن السلم والأشغال الشاقة المؤبدة فى زمن الحرب .

ولا يجوز تطبيق المادة ١٧ من هذا القانون بأى حال على جريمة من هذه الجرائم إذا وقعت من موظف عام أو شخص ذى صفة نيابية عامة أو مكلف بخدمة عامة .

وهذه المادة تقابل المادة ٧٣ من قانون العقوبات القديم سنة ١٩٠٤ والمادة ٨٠ من قانون عقوبات سنة ١٩٣٧ والمادة ٢٥٥ من القانون الإيتالى .

وقد أضاف المشرع على هذه المادة مسألة جديدة وهى « الإضرار بمركز مصر الاقتصادى لما رآه من أنه يجب على الدولة أن تتقى هذه الأفعال التى لم تكن معروفة من قبل فى الماضى وأن تدفع عن نفسها غوائلها وذلك على غرار ما يتناوله النص من الإضرار بمركز مصر الحربى أو السياسى أو الدبلوماسى لأنه غير خاف أثر الأحوال الاقتصادية على كيان الدولة وأمنها سواء فى حالتى الحرب والسلم على السواء .

أما الجريمة الأولى وهى الخاصة بالسعى أو التخابر إذا كان من شأنه الاضرار بمركز مصر . . . الخ . فهى تتضمن تأثيم كل فعل يقوم به الجانى لتحقيق النتيجة التى حرمها الشارع وترك للقاضى حرية التقدير للأفعال وما يحكمه النص منها . ويكفى فى إثبات أن السعى كان مع دولة أجنبية أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها القرائن فى الدعوى .

وهذه الجريمة أصلا هى من جرائم السلم أما إذا وقعت فى حرب فيشدد العقاب .

وجريمة السعى والتخابر أيضا جريمة مستمرة ويبدأ سقوط الدعوى فيها من وقت وقوف السعى أو التخابر نهائياً وفعلا .

وركن الجريمة الهام هو أن يكون من شأن السعى أو التخابر الأضرار بمركز مصر الحربى أو السياسى أو الدبلوماسى أو الإقتصادى .

فلم يستلزم الشارع حصول الضرر أو وقوعه فعلا فنص على أن يكون السعى أو التخابر من شأنه فقط الأضرار بمركز مصر . . . الخ . فهو إنما قصد من تحريم هذه الأفعال حماية شخصية الدولة من كل خطر أو ضرر ولو كان محتملا . وهو يعاقب على الفعل المادى بغض النظر عن النتيجة التى ينتجها الفعل . وعلى ذلك سواء تحقق الضرر أو لم يتحقق وكان محتملا فقط فالعقاب واجب وإنما يجب أن يكون هناك إحتمال الضرر وحصوله يكون رافعاً لكل شك فى طبيعة فعل السعى أو التخابر .

والأضرار بمركز مصر الحربى يكون كالعمل على إلغاء تحالف أو إلغاء نظام التجنيد أو مهاجمته أو عرقلة سيره أو اضطراب توزيع القوات أو عرقلة توريد الأسلحة أو الذخيرة أو مهمات الحرب وما إليها .

والاضرار بمركز مصر السياسى هو كل ما من شأنه أن يسىء إليها ويمس استقلالها فى الخارج أو سيادتها أخذاً بحقها المطلق فى تصريف شئونها الخارجية فالسعى أو التخابر الذى يفضى إلى تسوىء علاقة الحكومة بحكومة دولة أجنبية أو يقصد خذلانها فى هيئة دولية رسمية يعد مما يضر بمركز مصر السياسى . وسياسة البلاد فى زمن السلم ظاهرة سيما فى البلاد الدستورية وهى تبين من المناقشات البرلمانيــة وحرية الصحافة ومن التصريحات السياسية للساسة المختصين .

والإضرار بمركز مصر الدبلوماسى هو الذى يتصل بالتمثيل الدبلوماسى للدولة ونظامها وأعمال القائمين فى الخارج لأن الممثل الدبلوماسى هو الذى يعبر عن رغبات دولته ويتفاهم باسمها مع غيرها فكل ما يضر بواجباته من سعى أو تخابر أو دس مما يعتبر مضراً بمركز مصر الدبلوماسى .

أما الأضرار بالمصـــالح الاقتصادية فإن لـكل دولة نظامها الاقتصادى الخاص الذى ترسى هى قواعده ويدخل فيه نظام نقدها وأرصدتها وأموالها التى لها فى الخارج وما يتصـــل بانتاجها الزراعى أو الصناعى أو التجارى فى الأسواق الخارجية فـكل سعى أو تخابر يضر بذلك يدخل فى النص . وهذا كله خاضع لتقدير القاضى .

ومما هو جدير بالملاحظة أن مأمورى الدول الأجنبيـــة أيضا إنفسهم مقيدون عند مخابرة دولهم بأنهم عندما يوقفونها على ما يدور فى الدولة التى هم فيها فذلك التخابر منهم مشروط باستعمال الوسائل المألوفة . والقانون الدولى لا يبيح لهؤلاء المأمورين استعمال الوسائل الإجرامية أو غير المشروعة ولذا تعاقب القوانين فى كافة الدول على ما يقع من ذلك إضراراً بالدولة كالتجسس أو الإستعانة بالعملاء فإن هذا مما يحرمه العرف الدولى .

أما القصد الجنائى فى هذه الجريمة فهو القصد الجنائى العام الذى يستفاد من اتيان المتهم للفعل المـكون للجريمة عن علم واختيار ولا يشترط فيه أن يكون قصد المتهم الاضرار بالمركز الدبلوماسى أو الاقتصادى . . . الخ . أو أن يكون مدفوعا بباعث معين بل يكفى أن يباشر الجانى السعى أو التخابر الذى من شأنه الاضرار بهذه المراكز وهو عالم بتجريمه مريدا لما فعل وذلك طبقا للنص الفرنسى للمادة ٨٥/٢ « Ayant pour effet » .

أما الفقرة الأخيرة من المادة وهى : إذا وقعت الجريمة بقصد الاضرار بمركز البلاد الحربى أو السياسى أو الدبلوماسى أو الاقتصادى أو بقصد الاضرار بمصلحة قومية » فهذه الفقرة تضمنت غير القصد العام قصدا خاصا

هو الاضرار بمركز أو بمصلحة من المراكز أو المصالح القومية وقد جعل الشرع منه ظرفا مشددا بنى عليه تغليظ العقوبة . ويستدل على هذه النية أو على سوء القصد بنوع العمل الذى يقوم به الجانى ومدى استمراره فيه مثلا وبالظروف والملابسات التى تحيط بالسعى أو التخابر فيكون القصد واضحا إذا تم السعى والتخابر مع دولة تضمر العداء لمصر أو بها مظنة الاعتداء عليها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها أو أن تكون هذه الدولة الأجنبية معادية لمصر أو فى حرب معها لأن كل هذه شواهد وقرائن تدل على توافر هذه النية .

والقصد الجنائى كما هو معروف هو أمر متروك تقديره للمحكمة وهو مسألة موضوعية يستقل قاضى الدعوى بتقديرها من الوقائع المعروضة ومتى استخلصها استخلاصا سليما فلا رقابة على حكمه من محكمة النقض أو غيرها .

أمن الدولة :

أما ماهو المقصود بأمن الدولة أى «La surêté de L'Etat» فانما هو تعبير واسع ويراد به كل ما يمس بمركز البلاد أو أنظمتها الأساسية باعتبار الجمهورية العربية شخصية دولية فى كيان قائم ووحدة دولية متماسكة ويميزها عنصر السيادة فى الداخل والخارج . . .

والمصلحة القومية :

وتعبير المصلحة القومية هو تعبير عام واسع المدلول وقصد الشارع به كل مصلحة تهم الجمهورية العربية المتحدة من الناحية السياسية أو تمس سيادتها فى الخارج أو الداخل وعناصر الحكم فيها ، كالاتفاقات على الحدود أو الانتفاع

بالمياه أو خطوط أو وسائل المواصلات وحقوقها فى استخدامها أو الانتفاع بها . وهذه العبارة الشاملة تتضمن أى عمل يمس أى مصلحة سياسية أو اقتصادية من مصالح الدولة . فإذا كان الجانى قد تلقى الرشوة أو الوعد لقاء تبليغه أمورا تمس سيادة الدولة الداخلية أو الخارجية أو أحوال سياستها مما يصح أن يكون موضوعا يستخدمه الجانى لصالح الجهة أو الدولة التى يعمل لحسابها .

عدم جواز التخفيف طبقا للمادة ١٧ من قانون العقوبات .

لم يجز الشارع تخفيف العقوبة فى أى جريمة من جرائم المادة ٧٧ « إذا كان الجانى موظفا أو شخصا ذا صفة نيابية عامة أو مكلفا بخدمة عامة » والسبب فى اعتبار صفة الجانى مانع من استعمال الرأفة هو أن الموظف العام ومن فى حكمه الذى يرتكب جريمة مما نصت عليه المادة المذكورة إنما يخل بالثقة المفروضة فيه كما أن تلك الصفة قد تكون من الأسباب التى تسهل للجانى الموظف ارتكاب الجريمة بما تمتنع معه موجبات الرأفة .

* * *

« الرشـــوة »

المادة ٧٨ عقوبات : —

« كل من طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ ولو بالواسطة من دولة أجنبية أو من واحد ممن يعملون لمصلحتها نقوداً أو أية منفعة أخرى أو وعدا بشيء من ذلك بقصد ارتكاب عمل ضار بمصلحة قومية يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة وبغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تزيد على ما أعطى أو وعد به . وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة وغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تزيد عما أعطى أو وعد به إذا كان الجاني موظفاً عاما أو مكلفا بخدمة عامة أو ذا صفة نيابية عامة أو إذا ارتكبت الجريمة فى زمن حرب . ويعاقب بنفس العقوبة كل من أعطى أو عرض أو وعد بشيء مما ذكر بقصد ارتكاب عمل ضار بمصلحة قومية . ويعاقب بنفس العقـــوبة أيضاً كل من توسط فى ارتكاب جريمة من الجرائم السابقة .

وإذا كان الطلب والقبول أو العرض أو الوعد أو التوسط كتابة فإن الجريمة تتم بمجرد تصدير الكتاب » .

لم تكن النصوص القديمة تعاقب على الرشوة بقصد القيام بعمل ضار بمصلحة قومية . إلا أن هذه المادة أخذت أصلا من القانون الايتالى عن المادة ٢٤٦ عقوبات وأضيفت على القانون : —

« Ou toutes autres avantages dans le but d' accomplir contraires aux intèrêts nationaux » .

وذلك كله ما لم يكن الفعل المرتكب يكون جريمة أشد .

وبالاطلاع على المذكرة الإيضاحية نجد أنها قد جرمت كل من حصل على مال أو أية منافع بأية صورة وعلى أى وجه أو على وعد بشيء من ذلك مقابل عمل لمصلحة دولة أجنبية خلافا لمصالح مصر وبذا جرم أمر طلب الرشوة وجعل نظيراً لقبولها أو الحصول عليها مع الإبانة عن عقاب الراشى فى جميع الصور التى يعطى فيها الرشوة أو يعرضها أو يعد بها .

كما أخذ النص بعقاب الوسيط بذات العقوبة التى يعاقب بها الراشى والمرتشى والرشوة تكون بالنقود أو بالمنفعة أو غيرها مؤجلة أو معجلة . والحصول على المنفعة لا يشترط فيه أن يتم للجانى فعلا العمل الذى من أجله أخذ المكافأة أو قبلها أو حصل على وعد بها وجعل الشارع للرشوة ظرفين مشددين : —

أحدهما أن يكون الجانى موظفا عاما أو مكلفا بخدمة عامة أو ذا صفة نيابيه عامة وثانيهما أن يكون وقوع الجريمة فى زمن حرب أى الظرفين توافر فيهما .

ويدخل فى ذلك رجال الصحافة الذين يتجرون بمهنتهم للتأثير على اقتصاديات البلاد حتى فى زمن السلم أو لإحراج الحكومة وقت الحرب . أو إذا أخذت الرشوة للقيام بدعاية ضارة ضد مصلحة البلاد كأن تتخذ البلاد مثلا صورة الحياد فى وقت يجب أن لا تكون فيه محايدة .

وأركان هذه الجريمة ثلاثة : —

أولها : — طلب النقود أو المنفعة أو قبولها أو أخذها أو التوسط فيها ولا يهم نوع النقود .

ثانيها : — أن يكون مصدرها الدولة الأجنبية أو واحدا ممن يعملون لمصلحتها .

والثالث : — هو القصد الجنائى فيها :

وليس من الضرورى أن يتم الضرر بالمصلحة القومية وإنما يكفى نية الإضرار فقط ويتوافر القصد باتجاه ذهن الجانى إلى أن العمل الذى يقوم به يضر بالمصلحة القومية وهو فى ذاته الفعل المنكر أو العمل الخبيث الذى يمس مصلحة الدولة . والمصلحة القومية هو تعبير عام كما تقدم قصد التوسع فيه حتى لا يعترض تطبيق النص صعوبة ما تنشأ من تحديد المصالح أو الأعمال التى تعتبر مصلحة قومية .

وعلى القاضى أن يستظهر هذه النية من نوع العمل الضار بالمصالح القومية لأن الضرر الذى يلازم هذه الأعمال لا تخفى نتيجته فى معظم الأحوال . وللقاضى طبعا الحرية المطلقة فى تقدير طبيعة العمل الذى اتفق الجانى المرتشى على ارتكابه والذى سعى الراشى إلى ضمان تحقيقه ببذل المال .

أما الغرامة هنا فهى عقوبة أصلية وأقلها ألف جنيه وحدها الأقصى هو قيمة ما أخذ أو وعد به .

وتتعين المصادرة طبقاً للمادة ٣٠ من قانون العقوبات التى تجيز الحكم بمصادرة النقود والأشياء المقدمه . مع ملاحظة أن عقوبة الغرامة الجوازية المنصوص عليها فى المادة ٨٣ لا يجوز تطبيقها مع هذه المادة إكتفاء بالغرامة الواجب الحكم بها .

أما الموظف ومن فى حكمه : فقد نصت المادة ٧٧د كما قدمنا على عدم إستعمال الظروف المخففة فى حالة الموظف ومن فى حكمه كما هو ظاهر النص. وتعريف الموظف معروف وكذا الشخص ذى الصفة النيابية العامة أو المكلف بخدمة عامة ولايجوز استعمال الظروف المخففة لهم فيها لأن المادة ٧٧د نصت على عقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة فى زمن الحرب والسجن فى زمن السلم مما لا محل فيه لاستعمال الرأفة . أما بالنسبة للمادة ٧٨ فقرة ٢ فقد جعلت العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بالنسبة للموظف وترك للقاضى فيها إذا رأى إستعمال الرأفة من وقائع الدعوى أن ينزل بالعقوبة إلى حدود المادة ١٧ عقوبات . أى ينزل إلى السجن أو الأشغال الشاقة المؤقتة مثل العقوبة فى المادة ٧٧د كما تقدم .

وقد اعتبرت وظيفة الجانى كموظف ظرفا مشدداً أخذا عن القانون البلجيكى والرومانى لأن الجريمة تكون ذات خطر خاص إذا ارتكبها موظف أو شخص حاز ثقة مواطنيه أو عندما تكون المهمة أو العمل الذى عهد به إلى الجانى هو الذى مكنه من إرتكاب الجريمة وفيما يلازم هذه الجريمة من خيانة الأمانة عما يبرر العقوبة الأشد وقد توسع الشرع فى اللفظ فحمله على المكلف بخدمة عامة أيضاً إذ قد يكون الشخص موفداً فى مهمة ليكون الوصف أعم واشمل

ويدخل فى حكم الموظفين قياسا على المادة ١١١ من قانون العقوبات الخاصة بالرشوة المعدلة بالقانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٥٣ المستخدمون فى المصالح العمومية التابعة للحكومة أو الموضوعة تحت رقابتها وأعضاء المجالس النيابية العامة أو المحلية سواء أكانوا منتخبين أو معينين ويراد بذلك كل شخص له نصيب من الإشتراك فى إدارة أعمال الحكومة مهما كان نصيبه صغيراً إنما يشترط أن يكونوا ممن تجرى عليهم أحكام الأنظمة واللوائح الخاصة بخدمة الحكومة .

آما الشخص المكلف بالخدمة العامة.

Le cityon chargé d'un ministére de service public

فتضم هذه العبارة كل شخص ليس من طائفة المستخدمين ولكنه يقوم بنصيب من الأعمال العامة على أنه لا يكفى كذلك لتحقق المعنى المقصود هنا أن يكون الشخص قد ندب نفسه لعمل من الأعمال العامة بل يجب أن يكون قد كلف بالعمل ممن يملك التكليف مثل شخص مكلف طبقاً لأمر عسكرى مثلا بالقيام بعمل ما .

والمذكرة الإيضاحية للقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٥٧ صريحة فى أنه لا أهمية لأن يحصل الموظف ومن فى حكمه على الأوراق أو الأسرار أثناء قيام الصفة أو بسببها بل يعاقب الموظف ولو زالت عنه الصفة قبل إرتكاب الجريمة وسواء أحصل على الأشياء المذكورة أثناء قيام الصفة أو بعد إنتهائها وقد رؤى فى هذا الحكم أن بين هذه الطائفة أى طائفة الموظفين وبين الدولة التى أختارتهم وقتا للخدمة العامة توجد علاقة أدبية لا تنفصم عراها بانتهاء العمل أو الخدمة وهذه العلاقة تستوجب الإخلاص والأمانة ولو بعد إنتهائها .

المادتين ٨٠ ، ٨٥ عقوبات :

« يعاقب بالإعدام كل من سلم لدولة أجنبية أو لأحد من يعملون لمصلحتها أو أفشى إليها أو إليه بأية صورة من الصور وعلى أى وجه وبأية وسيلة سراً من أسرار الدفاع عن البلاد أو توصل بأية طريقة إلى الحصول على سر من هذه الأسرار بقصد تسليمه أو إفشائه لدولة أجنبية أو لأحد ممن يعملون

لمصلحتها وكذلك كل من أتلف لمصلحة دولة أجنبية شيئاً يعتبر سراً من أسرار الدفاع أو جعله غير صالح لأن ينتفع به » .

وهي تطابق تقريباً ماورد في نصوص القانون الفرنسي في المواد ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ عقوبات وكذلك في القانون الإيتالي المادة ٢٥٦ عقوبات .

وقد أوردت المادة ٨٥ على سبيل التمثيل أسرار الدفاع وذكرت غالب مايقصد بها . إزالة للبس الذي كان قائماً وللأحكام المختلفة التي صدرت قبل تعديل هذه المادة .

وقد قررت المادة ٨٥ أنه يعتبر سراً من أسرار الدفاع .

١ — المعلومات الحربية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية والصناعية التي بحكم طبيعتها لايعلمها إلا الأشخاص الذين لهم صفة في ذلك ويبقى مراعاة لمصلحة الدفاع عن البلاد أن تبقى سراً على من عدا هؤلاء الأشخاص .

٢ — الأشياء والمكاتبات والمحررات والوثائق والرسوم والخرائط والتصميمات والصور وغيرها من الأشياء التي يجب لمصلحة الدفاع عن البلاد ألا يعلم بها إلا من يناط بهم حفظها أو استعمالها والتي يجب أن تبقى سراً على من عداهم خشية أن تؤدي إلى إفشاء معلومات مما أشير إليه في الفقرة السابقة .

٣ — الأخبار والمعلومات المتعلقة بالقوات المسلحة وتشكيلاتها وتحركاتها وعتادها وتموينها وأفرادها وبصفة عامة كل ماله مساس بالشئون العسكرية

والاستراتيجية ولم يكن قد صدر إذن كتابى من القيادة العامة للقوات المسلحة بنشره أو إذاعته .

٤ — الأخبار والمعلومات المتعلقة بالتدابير والإجراءات التى تتخذ لكشف الجرائم المنصوص عليها فى هذا الباب أو تحقيقها أو محاكمة مرتكبيها ومع ذلك يجوز للمحكمة التى تتولى المحاكمة أن تأذن بإذاعة ماتراه من مجرياتها .

وقد سبق أن أوردت المذكرة الإيضاحية للقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ أمثلة من أسرار الدفاع وهى الخاصة مثلا بالتموين فى البلاد وبعض الحاصلات أو المحصولات الرئيسية أو مقدرة إنتاج المصانع الحربية أو بطرق الصناعة أو بالاختراعات التى ترمى إلى تقوية التسليح وبالجملة كل مايترتب على معرفته من الدول الأجنبيه أضعاف لقوة الدولة نفسها .

كما سبق أن حكمت محكمة النقض عند الطعن فى حكم حدثت وقائعه قبل القانون الجديد بأنه يشترط لتطبيق المادة ٨٠ القديمة توافر شرطين أولهما أن يكون الشىء ذا طبيعة سرية وثانيهما أن يكون متعلقا بالدفاع عن البلاد وتقدير ذلك متروك لمحكمة الموضوع. ولها أن تستعين ، بمن ترى الاستعانة به كما أن لها أن تأخذ برأيه دون معقب على حكمها . كما أن مجرد الحصول على السر أمر معاقب عليه وإفشاؤه كله أو بعضه كذلك هوماينطبق عليه النص .

وأن ترامى أسرار الدفاع إلى طائفة من الناس لا يرفع عنها صفة السرية ولا يهدر ما يجب لها من الحفظ والكتمان .

وأسرار الدفاع على كل حال متنوعة فمنها ماهو بطبيعته سر لايجوز أن يعلم به إلا من اؤتمن عليه ومنها ماهو سر بظروفه وملابساته مما ينبغي أن تسبغ عليه القيادة العامة للقوات المسلحة صفة السرية .

والسر هو أمر يتعلق بشيء أو بشخص وخاصيته أن يظل محجوبا أو مخفي عن كل أحد غير من هو مكلف قانونا بحفظه . أما استخدامه بحيث يكون العلم به غير متجاوز عدداً معدوداً من الأفراد الذين رخص لهم دون سواهم أن يعلموه أو يتناقلوه فيما بينهم فلا يؤثر على كونه سراً .

كما وأن هناك معلومات كثيرة في النواحي الاقتصادية والعلمية والزراعية والصناعية يجب أن تظل مطوية خصوصا في زمن الحرب لما يترتب على إذاعتها أو تسليمها للدول الأجنبية من إضرار وأخطار تلحق بالبلاد وبعرقلة استعدادها العسكري ومجهودها الحربي كالتموين لبعض الحاصلات أو كقدرة الإنتاج في المصانع الحربية أو الأهلية أو بطرق الصناعة أو الاجتماعات العلمية التي ترمي إلى تقوية التسليح .

فالمعلومات (les renseignements) عن سلاح سري أو طريقة الوقاية من هذا السلاح أوعجز الذخيرة أوالمؤونة أو وقوع فريق من القوات المحاربة في الأسر أو الأوامر الصادرة إلى الضباط أو عن الآلات والأسلحة والذخيرة والعدد الميكانيكية والأدوات وقطعها المنفصلة والمفرقعات والمواد الكيمائية أو عناصرها والوثائق والصور وأعمال الطوبوغرافيا ووسائل النقل والتسليح والبرامج الاقتصادية والصناعية والمواد الخام والانتاج والاستهلاك الخاص بالمصانع الحربية كلها مما يعتبر أسرارا .

ومما يلحق بالأسرار أيضا المعلومات الصناعية التى ترتبط بوحدة النشاط فى مؤسسة صناعة أهلية غير تابعة للحكومة متى كانت هذه المؤسسة تقوم ببعض المهمات المخصصة لصالح الدفاع عن البلاد . لأن عادة الدول قد جرت على الانتفاع بمثل هذه المؤسسات فى زمن الحرب ولأن الحرب الحديثة كما تقدم تستدعى دائماً تكريس كل القوى لمواجهة العدو والاستمرار فى قتاله . والمهم فى السر وأن يكون من أسرار الدفاع مسألة موضوعية للقاضى تقديرها من حيث علاقة السر بالدفاع وتقدير طبيعته .

كما لا يمنع أن يكون الشىء سرا ويحتفظ له بسريته حتى ولو كان ظاهرا للناس كالمنشئات والمطارات والمصانع التى تقع عليها أعين كثيرين من الضباط والجنود والعمال ولا يمنع ذلك من استصحابها لأصل سريتها لأن عدد هؤلاء الذين يعرفونها ما زال محددوا بطائفة مخصوصة من رجال الجيش أو العمال المدنيين الملحقين بهم ولأن أولئك هم حفظة هذه الأسرار ولهم حق استعمالها والاطلاع عليها .

خلاصة القول .

أن الشارع ألغى بالتشريع الجديد التفرقة بين الأسرار الحقيقية والأسرار الحكمية كما كان عليها الخلاف قائما من قبل ولم يستلزم صدور أى قرار من الحكومة يسبغ على أمر أو شىء صفة السرية كما هو الحال فى بعض القوانين الأجنبية بل جعل التحريم هو الأصل فى باب أسرار الدفاع والاستثناء هو أن يباح النشر فقط بإذن كتابى من القيادة العامة كما هو صريح النص وعلى من يتمسك بمثل هذا أن يثبت صدوره . فعبء الاثبات فى وجود الإذن يقع على

الجانى نفسه لأن المفروض أنه لم يُنشَر أو يُفشى إلا بعد الأطلاع على الاذن . أما فى وقت الحرب فان العادة جرت أن تنشر القيادة العامة بلاغات على الشعب ومثل ما يرد فى هذه البلاغات لا يعد من أسرار الدفاع أما ماعداها فلا بد فيه من إذن كتابى .

أما فى وقت السلم فكل الأخبار والمعلومات لا يجوز نشرها إلا بعد أخذ رأى القيادة وصدور الاذن الكتابى منها وإلا بقيت لهذه الأخبار سريتها محصنة من الافشاء وكل ما هو خاص بعبارة الجيش وتشكيلاته وشئونه العسكرية وعتاده (Equipment) وهى كل مايجهز به الجيش ليقوم بواجبه فى وقت السلم والحرب كالسلاح والذخيرة والمهمات والعربات والملبوسات والأدوية والأجهزة اللاسلكية وغيرها وصلاحيتها وكفاية القائمين عليهـا وإمكانيات الدفاع وتشكيلات الفرق وتوزيعها والخبراء الأجانب فى القوات المسلحة وندب أفراد هذه القوات لأى مهمة خارجية أو داخلية وتحركات القوات وعتاد ومهمات القوات والمعلومات الخاصة بالمصانع الحربية ومواقعها ومواقع المطارات السرية والعلنية وما ينشأ عنها والمنشآت العسكرية ومبلغ إعداد الطائرات الحربية والمطارات وتزويدها بالآلات المختلفة من رادار وغيره ومدافع ونوعها وتجهيزاتها وأماكن حفظ الوقود فيها وأخبار المناورات البحرية والجوية والرسوم والخرائط وغيرها. كل هذا مما يعد من الأسرار.

أخذ رأى السلطات :

كما أنه يجوز للمحكمة فى سبيل تحقيق طبيعة السر وعلاقته بشئون الدفاع الإلتجاء إلى السلطات ذات الشأن لأن الأمر قد يكون متعلقاً بمسألة فنية

لا تستطيع المحكمة أن تصل بنفسها إلى كشفها وقد أتبع ذلك القضاء الفرنسي. لأن الجهات الحكومية المختصة هي أعرف بمحتويات السر وحقيقته ودرجة خطره ودرجة الخطورة من إفشائه وهي أعرف بالأضرار التي تنتج عن إذاعته ومن جهة أخرى فهي أقدر على تقدير خطورة النتيجة المترتبة على الافضاء بها لمصلحة دولة تضمر المداوة لمصر مع خضوع كل ذلك لتقـــدير القاضي النهائي فيها.

وقد أخذت المذكرة الإيضاحية الأولى لقانون سنة ١٩٤٠ بوجهة النظر هذه إذ قررت أنه يحسن بالمحاكم أن تأخذ برأى السلطات في شأن الأسرار العسكرية لأنها أقدر من غيرها على الحكم على أهمية الوثيقة أو المعلومات التي تجرى المحاكمة بشأنها.

سر المهنة :

كما لا يجوز أن تؤدى شهادة أمام المحاكم بسر من أسرار الدفاع وهذا الرأى متفق عليه عند الكثير من الشراح. غير أنه إذا أذنت المصلحة لأحد موظفيها بأن يؤدى الشهادة أمام المحكمة فإنه يكون في حل من الشهادة في مجلس القضاء ويجوز أن يصدر الإذن بشروط خاصة كاداء الشهادة في جلسة غير علنية حتى لا يعلم به الجمهور وكل ذلك متروك لتقدير القاضي « راجع في هذا الشأن جارسون بند ٨٦ م ٨٧/٣ بند (٤٠) تحت باب إفشاء الأسرار » على أنه إذا تمسك صاحب السر بأنه لا يريد الإفضاء به للمحكمة فهذا حقه لأن الحظر الخاص بالسر هو حظر مطلق طبقا للمبدأ المعمول به عن أسرار المهنة (Secrets professionelles) وغنى عن البيان أنه لا ينزع عن السر صفته كسر أن يعلم به عدد كبير ممن لهم شأن في حفظه واستخدامه ويظل الأمر مع هذا لا يجوز إفشاؤه أو تسليمه وعلى ذلك فليس بمانع من العقاب على

الجريمة كون السر أبلغ إلى عدد كبير من ضباط الجيش وجنوده فهذا الإبلاغ لا يغير من طبيعته .

ونص المادة ٨٠ الجديدة أدل فى كل ذلك وأقطع إذ أنها تعاقب على مجرد تسليم السر أو الحصول عليه بقصد تسليمه ولو لم يصاحب التسليم أو الحصول إفضاء بمكنون السر .

كما أنها تعاقب أيضاً على مجرد إفشاء السر بغير حصول تسليم مادى لوعاء السر .

والأفعال التى تضمنتها هذه المادة هى: التسليم والحصول والإفشاء والإتلاف . ولا بد أن تقع هذه الأفعال على سر من أسرار الدفاع عن البلاد وأن يحصل التسليم إلى دولة أجنبية أو إلى أحد ممن يعملون لمصلحتها. والتسليم هو الإعطاء أو تمكين الغير من الحيازة على أى وجه وبأية وسيلة وعلى أية صورة وبأى شكل .

« Sous quelque forme, de quelque maniére » .. etc.

وقد يقع ذلك بطريق تمكين الدولة الأجنبية من أخذ صورة أو نقلها أو أخذ مستند أو بإملاء محتويات السر أو مضمونه أو كتابته برموز خاصة . وكل ذلك سواء تم بطريق مشروع أو غير مشروع .

وتسليم السر مرة لا يمنع من العقاب على تسليمه مرة أخرى لأن تكرار التسليم يزيد الألمام به وإنتقال الجانى من بلد إلى بلد وهو يرمى إلى الحصول على سر من أسرار الدفاع ويقوم باستقصاء مواقع السر والتحرى من الأشخاص الذين لا بد أنهم على إتصال به أو بغيره فإن ذلك يعتبر بدءاً فى التنفيذ . ونية الجانى هى التى تحدد إعتبار فعله كما يدخل فى نطاق الشروع فى الجريمة. والحصول

على السر فعل مستقل عن التسليم فيكفى لقيام الجريمة حصول الجانى على السر ثم تسليمه بعد ذلك .

كما أنه يجوز المحكمة أن تستعين فى تقرير طبيعة السر بظروف خارجية عن فحوى السر ذاته مثل جسامة الجعل الذى يتقاضاه الجانى ثمنا لتسليم السر أو الحصول عليه ومن الإحتياطات التى بدت منه ومن أن التسليم وقع لمندوب دولة أجنبية معادية مثلا .

كما أن سبق إفشاء السر لا يرفع عنه صفته ذلك أن إفشاء السر مرة لا يحول دون تبليغه مرة أخرى لغير من أفشى إليهم فى المرة السابقة ولأنه حتى لو فقد السر أهميته أو فائدته بعضها أو كلها فلا يؤثر ذلك فى مسئولية من يفشيه مادام هو من أسرار الدفاع .

كما لا يهم أن يكون الجانى مواطنا أو أجنبيا . ولا يهم كذلك أن يكون تبعاً لدولة معادية أو كان رعية لدولة أجنبية محايدة .

ولا يهم أن تكون الدولة المعادية فى حالة حرب مع الجمهورية العربية المتحدة أو دولة حليفة لها لأن السر يجب أن يصان عن كل أحد حتى عن المواطنين الذين لا شأن لهم بحفظه أو استخدامه .

وإذا حصل التسليم إلى مؤسسة أو منظمة أو جماعة تعمل لحساب دولة أجنبية أو لدولة معادية فالأمر سواء لأن هذا الأمر يحدث عادة فى حالة قطع العلاقات السياسية أو على الأخص فى وقت الحرب حتى لا تقوم بعض المؤسسات

للدولة التي تتبعها بخدمات هى فى الواقع صورة من صور التجسس أو التخابر لمصلحتها ضد عدوها .

ولكن المهم هو أن يكون الجانى على علم بأن الشخص الذى سلم إليه السر هو ممن يعملون لمصلحة دولة أجنبية لأن العقاب مفروض على تسليم السر إلى الدولة الأجنبية فإذا لم يتوافر لدى الجانى هذا العلم فلا يحق عقابه .

القصد الجنائى : —

والقصد الجنائى فى جريمة تسليم السر هو قصد عام بأن يتعمد الجانى تسليم السر وأن يعلم أنه سر وأن يعلم بصفة من يتلقى السر منه « أحكام نقض فرنسا ١١ / ٧ / ٣٥ رقم ٩١ وراجع جارسون بند ٥ مادة ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ تعليقات » .

« L'intention consiste donc ici dans la volonté de communiquer à une puissance étrangère un renseignement, sachant qu'il est secret ».

وحكم آخر من أحكام النقض فى فرنسا مضمونة « شخص سلم دولة أجنبية وثائق سرية ودافع بأنه لم يكن يقصد المساس ولا خيانة فرنسا . وإنما أراد أن يستبدل بها وثائق أخرى أكثر أهمية لشئون الدفاع وقدم هذه الوثائق البديلة فعلاً إلى السلطات العسكرية فقضت محكمة النقض فى فرنسا بأن هذا الدفاع لا يجدى الطاعن ولا يمحو مسئوليته متى كان الثابت أنه سلم فعلا السر إلى دولة أجنبية متعمدا ذلك وعالما به » .

وهو الرأى المتفق عليه بين الفقه والقضاء فى مصر الآن .

على أنه يكفى فى تسليم سر من أسرار الدفاع عن البلاد لدولة أجنبية مجرد العلم « وهو علم الجانى بأن ما يذيعه سر وأنه خاص بالدفاع عن البلاد ولا ضرورة لأن يكون للجانى باعث مخصوص كما أنه لا ضرورة لأن يصل السر إلى الدولة الأجنبية أو أن يعلم هو أنه وصل إليها أو لم يصل » .

وقد حكمت محكمة النقض فى فرنسا بتاريخ ٧ / ٤ / ١٩٣٥ ومحكمة النقض فى مصر بما يتفق مع ذلك : —

« بأنه من الجائز أن تستنتج سرية الوثيقة وأهميتها ومدى علم الجانى وقصده من ظروف خارجة عن مدلول السر نفسه كالأهمية التى تعلقها شبكة الجاسوسية على الوثائق التى يسلمها الجانى إليها وقيمة المكافأة التى تلقاها هذا الأخير وعليه فإن المكافأة التى يتقاضاها الجانى والاحتياطات التى يتخذها عملاء الدولة الأجنبية الذين كانوا على اتصال به واستمرار دفع المرتبات كل هذا يدل دلالة كافية على أن الأوراق التى سلمها إنما كانت تتعلق إلى أقصى الحدود بالدفاع عن البلاد وأسرارها وبأن فيها ما يمس أمن الدولة الخارجى » .

ويستفاد من ذلك صراحة أنه ليس هناك من حاجة إلى الاعتماد على طبيعة المعلومات وحدها للاستدلال على سريتها بل أنه يمكن استنتاج هذه السرية من الظروف الخارجية المتصلة بالقضية نفسها وكذلك تحديد قصد الجانى الخاص منها .

والمهم فى جريمة إفشاء الأسرار هو الغرض الذى يرمى إليه الجانى فغير ذى بال الصورة التى يجرى تحقيق هذا الغرض بها أو الوسائل التى تستعمل فى ذلك . كما أنه ليس من المحتم أن يكون السر قد علم بأكمله فإن

عبارة بأى وجه من الوجوه يراد بها أن تطبق العقوبة ولو لم يفش من السر إلا بعضه وكذلك لو كان السر قد أفشى على وجه خاطىء أو ناقص كما تقدم .

الموظف العام والظرف المشدد له :

المادة ٨٠ ب : —

« يعاقب بالسجن كل موظف عام أو شخص ذى صفة نيابية عامـــة أو مكلف بخدمة عامة أفشى سراً من أسرار الدفاع عن البلاد . وتكون العقوبة بالأشغال الشاقة المؤقتة إذا وقعت الجريمة فى زمن الحرب » .

كان هـــذا النص وارداً فى المادة ٣/٨٠ من قانون ٤٠ لسنة ١٩٤٠ باعتباره ظرفاً مشدداً إذا ألحقت إذاعة السر أذى بالإستعدادات الحربية للدفاع وكان النص القـديم يعتبر ظرفا مشدداً الموظف وغير الموظف متى كانت اذاعة السر تلحق أذى بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد . إلا أنه فى سنة ١٩٥٧ عند تعديل القانون أفرد الشارع الموظف مادة مستقلة وجعل صفة الشخص كموظف ظرفاً مشدداً ثم شدَدَ العقوبة لظرف آخر أيضاً وهو إذا كانت الجريمـــة قد وقعت زمن الحرب ولم يشر إلى إلحاق الضرر بالاستعدادات الحربية على أساس أن إذاعة السر نفسه هى قوام الجريمة ومناط العقاب بغض النظر عن الضرر الذى يلحق بالاستعدادات الحربية لأنه اعتبر أن الضرر يلازم الافشاء للسر واحتمال الضرر أمر مفترض أصلا .

وهذه الجريمة من حيث أركانها هى نفس الجريمة الخاصه باذاعة الأسرار التى سبق شرحها كما أنه لا فرق بين الاذاعة والإفشاء لأنهما مترادفان .

ولا يشترط القانون أن يكون علم الموظف العام بالسر قد حصل بسبب الوظيفة فإذا كان قد علم به لسبب آخر فانه يكون مسئولا متى أفشاه كذلك « راجع جارسون م ٨٠ بند ٣ » .

المادة ٨٠ — ا :

« يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد عن خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن ١٠٠ جنيه ولا تجاوز ٥٠٠ جنيه مصرى » .

١ — كل من حصل بأية وسيلة غير مشروعة على سر من أسرار الدفاع عن البلاد ولم يقصد تسليمه أو إفشاءه لدولة أجنبية أو لأحد ممن يعملون لمصلحتها .

٢ — كل من أذاع بأية طريقة سراً من أسرار الدفاع عن البلاد .

٣ — كل من نظم أو استعمل أية وسيلة من وسائل التراسل بقصد الحصول على سر من أسرار الدفاع عن البلاد أو تسليمه أو إذاعته .

لم يكن لهذه المادة مقابل فى قانون العقوبات القديم سنة ١٩٠٤ وقد أخذت تقريباً من قانون العقوبات الفرنسى المادتين ٧٩ ، ٨١ بعد تعديلها ومن المادة ٢٥٦ ايتالى وهى فى حقيقتها صورة مخففة من المادة « ٨٠ » وقد دعا إلى وضعها ما تمس الحاجة إليه من تحريم حالات كثيرة كانت تبقى بغير عقاب لعدم توافر القصد الجنائى الذى يستلزمه القانون فى جناية الحصول على أسرار الدفاع بقصد تسليمها إلى دولة أجنبية وذلك أما لصعوبة اثبات هـذا القصد حتى مع الشبهة فى قيامه . ولذا كان مجرد حيازة سر من أسرار الدفاع

عن البلاد جريمة قائمة بذاتها صيانة لهذه الأسرار صيانة تامة لأنها فى الواقع مقدمة لأعمال الخيانة والتجسس .

وكل جريمة من هذه الجرائم قد تقع فى زمن السلم ولكنها إذا وقعت فى زمن الحرب غُلِظ العقاب وجعل السجن :

كما أنه لا يهم كما هو الحال فى فرنسا أن يكون الحصول على السر بطريق التحايل أو الغش بل جُعل التعبير مطلقا ليشمل أية وسيلة وإنما يجب أن يكون الحصول على السر بعمل الجانى نفسه وسعيه فاذا وصل إليه مصادفة فلا عقاب عليه .

وهذه الجرائم هى جرائم عمدية تقوم فقط على أساس علم الجانى بأنه سر وبأن من يتراسل معه أو يفشى إليه أو يذيع له أو يعامله ليس له صفة فى حيازة السر أو العلم به وتتم جريمة التراسل حتى ولو كان بخطابات عادية ولا تستلزم قصد الخيانة أى أنها لا تتطلب سوى مجرد العلم أى القصد العام فى الجرائم .

نقص فى التشريع : —

ويلاحظ ابتداء على هذه المادة أن تنظيم وسائل التراسل أو إذاعة الأسرار هو خاص بمسائل الدفاع عن البلاد دون المسائل الاقتصادية أو السياسية أو الدبلوماسية إلا إذا كانت خاصة بالدفاع عن البلاد وهذا من أوجه النقص فى القانون التى يجب تداركها حتى يكون تنظيم أدوات التراسل أو استعمالها سواء باللاسلكى أو بالأحبار السرية أمر معاقب عليه أيضا ما دامت استعملت

فى إذاعة المعلومات الاقتصادية أو غيرها مما يضر بمصالح البلاد وهو ما توجه نظر المشرع إليه لتعديله بل وهناك بعض مسائل أخرى ليس محل بحثها الآن.

مادة ٨٠-ا/٢ : —

« كل من أذاع بأية طريقة سرا من أسرار الدفاع عن البلاد »

ومضمون ذلك أنها جريمة إذاعة أسرار الدفاع عن البلاد بأية صورة أو بأية وسيلة أو إفشائها لشخص لا صفة له .

ويقابلها فى قانون العقوبات الفرنسى : — **«On le portera sous quelque forme et par quelque moyen que ce soit, à le connaissance du public ou d'une personne non qualitiés:-**

الإذاعة : — **(Le divulgation)**

ولفظ الإذاعة ولفظ الإفشاء هما مترادفان فى اللغة العربية طبقا لما ورد فى « ابن الأثير والمنجد » (فتقول : أفشى فلا ن السر أى أذاعه) .

وإذاعة السر لغة هى كشفه ولو كان ذلك لشخص واحد فقط ما دام النقل قد تم لشخص ليس له صفة فى حيازة السر أو العلم به. وذلك لأن الأسرار موضوع الإذاعة هى من أسرار الدولة التى تتعلق بمصلحتها العليا فيجب الحرص على كتمانها وعدم التسامح فى إفشائها ولأن الإذاعة على أية صورة لا يقل ضررها عن الإذاعة بطريق النشر . ولم يستلزم الشارع حصول نتيجة ضارة بل هو يعاقب على مجرد الإذاعة . فضلا عن أن الشارع المصرى قد حذف مسألة العلانية من النصوص السابقة المعدلة.

كما يجب أن يلاحظ أيضا أن إذاعة بعض السر معاقب عليه وكذلك إذاعته بصورة خاطئة . وحظر إذاعة السر الذى هو من أسرار الدفاع أمر معاقب عليه لأنه حظر مطلق. وليس من مقومات الجريمة أن يحصل إفشاء السر إلى شخص لا تربطه بالجانى صلة ما . بل القانون يحتم أن يصان السر عن الغير بلا تمييز . فليس لمن له صفة فى الاحتفاظ بالسر أن يلقى به لأحد من خاصته كزوجته أو ولده أو صديقه . بل يمتنع عليه إفشاؤه بالنسبه للكافة وبصورة مطلقة .

والإذاعة تحصل بأية طريقة كتابية أو مشافهة أو بالتليفون أو بالشفرة أو غيرها لأشخاص أو لشخص واحد فى مجلس عام أو خاص أو محل عام أو خاص لأن النص قد ورد مطلقاً لا تخصيص فيه .

والتراسل أى الـ (Correspondence) بمعناه القانونى :

هو كل اتصال بين شخصين أو أكثر بأية وسيلة كالبريد أو غيرها أو بأى وسيلة علمية أخرى كالأجهزة اللاسلكية والشفرة وبالإرسال وبالاستقبال ويراد به تلقى الرسائل أو إرسالها بقصد تبليغها .

وتنظيم التراسل أى الـ : Organisation هو إعداد الوسيلة لتكون صالحة للاستخدام سواء فى الاتصالات المتبادلة من جانب واحد أو من جانبين.

وإن إخفاء التراسل سواء بالإخفاء المادى كالكتابة بالحبر السرى أم غيره فهو قرينة على سوء القصد :

«d'une maniére occulte»

وكذلك أن إنشاء محطة لاسلكية أو وسائل تراسل كالإرسال والاستقبال أو وجود مقر للحمام الزاجل مثـلا كل ذلك مما تتوافر به وسائل تنظيم التراسل .

القصد الجنائى فى جرائم أمن الدولة السابقة :

وحاصل ماتقدم أن جرائم أمن الدولة السابق شرحها هى جرائم أصلا عمدية وتحديد القصد فيها يتوقف على خطورة الجريمة إلا أن الشرع كما سبق قد اكتفى فى بعض الجرائم بالقصد العام أى بإرادة الجانى ارتكاب الفعل المكون للجريمة مع علمه بالظروف ونص فى بعضها على قصد خاص بعبارة لالبس فيها .

فرفع السلاح على مصر أو العمل مع القوات المعادية أو إذاعة أسرار الدفاع وما فى حكمها أو نقل أو رسم أو تصوير أو شرح أو وصف المنشئات أو ما يماثلها كل هذا لايتطلب سوى القصد العام وهو العلم أما مانص عليه صراحة من الاتصال بدولة معادية للقيام بأعمال عدائية فهو يتطلب قصداً خاصاً فوق العلم وهو أن يقوم فى ذهن الجانى أنه يقدم مساعدة للعدو أو لجهوده ضد مصر أو لتعينه هذه الجهود التى يحتفظ بها للاستفادة منها فى الوقت المناسب فيما يضر بمركز البلاد وقد يتجه أيضا قصد الجانى وذهنه إلى الإضرار بمركز مصر الاقتصادى أو السياسى أو الحربى أو الدبلوماسى . فإذا وقعت الجريمة فى وقت السلم فإن ظروف الحال بملابساتها مما يعين على فهم حقيقة ما يرمى إليه الجانى .

وسوء القصد يكون واضحاً لاشك فيه إذا قامت الاتصالات أو تم التخابر

مع دولة تضمر العداء لمصر كإسرائيل مثلا أو بها مظنة الاعتداء عليها أو هى فى حالة حرب معها .

وهناك مسائل أخرى لا يتجه قصد الجانى فيها إلى الإضرار وإنما يكون من شأنها الإضرار وتقدير هذا متروك للقاضى لأن الشارع كما تقدم القول إنما قصد حماية شخصية الدولة بغض النظر عن النتيجة التى ينتجها الفعل أى يكفى احتمال وقوع الضرر .

أما فى جريمة انتهاك أسرار الدفاع :

فهى لا تتطلب سوى مجرد العلم أى سوى القصد العام وتسليم مثل هذه الأسرار أو توصيلها أو الأخبار عنها فيكفى فيه مجرد العلم بأن ما يفعله الجانى إنما هو فعلا سر من أسرار الدفاع وقد فصل القانون فى مواده مثل هذه الأسرار صراحة فلا يصح بعدها الادعاء بالجهل بها أو الادعاء بأنها ليست من أسرار الدفاع أو أنها مما ينشر عادة فى الصحف أو يرد فى المقالات أو غيرها أما جريمة الحصول على السر فهو أمر معاقب عليه حتى ولو لم يكن الجانى ينوى إبلاغه إلى دولة أجنبية أو دولة معادية أو لمن يعملون لمصلحتها .

الاتفاق الجنائى : المادة ٨٢ ب :

نصت المادة ٨٢ ب . « يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة . كل من اشترك فى اتفاق جنائى سواء أكان الغرض منه ارتكاب الجرائم المنصوص عليها فى المواد ٧٧ ، ٧٧ أ ، ٧٧ ب ، ٧٧ ج ، ٧٧ هـ ، ٧٨ ، ٧٨ أ ، ٧٨ ب ،

٧٨ د ، ٧٨ هـ ، ٨٠ أو اتخاذها وسيلة للوصول إلى الغرض المقصود منه ويعاقب بالإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة كل من حرض على الاتفاق أو كان له شأن فى إدارة حركته ومع ذلك إذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب جريمة واحدة معينة أو اتخاذها وسيلة إلى الغرض المقصود يحكم عليه بالعقوبة المقررة لهذه الجريمة »

« ويعاقب بالحبس . . . الخ » .

ورد بالمذكرة الإيضاحية أن هذه المادة هى مادة جديدة روعى إضافتها لوضع عقوبة على الاتفاق الجنائى على ارتكاب الجنايات المنصوص عليها فى هذه المادة أغلظ من العقوبات المقررة للأحكام العامة للاتفاق الجنائى فى المادة ٤٨ عقوبات بفقراتها .

ومع استحداث جريمة جديدة خاصة لمن دعا آخر إلى اتفاق جنائى ولم تقبل دعوته كانت أصلا غير معاقب عليها .

أما جريمة الاتفاق الجنائى المنصوص عليها فى هذه المادة فهى من نوع خاص إنما هى ككل جرائم الاتفاق الجنائى يجب أن يثبت فيها أولا حصول الاتفاق وغرضه وقصد الجانى منه .

أما حصول الاتفاق فهو يتم كما هو معروف بتقابل إرادة المتفقين واتحادها على ارتكاب جريمة من الجرائم المذكورة آنفا فى المادة والسابق شرحها فيما تقدم أو اتخاذها وسيلة للوصول إلى الغـــرض المقصود من الاتفاق » .

والاتفاق هنا مقيد بارتكاب جريمة من جرائم أمن الدولة والتي إذا وقعت تجعل سلامة الدولة في خطر وتنم عن الخيانة وجحد زمام الولاء الواجب للدولة فهذا هو الغرض المقصود منه .

ولا يشترط في هذا الاتفاق جمعية (Association) ولا يشترط استمراره ولا تنظيمه ولذا يعاقب عليه لو كان فيه أطراف ولها رئاسة وعلاقات تبعية وتعدد أشخاص أو إذا كان خالياً من هذا كله حتى عند اقتصار العدد على اثنين أو ما يقرب منهما .

وإنما يشترط أن يكون جدياً دون حاجة إلى تنظيم أو استمرار أو مضي فترة زمنية . وذلك خلافاً لقانون العقوبات الإيطالي الذي اشترط أن تكون مدة الاتفاق على الأقل ثلاثة شهور وشدد العقوبة إذا كان هناك عشرة على الأقل أو أكثر داخلين فيه .

ولاشك أن تبادل الرضا لازم لقيام الاتفاق وهو جريمة مستمرة على كل حال. وقد نص فيه خلافاً للقانون العام على عقاب الشروع أيضاً وذلك في الفقرة الأخيرة وهو الاتفاق الذي لم تقبل الدعوة إليه .

والاتفاق على جريمة من جرائم أمن الدولة يوجب مسئولية جميع المتفقين بغض النظر عن الغاية البعيدة منه وذلك لأن الباعث لا اعتبار له في قيام المسئولية الجنائية ولأن الغاية مهما تكن لا تبرر الوسيلة غير المشروعة إذ أن نشر المبادىء أو تحبيذها لا يكون بطريق العنف ولا الجريمة .

القصد الجنائي :

أما القصد الجنائي في جرائم الاتفاق الجنائي فهو قصد عام يجب لتوافره أن يكون الجاني على علم بأن القانون يحرم مثل هذا الاتفاق على ارتكاب الجريمه أو الجرائم الخاصة بأمن الدولة وهو علم مفترض وأن تتحد إرادة الجاني إلى الدخول في الاتفاق مع غيره فإذا كان أحدهما جاداً والآخر غير جاد أو أحدهما يعلم الغرض والآخر لا يعلم فلا عقاب لأن الرضا يجب أن لا يكون معيبا بينهما .

أما التحريض على الاتفاق أو التدخل في حركته :

فالتحريض هنا هو إغراء أحد الداخلين في الاتفاق على تحقيقه أو بث روح الاتحاد بينهم أما التدخل في حركة الاتفاق فهو التعهد بتنظيمه أوموالاته أدبيا وماديا . وللقاضي أن يستخلص التدخل من الوقائع المعروضة أمامه . وتشديد العقوبة يرجع إلى نشاط المحرض واستخفافه بالسلطات وقد ينجح مثله في الهرب من المسئولية لتخفيه وعدم ظهوره مع أن دوره يكون أخطر من غيره .

ويوجد شبه بين هذا الاتفاق وبين الاشتراك بالاتفاق في المادة ٤٠ عقوبات من حيث إمكان وقوعه على جريمة معينة ويختلفان في أن الشارع لا يشترط وقوع الجريمة في الاتفاق الجنائي بالمادة ٨٢ ب بينما يشترط وقوعها في المادة ٤٠ عقوبات .

وإذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب جريمة أو أكثر مما نص عليه في

المادة ٨٢ ب أو اتخاذها وسيلة للغرض المقصود من الاتفاق فقد نص على عقاب المتفقين بعقوبة الجريمة الأصلية لأنه من غير المقبول أن يعاقبوا بعقوبة أشد طالما أن الجريمة نفسها لم ترتكب ولو كانت ارتكبت لعوقب الجانى بعقوبتها .

وعلى هذا الأساس ينبغى على القاضى فى الاتفاق الجنائى على جريمة واحدة أن يقارن بين عقوبة الاتفاق الجنائى المقررة فى المادة ٨٢ ب وبين عقوبة الجريمة الأصلية وتوقيع أيهما أخف .

أما إذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب عدة جرائم ثم وقعت جريمة أو أكثر منها فيطبق المادة ٣٢/٢ من قانون العقوبات ،وتوقع عقوبة واحدة وهى المقررة للجريمة الأشد . سواء أكانت هى المقرره للاتفاق الجنائى أو للجريمه التى وقعت بالفعل .

المادة ٨٣ الخاصة بالغرامة :

تنص المادة على ما يأتى :

« فى الجنايات المنصوص عليها فى هذا الباب يجوز للمحكمة فى غير الأحوال المنصوص عليها فى المواد ٧٨ ، ٧٩ ، ٧٩ أ أن تحكم فضلا عن العقوبات المقررة لها بغرامة لا تجاوز عشرة آلاف جنيه » .

وقد أراد الشارع بهذه المادة أن يزيد على العقوبات المفروضة فى النصوص التى اشتمل عليها باب الجرائم المضرة بأمن الدولة عقوبة تكميلية جوازية .

وهى الحكم بالغرامة التى لا حد أدنى لها واستثنت المادة جرائم الرشوة وجرائم الاتجار مع الأعداء لأن الغرامة فيها وجوبية .

وقد أراد الشارع أن يشدد أيضا فى الجزاء الذى يوقع عن هذه الجريمة. من جهة لأن المتهمين يستفيدون ماديا من نشاطهم المحرم ولأن الدولة تبذل المال الوفير فى سبيل الوصول إلى معرفة هذا النشاط سعْياً إلى قهر عدوها وكشف أسرار الدفاع فهذا الجزاء الإضافى إنما هو وسيلة لحرمان المتهم مما عسى أن يكون قد حصل عليه من ثمن الجريمة ولم يكشف أمره .

والغرامة هنا عقوبة فردية وليست نسبية فتوقع على كل متهم على حدة ولو تعدد المتهمون .

حالة الحرب ومعناها : —

لما كان التفريق بين زمن الحرب وزمن السلم أمرا له خطورته فى حكم مواد القانون والخلاف الذى كان يقوم دائماً فى مثل هذه القضايا بين الدفاع والاتهام خصوصا ما سبق أن تردد عن العلاقات بين مصر وإسرائيل وعن أن حالة الحرب تبدأ كذلك مع زمن الحرب فإن الشارع عند تعديل قانون العقوبات سنة ١٩٥٧ رأى أن ينص على هذا الأمر صراحة وأن يفسره . فأورد فى المذكرة الإيضاحية حكما جديدا يلحق بحالة الحرب الفترة التى يحدق فيها خطر الحرب متى انتهت بوقوعها فعلا باعتبار أن تلك الفترة وإن كانت فى الواقع ليست من زمن الحرب إلا أنها تبلغ بحكم الظروف مبلغ حالة الحرب مما يقتضى تسويتها بتلك الحالة وسحب أحكامه عليها .

فنص فى الفقرة جـ من المادة ٨٥ ا على أنه : —

« تعتبر حالة قطع العلاقات السياسية فى حكم حالة الحرب وتعتبر من زمن الحرب الفترة التى يحدق فيها خطر الحرب متى انتهت بوقوعها فعلا » .

ونظرا للخلاف الذى كان قائما أصلا بين الشراح فى أن الحرب لا تقع من وجهة نظر القانون الدولى إلا بين الدول وأنها تبدأ من وقت إعلانها فقد ضمنت الفقرة د من المادة (٨٥ ا) النص أيضا على أنه يعتبر فى حكم الدول الجماعات السياسية التى لم تعترف لها مصر بصفة الدولة متى كانت تعامل معاملة المحاربين ولم يقصد الشارع بذلك إلى خلق حكم جديد وإنما رؤى التصريح به باعتباره من المبادىء التى استقرت عليها آراء الفقه والقضاء فى القانون وهو يقصد بذلك إسرائيل لأن مصر لم تعترف بها كدولة فاورد فى الفقرة د : —

« تعتبر فى حكم الدول الجماعات السياسية التى لم تعترف لها مصر بصفة الدولة وكانت تعامل معاملة المحاربين » .

وعلى هذا الأساس وإن كان الأصل فى فقه القانون الدولى أن الحرب بمعناها «الحرب» إنما هى الصراع المسلح بين دولتين إلا أن للأمر الواقع أثره فى تحديد هذا المعنى فى الحالة القائمة بين مصر وإسرائيل مثلا وهى حالة لها كل مظاهر الحرب ومقوماتها. وفضلا عن أن للمذكرة الإيضاحية الأخيرة أوضحت كما أوضحت من قبل المذكرة الإيضاحية للقانون رقم ٤٠ سنة ١٩٤٠ أنه فى حالة الحرب تطبق العقوبة المغلظة أما العقوبة العادية فلا تطبق إلا إذا كانت الدولة فى حالة سلام مع سائر الدول أى أن العبرة بالحالة التى عليها الجمهورية العربية المتحدة. ولا شك أن الجمهورية العربية فى حالة حرب مثلا

مع إسرائيل لأن واقع الحال يدل عليه فمنذ أن قامت الحرب بين مصر وإسرائيل فى مايو سنة ١٩٤٨ وانتهت باتفاق الهدنة التى عقدت فى أوائل عام سنة ١٩٤٩ فقد سبق كل ذلك فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ إعلان الأحكام العرفية التى ظلت حتى سنة ١٩٥٠ ثم رفعت بالقانون رقم ٥٠ سنة ٥٠ إلا أنها استمرت فى محافظتى سينا والبحر الأحمر وجددت وأعيدت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ثم أعلنت مرة أخرى فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ إلى اليوم .

ويبين من ذلك أن إعلان الأحكام العرفية بمرسوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ سبق الحرب التى قامت بين الدولة المصرية واسرائيل وظلت معلقة بالرغم من عقد الهدنة ولما رفعت استبقى العمل بأوامر عسكرية ثم أعلنت بعدها سنة ١٩٥٦ ويدل هذا على أن البلاد كانت تستشعر الخطر بالرغم من قيام الهدنة بل ظلت محافظتا سينا والبحر الأحمر المتاخمتان لإسرائيل تحت سلطان الأحكام العرفية إلى اليوم . وحتى هذا الذى حدث من أمر الهدنة وهى خاصة بوقف القتال فقط . فلم يمنع اسرائيل والعصابات الصهيونية من أن تهاجم مصر فى ٢٩/١٠/١٩٥٦ م مع إنجلترا وفرنسا بالرغم من هذه الهدنة التى قيل بها وبالرغم من أن مصر لم تقم بأى اعتداء ما بل أن اسرائيل قد عبثت بالقواعد الدوليه ولا تزال تفعل ذلك وتغير على حـــدود الجمهورية العربية سيما على الإقليم السورى بعد الوحدة التى تمت .

ونتحدث بهذه المناسبة عمـا نذكره جميعاً من أنه بعد الاعتداء الثلاثى الغاشم على مصر ومنذ سنة ١٩٥٦ ما تزال الطائرات والداوريات والعصابات الإسرائيلية تحاول الإعتداء ومناوشة قوات الجمهـورية العربية المتحدة وتعبر الفضاء الجوى للجمهورية أو تسرق بعض أهليها أو تطلق النيران عليهم عبر

الحدود أو عبر خطوط الهـــدنة أو تعتدى على المياه الإقليمية وقد أدينت اسرائيل فى كل الأحوال بما يقطع فى أن هذه الدولة المعادية لا تنى مطلقاً عن الإعتداءات والاستمرار فيهـا تلك الأمور التى يعلمها الـكافة . وعليه فـكل أعمال التخابر التى يقصد بها معاونة مثل هذه الدولة المعادية إنما تـكون معاقبا عليها حتى ولو لم نـكن الآن فى حالة حرب فعلية معها لأن مصر لم تعترف لها بصفة الدولة .

لأن الأساس فى فقه القانون الدولى هو قيام الصراع المسلح وهو صراع إنما يجمع كل مقومات الحرب والحرب متى وجدت مقوماتها أحدثت فوراً آثارها القانونية والزمت المحايدين بواجبات الحياد وإحترام حقوق المحاربين فى الوقت نفسه .

الإذاعات والدعايات الـكاذبة :

المادة ٨٠ حـ : —

« يعاقب بالسجن كل من أذاع عمداً فى زمن الحرب أخباراً أو بيانات أو إشاعات كاذبة أو مغرضة أو عمد إلى دعاية مثيرة . وكان من شأن ذلك كله إلحاق الضرر بالإستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة . أو إثارة الفزع بين الناس أو اضعاف الجلد فى الأمة .

وتـكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتـة إذا ارتـكبت الجريمة نتيجة التخابر مع دولة أجنبية .

وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة إذا ارتكبت الجريمة نتيجة التخابر مع دولة معادية »

لقد سبق أن كررنا فى البحوث السابقة وذكرنا أن أفق الحرب الحديثة قد أصبحت لا تقتصر على الصراع فى ميادين القتال بأسلحة الحرب المدمرة ولكن ميدانها قد امتد إلى المدنيين بسلاح جديد لا يزهق النفس وإنما يميت القلوب الحائرة ويحطم الأعصاب حتى يضيق أهل البلاد بالحرب ويكرهون المضى فيها .

وقد لجأت الدول كما نذكر ومنها ألمانيا فى حرب (٣٩ — ٤٥) تهز مشاعر الناس بإشاعة الأخبار الكاذبة إضعافا لروحهم المعنوية حتى ينحل إتحاد الأمة ولا تستطيع التماسك أمام عدوها .

ولذلك رأى الشارع المصرى أسوة بالبلاد الأخرى أن يكافح مثل هذه الدعاية الخطرة التى إنما هى دعوى سياسية للهزيمة أو هى فى حقيقتها حرب الأعصاب فأنشأت الوزارات فى بعض الدول وفى مصر أنشئت مصلحة الاستعلامات والدعاية ووزارة الارشاد وغيرها . بل فى فرنسا صدر قانون باعتقال الأفراد الذين يسيئون للبلاد والخطرين على الدفاع أو على الأمن العام . وصدر كذلك أخيراً بمصر ما يشابه ذلك حتى لا يتمكن مثلهم من إضعاف الروح المعنوية للامة وأركان هذه المادة : —

أولها : — إذاعة الأخبار أو البيانات أو إثارة الاشاعات أو نقلها وتداولها وبثها بين الناس بما يفيد معنى التواتر والانتشار وهى تتم بأية كيفية

وعلى أية صورة ولم يشترط الشارع لها العلانية أو الطرق النصوص عليها فى المادة ١٧١ عقوبات .

فالجانى الذى يقوم بنقل الخبر الكاذب إلى كل من وجده أو صادفه حتى يشيع ويعرفه عدد ملحوظ من الناس ولو كانوا فى بلد واحد أو مكان واحد يعتبر مرتكبا للجريمة ويستوى فى ذلك أن تكون الاذاعة بالخطب أو المقالات أو فى صورة نقشيد أو تنديد أو بالكتابة أو استخدام محطه سرية لاسلكية أو بالسينما أو الأشرطة الصوتية أو بالرسم أو التصوير التى تنبىء كلها عن فكرة إثارة من يطلع عليها .

ولذا عمدت الحكومات إلى وضع رقابة على الأنباء خصوصا الخارجية منها الأمر الذى أصبح متعارفا عليه فى فقه القانون وهو حق الدولة فى نطاق سيادتها بأن تراقب الأخبار الداخلية والخارجية قبل إذاعتها وخاصة وقت الحرب .

والأخبار الكاذبة "Les nouvelles fausses" فهى التى لا أصل لها أو التى طرأ عليها تحريف أو تشويه أو إسناد واقعة غير صحيحة تطمس الحقيقة .

(راجع باربييه نبذة ٣٤٩ ، ٣٥٠)

والبيانات "informations" فهى المعلومات التى تروى عن أمر عرف الناس وقوعه إجمالا فيتناول البيان تفصيلات لا أساس لها عن شيرة الحرب مثلا أو عجز محصول رئيسى للبلاد .

والإشاعات الكاذبة "les rumeurs fausses" فهى رواية الوقائع وترديدها بحيث يظن الناس أنها حقيقة .

والتمييز بين الخبر الكاذب والصحيح أمر يتصل بالملابسات التى تحيط بالواقع وهو مسألة موضوعية يختص بها القاضى .

أما الدعاية المثيرة فهى الحملة المنظمة لإثارة النفوس أى "propaganda" التى تهيج الجمهور حتى يتبدل رضاء سخطا كما كان يحدث عادة فى ألمانيا النازية أو ما يسمى بحرب الأعصاب تلك التى وصفها وزير العدل المصرى فى مجلس الشيوخ سنة ١٩٤٠ قبل إصدار القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ .

من أن المادة ٨٠ وضعت لما يسمى حرب الأعصاب والغرض منها الفت فى عضد الأمة وإضعاف الروح المعنوية فى البلاد . وهى فى عرف علماء علم النفس أقوى من أى سلاح آخر — فلو قال شخص مثلا للناس كيف تعيشون فى الظلام أربع سنوات بنظام بطاقات لكل شىء . وظل يسمى بهذه الدعاية الخبيثة فى كل مكان فإن ذلك يضر بالحالة النفسية للشعب . وهذا قد يحصل من أجنبى خارج البلاد . كما يحصل أيضا من أجنبى أو وطنى داخلها وكذلك يكون الحال بنشر أخبار كاذبة أو مغرضة عن طريق الإذاعة من محطات خفية أو من أفراد يتنقلون بين الشعب ويسممون أفكاره .

أما الركن التالى من الجريمة :

فهو أن يكون من شأن هذه الدعاية المثيرة إلحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة أو إثارة الفزع

بين الناس . وإنما أراد الشارع بذلك حماية الرأى العام من خطر الأخبار الكاذبة أو المغرضة ولم يشترط القانون وقوع الضرر فعلا بل احتمال ذلك. وللقاضى السلطة المطلقة فى تقدير كل هذا .

ويتوافر القصد الجنائى بعلم الجانى بكذب الخبر أو الإشاعة أو بأنها مغرضة ومثيرة وليس فى هذه النصوص كلها من تأثير على حرية الرأى التى هى أولى الفضائل والتى أصبحت مبدأ أساسيا مقدسا من مبادئ الديموقراطية والتى إنما ترمى إلى الخير وتهيىء لاستقرار المصالح العامة . لأن الرأى إذا تجاوز الغرض الاسمى من إبدائه وأصبح دعوة إلى الفوضى والرذيلة فإنه لا يكون عندئذ فضيلة ولا يعد من قبيل الرأى الحر ولا يستأهل حماية القانون .

إخفاء الجناة وإعانتهم :

إن الغرض الذى يرمى الشارع إليه من النص على هذه الجرائم هو الكشف عن مرتكبيها والعمل على تجريم من يخفى الجواسيس أو يساعدهم أو يقدم لهم الإعانة أو أى وسيلة للتعيش أو السكنى أو المأوى أو يعيرهم مكاناً للاجتماع أو يسهل لهم ذلك أو يحمل رسائلهم أو يخفى الأدوات التى استعملوها فى ارتكاب جرائمهم وقد جعله الشارع فى حكم الشريك وأراد أن يضيف بذلك أحكاما جديدة لقواعد الاشتراك ولو لم تكن هذه الأفعال مستكملة للأركان والشروط القانونية التى تتطلبها مواد الاشتراك فجاء نص المادة ٨٢ على هذا الأساس : —

المادة ٨٢ :

يعاقب باعتباره شريكا فى الجرائم المنصوص عليها فى هذا الباب :

١ — كل من كان عالما بنيات الجانى وقدم إليه إعانة أو وسيلة للتعيش أو السكنى أو مأوى أو مكانا للاجتماع أو غير ذلك من التسهيلات . وكذلك من حمل رسائله أو سهل له البحث عن موضـــوع الجريمة أو إخفائه أو نقله أو إبلاغه .

٢ — كل من أخفى أشياء استعملت أو أعدت للاستعمال فى ارتـكاب الجريمة أو تحصلت منها وهو عالم بذلك .

٣ — كل من أتلف أو اختلس أو أخفى أو غير عمداً مستنداً من شأنه تسهيل كشف الجريمة أو أدلتها أو عقاب مرتـكبيها .

ويجوز للمحكمة فى هذه الأحوال أن تعفى من العقوبة أقارب الجانى أو اصهاره إلى الدرجة الرابعة إذا لم يكونوا معاقبين بنص آخـــر فى القانون .

ومما تقدم يبدو واضحا أن الشارع إنما أراد بهذه المادة بالنسبة لجرائم الاعتداء على أمن الدولة الخارجى لما لها من أهمية وخطر — أن يسد ما قد يتخلف عن تطبيق القواعد العامة للاشتراك ومساعدة الجانى للفرار من وجه القضاء من ثغرات ومسلـكه فى هذا هو نوع من التحفظ والاحتياط لإمكان عقاب كل نشاط يتصل بهذه الجرائم ولو كان الاتصال بعيدا عن

• الفعل الأصلى بما لا يجعله اشتراكا أو إخفاء طبقا للقانون . وحدد الجريمة فعاقب على كل المساعدات الأدبية والمالية وممالأة الجانى هذا فضلا عن أنه إذا وجدت عناصر الاشتراك تطبق أحكامه .

وإنما يجب أن يقع من الجانى فعل إيجابى من الأفعال المنصوص عليها سابقاً وهو يعلم نيات الجانى الأصلى الإجرامية على وجه الترجيح . ويستعان بإثبات هذا العـــلم بالظروف والقرائن التى تلابس تقديم المعونة أو التسهيل إلى آخره .

ولما كانت الصلات العائلية مما تبعث أصلا على التعاطف على من تورط فى أى جريمه فيلتمس له أهله تحت تأثير العاطفة الفطرية السلامه وهو شعور طبيعى لإنقاذ قريبهم من التهمة والوالد إلى جانب ولده والزوجة لشريك حياتها والجد لحفيده وكل هؤلاء ميالون إلى التستر بعضهم على بعض إلا أن الشارع لخطورة جرائم أمن الدولة على الدولة وبنها ترك للقضاء حق تقرير الإعفاء فأجازه ولم يطلقه وللمحكمة أن تستعمله أو لاتستعمله طبقا للظروف التى تراها إن لم يكونوا معاقبين بنص آخر أو مساهمين فى الفعل وذلك لأن مصلحة الدولة تعلو مصلحة الأسرة .

وليعرف الناس من هم الأقارب الذين ينطبق عليهم النص فإنهم هم الـ "Parents" والأصهار أى الـ "Alliés" والقريب يكون من جهة العصب كالأب والجد والإبن والصهر فى المشهور من القول هو زوج البنت أو زوج الأخت ويدخل فى الأصهار أيضاً الزوجة بطريق الأولى لدخول أقاربها فى رتبة المصاهرة وهى أولى منهم .

والدرجة هى رابطة بين شخصين اثنين صعوداً أو نزولا فبين الأب وابنه درجة وبين الجد وحفيده درجتان وهكذا ولا بد أن يجتمع من يراد معرفة درجته بغيره فى أصل واحد كالأب والجد . وعلى ذلك يكون ابن الأخ فى الدرجة الثالثة لأن الأخوين يجتمعان فى أب واحد وهو الأصل وبين الأب وابنه درجة واحده وبين الأب وابنه الآخر درجة أخرى وبين ابن الأخ والأب درجة ثالثة . وابن العم فى الدرجة الرابعة بنسبته إلى ابن عمه لأن بين الأب وابنه درجة وبينه وبين الإبن الآخر اى (الأخ) درجة ثانيه وبين كل ابن وأبيه درجة فيكون ابن العم فى الدرجة الرابعة وابن أخ الزوجة فى الدرجة الثالثة لأن الأصل الأب وبين الأب وابنته درجة وهى (الزوجة) وبين الأب وابنه (أخ الزوجة) . درجة وبين هذا الأخير درجة — كل ذلك لأن القاعدة أن كل أصل وفرعه تفصلهما درجة على التوالى .

الإعفاء من العقاب :

المادة ٨٤ ا : —

« يعفى من العقوبات المقررة للجرائم المشار إليها فى هذا الباب كل من بادر من الجناة بإبلاغ السلطات الإدارية أوالقضائية قبل البدء فى تنفيذ الجريمة وقبل البدء فى التحقيق . ويجوز للمحكمة الإعفاء من العقوبة إذا حصل الإبلاغ بعد تمام الجريمة وقبل البدء فى التحقيق . ويجوز لها ذلك إذا مكّن الجانى فى التحقيق السلطات من القبض على مرتكبى الجريمه الآخرين أو على مرتكبى جريمة أخرى مماثلة لها فى النوع والخطورة » .

وهذه المادة تعديل للمادة رقم ٨٤ / ٢ ، ٣ من القانون القديم إلا أن صياغتها — عدلت تعديلات أوفى . وهى تقابل كذلك المادة ١٠٥ ، ١٠٧ من القانون الفرنسى .

وحكمة الإعفاء المنصوص عليه فى هذه المادة هو الكشف عن الجرائم لإنزال العقاب بباقى المجرمين الذين لم يكشفهم التحقيق وهو أمر أولى بالاعتبار لأن فيه مصلحة محققة للدولة ولأن التبليغ يدل على التوبة وعلى نزعة طيبة . فإذا وقع التبليغ ابتداء قبل بدء تنفيذ الجريمة وقبل البدء فى التحقيق كان الإعفاء واجبا قانونا وذلك أسوة بما نص عليه القانون فى جرائم الإتفاق والرشوة والتزوير وتزييف النقود وغيرها . فإذا نفذت الجريمة فلا يعفى المبلغ وجوبا بل يترك الأمر فى ذلك جوازيا للمحكمة .

والإعفاء قبل البدء فى التحقيق جوازى للمحكمة وذلك لأن الجانى الذى يبلغ قبل البدء فى التحقيق إنما يندفع تحت تأثير اتهامه ليتخلص من تبعة الجريمة وهو فى ذلك إنما يرعى مصلحة نفسه قبل مصلحة الدولة وقبل المصلحة العامة .

ولذا يجب أن يكون التبليغ عن الجناة الآخرين وعن الجريمة مستكملا عناصره من جهة بيان نوع الجريمة وزمان ومكان ارتكابها وأسماء مرتكبيها وعنواناتهم وما يعرفه المتهم عنهم ليكون التبليغ مثمرا الثمرة المرجوة ولا يعفى الجانى التبليغ المبهم أو الغامض .

والاعفاء بعد التحقيق وهو ما ورد فى الفقرة الثالثة فهو جوازى أيضا للمحكمة أى لسلطة الحكم . ويجب فيه أن يمكن الجانى السلطة من

القبض على مرتكبي الجريمة الآخرين أو على غيرها من جرائم تماثلها خطورة ومن نوعها . ويجب أن يكون تبليغه عن أسماء كل من يعرفهم من الفاعلين أو الشركاء فإذا تستر على البعض منهم دون البعض - أو حرّف في الوقائع المسندة إليهم فإنه لا يجوز إعفاؤه لأنه يكون عندئذ مغرضا فى تبليغه ومضللا عما أبداه من معلومات .

وكذلك لا يجوز الإعفاء إلا إذا كان التبليغ هو السبب فى القبض على الجناة — فإذا عُرِفَ الجناة من قبل التبليغ فإن الشرط الذى جعله الشارع مسوغاً للاعفاء لا يتوافر وللمحكمة الموضوع الفصل النهائى فيما إذا كانت البيانات التى أدلى بها المبلغ كافية لتسهيل القبض عليهم (راجع جارسون وأحمد أمين / ١٦٥ وجندى عبد الملك موسوعة ص ٥٨٩ جزء / ٢) .

أما أمر الحكم عليهم من عدمه فلا دخل له فى الإعفاء لأن الدليل عند تمحيصه أمام المحكمة قد يختلف التقدير فى النظر إليه أى أنه لا يشترط للاعفاء الحكم على المبلغ عنهم . والمفهوم كذلك أنه لا يمكن أن يستفيد من الاعفاء والتسامح إلا من درأ عن الدولة بالفعل ضررا محققا أما إذا أبلغ عن أمر لم يعد جديدا أو كان معروفا أو عن أشخاص معلومين للسلطات فإنه لا يكون هناك فائدة بعد من التبليغ ولا يمكن اعتبار المبلغ قد أدى أى خدمة للدولة يستحق عليها الإعفاء .

كما يشترط قطعا أن يكون الإرشاد هو الذى سهل القبض على باقى المجرمين أما إذا كانت السلطات المختصة أو المحقق قد وفق إلى معرفتهم واقتفاء أثرهم من غير هذا السبيل فلا محل للاعفاء لأن الإرشاد لا يكون قد كشف

عن الدعوى أو فتح السبيل للمحقق — وهى أمور تستقل بها سلطة الحكم دون سلطة الاتهام .

وهكذا نكون قد انتهينا من الباب الثانى من هـذا الكتاب الخاص بالبحث القانونى وشرح مواد أمن الدولة ليتعرفها الناس جميعا وليعملوا على تجنبها . ونبدأ بعد ذلك فى ايراد بعض قضايا التجسس الأخيرة التى وقعت بمصر أو بالخارج لتكون عبرة للناس .

* * *

الباب الثالث

بعض قصص الجاسوسية

الحرب الجديدة هى حرب التجسس

يعلم الكافة أنه بعد العدوان الثلاثى على مصر قامت حرب جديدة بيننا وبين إسرائيل استعدادا للموقعة الفاصلة أو بدأت مرحلة أخرى من المراحل هى مرحلة التمهيد للمعركة الفاصلة بيننا وبين تل أبيب هى معركة التجسس فقد شحذت إسرائيل قواها وحاولت أن تضم لها كل من ضعفت قناته أو كل من له ثمن أو كل حاقد وأن تغريهم بالمال والنساء والمتع وغيرها من المغريات. ولا شك أن للمعركة ذيولا لم تنته وانه لا بد أن يكون لها معقبات مما يقتضى معه ازدياد الشعور بالواجب والحرص من جميع المواطنين فى كل تصرفاتهم . ونحمد الله أن كانت لمصر عيونا ساهرة أخرى ترقب الحركات فى الخارج والداخل استطاعت أن تفتح السبل وأن تقدم الخيوط الأولى والأدلة على المؤامرة وأمكن بواسطتها معرفة أمثال « جلازر » و « وبار يهوذا » و « وكيمخ » والهولندى والايتالى واليونانى والألمانى وبعض المصريين على النحو الذى عرف فى المحاكمات الأخيرة أمام محكمة أمن الدولة العليا الخاصة التى تشرفت برئاستها .

ولكن ليس معنى ظهور ووقوع شبكات الجواسيس أن التجسس قد انتهى أمره وليس معناه أن مخابرات إسرائيل قد وقف نشاطها أو أن الجواسيس اختفوا بل على العكس قد تبين أن هذه الشبكات جزء من أخرى لم تظهر بعد ولا تزال مختبئة وقد تحقق وجودها ونشاطها من تزويد المحطات السرية بالأنباء وغيرها اخيرا . وما قد يظهر .

ويحسن بى أن أبين للناس بمناسبة إصدارى لهذا الكتاب ما تبين من ظواهر جديرة بالتسجيل والملاحظة بعد نظر هذه القضايا والحكم فيها .

وأولها : أن شبكة الجاسوسية التى كان يرأس خليتها م ج . الهولندى كانت مع شبكة م.س المصرى أخطر الشبكات من ناحية التجهيزات اللاسلكية ومن اتصال الشبكة الأولى بتل أبيب مباشرة ذلك الذى أقر به الهولندى من أن المخابرات الإسرائيلية هى التى أرسلته من امستردام إلى باريس للتدريب على استعمال اللاسلكى لمدة أربعة شهور وأنه قد أعيد تدريبه مرة أخرى بعد عودته من القاهرة وهذا هو نفس الذى حصل بالنسبة لـ م . س تماما واستخدم الهولندى الشفرة السرية على الموجة القصيرة بجهازات الإرسال والاستقبال المضبوط والتى أعدت مثيلاتها ليستخدمها م. س . وأن الجميع قد استخدموا الأحبار السرية المتشابهة من مصدر واحد .

وقد ظهر أن نشاط شبكة الهولندى كان بعضه بمدينة الاسكندرية وبعضه بالقاهرة وكان موجها إبتداء نحو الأسطول العربى وقطعه وغواصاته . وكانت جميع هذه المعلومات المطلوبة من أفراد الشبكة تدور بالأهم حول ذلك بدليل أنهم أستخدموا أيضاً الايتالى ف ، ب خبير الغوص فى الأعماق والذين سبق أن عمل فى البحرية المصرية خلال سنة ١٩٤٨ لتدريب بعض أفرادها .

ثانياً :

أنه يوجد على رأس هذه الشبكات فى روما « بار يهوذا ميخائيل » الذى يشغل منصبا دبلوماسيا فى سفارة إسرائيل بروما والذى يرجع إليه فى الكثير

من المسائل وهو الذى يدير حركة التجسس ويجمع المعلومات ويرسلها إلى مخابرات إسرائيل. ولذا وجدنا أن الكثيرين من الجواسيس قد ذهبوا إلى إلى روما للتدريب فذهب منهم ر.ز وقبلهم م.س. ذلك الذى أوقع فى حبائله بعض رجال القوات الجوية من الميكانيكيين والكهربائيين بسوريا. والذى ذهب أربع مرات إلى روما حيث درب فى المرة الأخيرة على آخر مراحل التجسس وهى مرحلة الإستقبال والإرسال اللاسلكى والشفرة بعد أن أثبت لهم خدماته وخيانته لوطنه من إفشائه لادق أسرار المطارات وغيرها .

ثالثاً :

إن الذى ظهر والذى يتبع أن « بار يهوذا » وأمثاله لا يتم تجنيد أعوانهم إلا بعد مرورهم على مراحل مختلفة طويلة ومضنيه وبعد أن يتأكدوا من إخلاص العملاء وولائهم وسلامة موقفهم . بل كان بار يهوذا لا يقابل العميل الجديد إلا بعد أن يمر على أربعة من عملائه الآخرين وكان ينتحل شخصيات مختلفة وكانت مخابرات إسرائيل تعتمد على نقط الضعف فى كل إنسان تلك التى أوجدها الحقد أو الطموح أو الفقر أو المرأة أو الحاجة للمال. كما أن لكل إنسان نقطة ضعف ومن الناس من ينحنى ويلين ومنهم من يصمد ويقف ولا يتخاذل وحصل فى كل الأحداث بعد الترشيح للعميل أما أن يلقاك شخص مصادفة فى بار أو مقهى أو فى الجهات التى يتواجد فيها المصريون . فيحاول هذا العميل أن يكتشف نقطة الضعف أو أن يثير طموح المرشح أو يثير حقده وإن كان محبا للمرأة أتى له بها ومنهم من لا يستكين ويبلغ وهو كالطالب س والمهندس ن . وغيرهم ومنهم من يلين ويسير فى ركب الجاسوسية ممن لوثتهم أموال إسرائيل وعرضوا ضمائرهم فى سوق الضمائر .

وقد تبين أن عملاء إسرائيل يكونون شبكة عالية ويوجدون فى إيتاليا وفى الغالب فى جنوا وميلانو وروما أو فى سويسرا كزيورخ أو فى بلجيكا أو أمستر دام أو باريس وبعضهم فى الحبشه ـ والعراق والكويت ومنهم من هو عربى ومنهم من هو يهودى ممن نزحوا أو طردوا من البلاد وتنتشر شبكة الجاسوسية فى روما حيث بار يهوذا. وفى زيورخ حيث جلازر وفى امستردام حيث « دافيد كيمخ » .

رابعاً :

يعود كثره إصطياد الجواسيس فى بلادسويسرا وايتاليا إلى أن غالب اليهود الذين رحلوا من البلاد ذهبوا إبتداء إليها وبعضهم أقاموا بها. وإلى قرب إتصال إيتاليا بتل أبيب بوجه خاص وإلى ما تحاط به حسابات الأموال المودعة فى سويسرا على وجه خاص من سرية تامه وإلى أن العميل هناك يستطيع أن يضع أمواله فى أى بنك وبأى رقم ودون أسماء بل بأى اسم سرى وإلى أن الإطلاع على حسابات الأفراد فى سويسرا أمر صعب لا تستطيع الدولة أن تصل إليه . والمال هو عصب الجاسوسية الهام سيما عندما ينعدم الضمير وتضعف النفس .

خامساً :

إن الظاهرة الجديرة بالتسجيل أن وسائل تصيد العملاء تبدأ بالإختبار الشخصى الطويل وهم يعتمدون أصلا على المعلومات التى يجمعونها عن الشخص الذى يراد تشغيله كجاسوس أى على مرحلة التحرى . وبعد جمع المعلومات اللقاء المصطنع بين عميل مخابرات إسرائيل وبين الشخص الجديد ويأخذ دائماً

طابع المصادقة ثم يتدرج فى الحديث عن السياسة على أنه رجل صاحب مبدأ فترة أنه ضد الشيوعية وأخرى أنه يؤمن بالتعاون مع الغرب . وفى وسط هذه الأحاديث يستطيع أن يكشف الشخص ميول محدثه ويقرر ما إذا كان يستطيع الإطمئنان إليه أو أنه مثير للشبهات فإذا ما اطمأن إلى العميل الجديد تركه واختفى فجأة . وهذه تسمى فترة الاختبار وهى تجربة نفسية ليمكن بها جس نبض العميل ومعرفة هل هو متلهف إلى لقاء آخر أو أنه اتصل بآخرين أو فعل شيئا مما يريب إذ أنه يكون موضوعا تحت المراقبة دون أن يشعر فى فترة التدريب وإذا وجد أنه صالح ولا يريب أمره وأنه ما زال بالإنتظار بدأ اللقاء الثانى ثم الحديث الذى يثمر التعاون بينهما فإذا بدأ أنه فى حاجة للمال زودوه به وإذا بدا أنه جشع إليه - أعطوه قليلا - وعند إطمئنانهم التام له زادوا له المال ثم يدبرون أمر لقائه برجل آخر له منصب رئيسى آخر ويكون لدى هذا الأخير كل المعلومات . فإذا نجح أمام الوسيط الثانى تقرر ضمه إلى شبكة الجاسوسية وتحدثوا إليه حديثا أكثر صراحة ثم تبدأ دروس تعليمه على الحبر السرى وعلى التصوير وعلى نقل المستندات ثم على الإرسال والإستقبال، واستعمال الشفرة كل ذلك حسب الأحوال التى تتطلبها الأمور التى يحسن هو القيام بها وكذلك دربوه على الرسم وكيفية الأخبار وإرسال الأخبار وتعرف المهم منها - وكل هذه الإجتماعات تكون فى بلاد مختلفة ومع أشخاص مختلفين لا يلتقون بالمرشح مع بعض وذلك زيادة فى الحيطه وفى التخفى ، حتى إذا ما رغب المرشح مثلا الذى يكون مسايرا لهم فى كشف أمرهم لم يكشف إلا ناحية واحدة أو مرحلة واحده ولم يعرف إلا شخصا واحداً . وكذلك أستطاعت مخابرات إسرائيل أن توقع ببعض المصريين وغيرهم من الأجانب والمتمصرين إلا أنها لم تفلح فى الوقت عينه مع بعضهم أو مع غيرهم ممن لم يصل أمرهم إلى المخابرات.

لأن المفروض أن العملاء لا يعرفون بعضهم البعض ولا يلتقون ببعض زيادة في التكتم والحذر .

سادساً :

أن الأساليب التي كشفت عنها شبكة الجاسوسية الإسرائيلية هي تشابه الطرق التي استعملها بعض الجواسيس في التراسل كالأحبار السرية وزجاجات الظهر وطريقة كشف الأحبار وطريقة كتابة الخطابات وأنواع الورق المستعمل وطريقة التخفي في الامضاءات وفي الكتابة العلنية والتعليمات الواحدة الموجهة للجواسيس العملاء وكيفية إخفاء الأحبار السرية في زجاجات نقط الأنف والأذن والظهر في زجاجات زيت الشعر وبعض أدوات الزينة والحلاقة ووسائل النشاط غير المنظور في تهريب النقد وإصدار التعليمات عن كيفية استعمال الشفرة وطرقها ووسائلها وفكها والكتابة بها وحلها وساعات الارسال والاستقبال وكيفيته رالذبذبات والموجات وتهريب النقد أيضا داخل نشرات الدعاية والسياحة وفي الكتب والألبومات وداخل اللعب وغيرها وكعوب الأحذية مما لا يدعو للريبة أصلا .

سابعا :

إن الظاهرة الهامة التي عليها الواقع هي أن العدو الأول الذي كان يهتم بمصر ومنشئات مصر الحربية والعسكرية والبحرية والجوية هو إسرائيل صاحبة المصلحة . ولذا كان التركيز والاهتمام من مخابرات اسرائيل منصبا على معرفة عدد القطع البحرية وأنواع الغواصات ومستوى تدريب رجال البحرية

وبصفة خاصة فرق الضفادع البشرية وعددهم وتدريبهم وصورهم وأماكن المطارات وإنتاج المصانع الحربية وأنواع الطائرات التى تستخدمها الجمهورية العربية وعددها فى كل مطار والرسوم التخطيطية الكاملة لمطاراتنا وعدد ضباط الطيران وأسمائهم وصفاتهم وعلاقتهم بزملائهم وبالفنيين الذين يعملون معهم وكشوف صلاحية الطائرات والأجهزة الفنية وكيفية استخدامها وعدد الخبراء الأجانب سيما الروس والمطارات السرية والحظائر — ومطارات دمشق ما كان قديما وما أنشىء حديثا والقوات الجوية فى الإقليم الشمالى — والطائرات الميج وأنواعها وكيفية تشغيلها وما إليها . وهذه المعلومات المطلوبة لن يتيسر الحصول عليها لكل إنسان لأن الذين يعرفونها هم المتصلون بها من رجال القوات المسلحة الجوية ومن يسمح لهم بدخول المطارات والمناطق المحرمة وما كان يمكن لإسرائيل أن تلجأ مباشرة إلى هؤلاء العسكريين بل لا بد لها من وسيط ولا بد من توافر الثقة أصلا فى هذا الوسيط بمختلف الطرق حتى يلعب دوره ولذا رحبت اسرائيل بالطيار ف . م ثم رحبت بالبحرى س . ن الذى لجأ بدوره طبقا لتعليماتهم إلى مصادقة الفنيين الذين أتاحت لهم ظروف عملهم فى المطارات الحربية التنقل بين الشمال والجنوب وفى قلب المعسكرات والمطارات وكان لا بد لهذا الوسيط عند إغراء هؤلاء أن لا يثير الشكوك والشبهات حوله ولن يتيسر له ذلك إلا إذا كان مصريا أو عربيا .

ولقد كان ما طلبته إسرائيل من عملائها كثيرا فكانت تهتم بكل الأخبار صغيرها وكبيرها عن بلادنا وبجمع المعلومات التى لها صبغة سياسية أو اقتصادية فضلا عن المعلومات العسكرية الخاصة بالطيران والبحرية والغواصات وحالة البلاد الاقتصادية كما حدث مع ا . ر ، ر . ز من الوصول إلى معلومات عن تصريف القطن

المصرى والمنسوجات وماهو فائض لدينا وعن سياسة الحكومة فى هـــذا الشأن حتى يتبينوا أى الحكومات ستشترى قطنا أو مساعدتنا فيحاولون عرقلة ذلك .

الأحوال الاقتصادية :

كما أن الحرب التى تتعرض لها الجمهورية العربية لايقتصر مجالها على الجانب السياسى وإنما تجرى بصورة وربما أعنف فى المجال الاقتصادى إذ أصبحت الدول المعادية لمصر تشعر بأن الأمر قد تطور وإنه لم يصبح فى إمكانها تنفيذ السياسة الاستعمارية على الصورة التى كانت تنفذ فيما مضى بل لابد لها أن تستعين بمثل اسرائيل فى الميدان الاقتصادى رجاء أن تبلغ فيه ما تريد من استمرار نفوذها فى الدول الصغيرة وضغطها عليها ولذا بدأت اسرائيل تحاول هى وغيرها ممن يقفون وراءها أو من وقفوا إلى جانبها فى الاعتداء الثلاثى الغاشم على العمل ضد الجمهورية العربية وانتهاز فرصة الأخبار العامة التى علمت للكافة من وجود (منطقة التجارة الحرة) والتى قصد بها فى أوربا وجود تكتلات اقتصادية بين دول معينة تتشابه مصالحها وتتشابك وتكفل لبعضها فتح امتيازات اقتصادية لاتمنحها لغيرها ولتسمح مثلا بتسويق حاصلاتها بأسعار مناسبة بالنسبة لغيرها من الدول التى لم تدخل فى هذه التكتلات ولذا اهتمت اسرائيل بالنواحى الاقتصادية فى الجمهورية العربية إذ لها من رؤوس الأموال فى كل دولة مايسمح بالاستفادة بكل المعلومات التى تصل إليها وهذه الأعمال التى تجرى فى الميادين الاقتصادية لم يقصد بها إلا خدمة السياسة أولا وأن اختارت الشكل الاقتصادى ولذا تعمل سريعا الجمهورية العربية الآن على

مواجهة مثل هذه التكتلات بتوسيع نطاق التبادل التجارى الاقتصادى والحصول على التسهيلات اللازمة للصناعة والحصول على تحديد قيمتها وشروطها .

فإذا ما عرفت إسرائيل أو أى دولة معادية أخرى مثل هذه المعلومات التى تطلبها والتى تتحراها من عملائها أمكنها أن تقف فى سبيلها بما لها من من إمكانيات مالية فى الدول المختلفة وأن تقف فعلا دون تبادل المنسوجات القطنية أو الغزل أو المنتجات الزراعية أو غيرها بما تعقده من اتفاقات مماثلة فى البلاد التى تسهل لنا التعامل لتكون عثرة فى سبيل تبادلنا وبالتالى مما يؤثر على اقتصادنا — ولذا كانت أهم ظاهره فى إحدى هذه القضايا أنها خرجت عن الأسرار العسكرية ومثلها أوالموانى والطيران إلى ناحية أخرى من النواحى الهامة وهى الناحية السياسية لمعرفة الجهد المنظم الذى يبذل للتأثير فى اتجاهات الناس أو لمعرفة هذه الاتجاهات. وهذه الناحية السياسية أو الحرب السياسية هى أبعد مدى لأنها تشتمل على الدعاية للعمل السياسى وعلى التحركات الاقتصادية وعلى استخدام المسائل السياسية إذ أن العدو يريد أن يعرف مدى الاستقرار من حيث الوحدة مع سوريا أو اتجاهاتها ومن حيث الحلف مع اليمن أو تفكك هذه الأحلاف القائمة للعمل على تمزيقها أو الوقوف ضدها . كما تستعمل معلوماتها فى الدعاية السوداء أو فى محطاتها السرية أو العلنية . ومن هدف هذه الدعاية الأشخاص وحشد كل الجهد ضدهم ولذا اهتموا بمعرفة تحركات القائد العام فى سوريا ومعرفة غيره من الضباط أو رجال المخابرات أو الحرس الوطنى وأسمائهم لبث العيون حولهم وذلك للعمل على إيجاد نوع من القطيعه بين الناس وحكوماتهم إذ تجعلهم يشكون فى حقيقة عدالتهم .

كما أنه فى الوقت نفسه لا يمكن أن يُنْكَر أن أمر العلاقة بين الحكومة والهيئات الصناعية كالمؤسسة الاقتصادية مثلا تتأثر بالأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة فى الإقليم بوجه عام لأنه فى ظل هذه الأوضاع يتحدد مدى ما تتمتع به الهيئات من سلطات تنظيمية على أعضائها ويتحدد ما يمكن أن تساهم به هذه المؤسسات فى رسم هذه السياسة وتنظيمها وتحقيق أهدافها فضلا عما حدث أخيراً من تنظيمها وتتبعها لادارة واحدة .

كما أنه لايخفى ماخلفته الأزمة الدولية إثر تأميم شركة قناة السويس بعد العدوان الثلاثى وتوقيع الاتفاقية المالية مع المملكة المتحدة ثم الإفراج عن أموال الإقليم المصرى فى أمريكا وفرنسا وإنجلترا مما يزيد فى إمكانيات البلاد من وسائل الدفع للحصول على مقومات التنمية الاقتصادية والتصنيع بوجه خاص ومن الإجراءات التى تتخذها الحكومة فى عمليات التصدير وإشرافها على ذلك سيما تصدير السلع الرئيسية كالقطن والغزل وغيرها ولذا اهتمت منظمات الجاسوسية بالبحث عن بور سعيد وما فيها وعن القطن والغزل وغيره والقروض من الدول الشيوعية لأن مفاد القول بوجود تسرب شيوعى أو انغماس مصر فى عمليات المقايضة مع البلاد الشيوعية يفيد عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى كما هو مفهوم من تأثر ذلك بالعوامل الخارجية وهو أمر غير منفصل عن الحياة العامة .

القصد الجنائى العام والمسائل الاقتصادية :

ولما كان لكل دولة نظامها الاقتصادى الخاص الذى ترسى هى قواعده ويدخل فيه نظام نقدها وأرصدتها وما يتصل بإنتاجها الزراعى والصناعى

والتجارى وتصريف محصولاتها ومنسوجاتها فكل سعى أو تخابر يمكن أن يضر بذلك يدخل فى عموم النص للمادة ٧٧ د عقوبات كما قدمنا والتى أضافها المشرع فى القانون الأخير لما رآه من أنه يجب على الدولة أن تتقى هذه الأفعال كلها التى لم تكن معروفة من قبل فى الماضى وأن تدفع عن نفسها غوائلها وذلك على غرار ما يتناوله النص من الإضرار بالمركز الحربى أو السياسى أو الدبلوماسى لأنه غير خاف أثر الأحوال الاقتصادية على كيان الدولة فى حالتى السلم والحرب على السواء .

والقصد الجنائى العام الذى يستفاد من اتيان المتهم للفعل المكون للجريمة هو علمه واختياره ولا يشترط أن يكون القصد هو الاضرار بالذات أما إذا تبين من قرائن الأحوال أن القصد هو الاضرار فتطبق الفقرة الأخيرة للمادة التى اعتبرت ظرفا مشدداً للجريمة ويغلظ العقاب بناء عليها .

أما فيما يختص بالأعمال الاقتصادية والتخابر الاقتصادى الذى تم فى إحدى القضايا سواء أكان عن وصول رجال الأعمال الأمريكيين للجمهورية العربية ونجاحهم فى عقد الاتفاقات والأخبار عن ذلك والأمر لا يزال فى دور التحضير . والأخبار عن العلاقات الاقتصادية بين إقليمى الجمهورية ووصول عدد كبير من التجار السوريين وإزدياد الروابط التجارية والأخبار عن المخزون من القطن والغزل بأنه تم تصريفه أو لا يزال بعض الفائض منه ووجود الطلبات الكثيرة على أنواع القطن الأشمونى. والأخبار بأن روسيا وبلاد الكتلة الشرقية قد سدت معظم الثغرات التى أوجدها حصار الدول الغربية وأن هناك عدداً كبيراً من الخبراء الروس وصلوا لتنفيذ المشروعات .

وأن الكتب التى تصل فيها الدعاية لروسيا وأنها ضد أمريكا أو أن عدد الخبراء الروس حوالى ثلاثة آلاف والبعثات المصرية لروسيا خمسمائة كل هذا كما هو واضح من تبليغها إلى دولة أجنبية معادية كاسرائيل من شأنه الاضرار بمركز البلاد الاقتصادى ومصالحها القومية .

ذلك لأن المعلومات الاقتصادية عن الدولة تماثل تماما المعلومات السياسية أو الحربية من حيث أهميتها وسريتها كما أن الدولة قد ترى تأجيل أو منع نشر بعض البيانات والمعلومات الاقتصادية لمصلحة عليا خصوصا ما كان منها خاصا بالتجارة الخارجية وعلاقتها الاقتصادية بالدول الأخرى .

فهذه كلها معلومات فى إذاعتها اضرار بالاقتصاد القومى ولا يجوز نقلها لدولة أخرى إلا بعد نشرها بواسطة الجهات الرسمية المختصة .

* * *

والآن ننتقل إلى ذكر مجمل القضايا الجاسوسية الأخيرة التى عاصرها الرأى العام ونعقب عليها ببعض قضايا الجاسوسية الهامة التى وقعت فى العالم فى الحربين العالميتين سنة ١٩١٤ — ١٩١٧ وسنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ ولكن قبل أن نلخص ذلك نرى إن نثبت حكم الشريعة الاسلامية بالنسبة لجريمة التجسس .

* * *

رأى مفتى الاقليم المصرى

فى قضايا الجاسوسيه

المتهم فيها (١) م . س (٢) ر . ر (٣) ف . م .

جريمة التجسس وعقوبتها فى الشريعة الاسلامية

وقعت جريمة التجسس فى عهد الرسول ﷺ . ففى الحديث الشريف عن على رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ابن الأسود قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بهـا ظعينة (أى مسافرة) ومعها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تُعَـادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنـا اخرجى الـكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجن الـكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها (شعرها) فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من خاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ . ما هــذا ؟ قال يا رسول الله . لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا (تبعا) فى قريش ولم أكن من أنفسها . وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمـكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بهـا قرابتى وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالـكفر بعد

الإسلام . وقال الرسول ﷺ لقد صدقكم . وقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم : رواه البخاري ومسلم وأحمد .

وقد نقل الشوكاني في كتابه نيل الأوطار هذا الحديث وقال . ظاهر هذا أن العلة في ترك قتله كونه ممن شهد بدراً ولولا ذلك لكان مستحقاً للقتل ففيه متمسك لمن قال أنه يقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين .

وأشار ابن القيم في كتابه زاد المعاد (جزء ٢ ص ١٧٧) إلى هذا الحديث وقال : واستدل بالحديث من لا يرى قتل الجاسوس المسلم كالشافعي وأحمد وأبي حنيفة . واستدل به مَن يرى قتله كمالك وابن عقيل من أصحاب أحمد وغيرهما . قالوا لأنه عُلّل بعلة مانعة من القتل وهي منتفية في غيره ولو كان الاسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير . وهذا أقوى .

وقد اتفق المفسرون على أن هذه الحادثة كانت سببا في نزول قوله تعالى في أول سورة الممتحنة « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » .

وقد ذكر الفقيه الكبير أبو بكر بن العربى فى تفسيره أحكام القرآن هذه الحادثة سببا لنزول هذه الآية الكريمة .

ثم قال ـ المسألة الرابعة : من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافراً إذا كان فعله لغرض دنيوى واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب بن أبى بلتعه حين قصد بذلك إتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين .

المسألة الخامسة : إذا قلنا لا يكون به كافراً فاختلف الناس فهل يقتل به حداً أم لا ؟ فقال « مالك » « وابن القاسم » « وأشهب » يجتهد فيه الإمام . وقال عبد الملك إذا كانت تلك عادته قتل لأنه جاسوس . وقدقاله مالك يقتل الجاسوس وهو صحيح لأضراره بالمسلمين وسعيه بالفسادفى الأرض .

وجاء فى تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن مثل ذلك تماما وفى الجزء الثانى من كتاب « تبصرة الحكام لابن فرحون ، المالكى » ص ١٤٣ « قال المسلم الذى يكتب لأهل الحرب بأخبارنا يقتل ولا يستتاب ولا دية لورثته كالمحارب »

وفى الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن القيم فى الكلام على مقدار التعزير (ص ١٠٦) « هل يجوز أن تبلغ بالتعزير القتل . قال فيه قولان . أحدهما : يجوز قتل الجاسوس المسلم إذا اقتضت المصلحة قتله . وهذا قول مالك وبعض أصحاب أحمد واختاره ابن عقيل . وقد ذكر بعض أصحاب الشافعى وأحمد نحو ذلك فى قتل الداعية إلى البدعة والتجهم والرفض وإنكار القدر . وفى ص ٢٤٥ منه « وأبعد الأئمة عن التعزير بالقتل أبى حنيفة ومع ذلك فيجوز

التعزير به للمصلحة كقتل المكثر من اللواط وقتل القاتل بالمثقل . ومالك يرى تعزير الجاسوس المسلم بالقتل . ووافقه بعض أصحاب أحمد . ويرى هو وجماعة من أصحاب أحمد والشافعى قتل الداعية إلى البدعة أيضاً .

وفى كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة(ص٢٦٦)قال: وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة أو من أهل الحرب أو من المسلمين إن كانوا من أهل الحرب أو أهل الذمة ممن يؤدى الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم . وإن كانوا من أهل الإسلام معروفين فأوجعهم عقوبة وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة » .

وظاهر من هذه النصوص أن الفقهاء قد اختلفوا فى قتل الجاسوس المسلم فذهب الإمام مالك وابن القاسم وأشهب وبعض أصحاب الإمام أحمد . إلى أنه يقتل لإضراره بالمسلمين وسعيه فى الأرض بالفساد وخالف الشافعى وأحمد .
واستدل الأولون بحديث حاطب السابق لأن عمر قال للنبى.دعنى أضرب عنقه ورد عليه النبى بأن حاطبا قد شهد بدرا . وأن الله تعالى قد غفر لأهل بدر ما يرتكبون من ذنوب . وهذه العلة أن تحققت فى حاطب واقتضت درء القتل عنه كعقوبة على جريمة التجسس فانها لا تتحقق فيمن عداه ممن يرتكب هذه الجريمة فيجب قتل غيره من الجواسيس لأن من القواعد المقررة فى الأصول أن الحكم إذا عُلِّلَ بالأعم كان الأخص عديم التأثير . وقد بسط ابن القيم هذه الوجهة واختار هذا الرأى وقال أنه أقوى . وعلل فى بعض ما كتب بقوله . « لأن المصلحة تقتضى ذلك » .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن العربى والقرطبى قد عبرا فى صدد بيان

الخلاف فى عقوبة التجسس بقولها « فاختلف الناس هل يقتل به حداً أولا؟ وأن ابن العربى أشار إلى وجهة القائلين بالقتل بقوله « هل يقتل كما قال عمر من غير تفصيل . ولم يرد عليه النبى إلا بأنه من أهل بدر . وهذا يقتضى أن يمنع منه وحده ويبقى قتل غيره حكما شرعيا . الخ . . » .

فإنه يفهم من قوله هل يقتل حدا أو لا . وقوله ويبقى قتل غيره حكما شرعيا . أن الخلاف بين الفقهاء هو فى اعتبار القتل العقوبة المقررة من قبل الشارع لجريمة التجسس . أما جواز أن يقتل الجاسوس المسلم منعا لشره وكفاً لأذاه عن المسلمين وتطهيرا للمجتمع منه فلا يجوز أن يكون محل خلاف من أحد . فقد أجاز الحنفية قتل المبتدع الذى يتوهم انتشار بدعته وإن لم يحكم بكفره وقتل اللوطى والسارق إذا تكرر منهما ذلك بناء على أن المصلحة تقتضى هذا القتل . وأجاز بعض أصحاب الشافعى وأحمد قتل الداعية إلى البدعة والتجهم . والحجة فى ذلك كله منع الشر والفساد وتطهير المجتمع من عناصر الهدم والتخريب .

فان جرينا على أن الخلاف بين الفقهاء هو فى اعتبار قتل الجاسوس حداً وعقوبة مقررة شرعا فى هذه الجريمة كما يفهم من عبارات ابن العربى والقرطبى المشار إليها . فإن قتل هذا الجاسوس تعزيرا لا يمكن أن يكون محل خلاف . وإذا تجاوزنا هذا النطاق إلى باب السياسة الشرعية وهو باب واسع فى الشريعة نجد أن الفقهاء جميعا قد حكموا بوجوب قتل أشخاص ارتكبوا بعض الجرائم التى لها مساس بالمجتمع أو آثار سيئة فى محيطه كقتل المبتدع الذى يتوهم انتشار بدعته وقتل اللوطى والسارق اللذين يتكرر منهما هذا الجرم عند الحنفية . وقتل الداعية إلى البدعة والتجهم فى رأى أصحاب

أحمد والشافعى فقد جاء فى الجزء الثالث من ابن عابدين ص ٢٠٣ « وفى القهستانى » أن السياسة لا تختص بالزنا بل تجوز فى كل جناية والرأى فيها للامام على مافى الكافى كقتل مبتدع يتوهم منه انتشار بدعته » .

إذ أنه بعد أن عرف السياسة الشرعية قال . « وهذا تعريف للسياسة الصادقة على جميع ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام الشرعية وتستعمل أخص من ذلك فيما فيه زجر وتأديب ولو بالقتل كما قالوا ذلك فى اللوطى والسارق والخنَّاق إذا تكرر منهم . حل قتلهم سياسة . وكما مر فى المبتدع » .

ولذا عرفها بعضهم بأنها تغليظ جناية لها حكم شرعى حسما لمادة الفساد .

وبالتتبع لما عللوا به وجوب اجتثاث هذه العناصر وتطهير المجتمع منها يتضح أن العلة فى ذلك هى الأضرار بالمسلمين وإشاعة الفساد والشر فى البلاد .

ولا شك أن مثل هذه الجرائم مهما قيل فى شأن إضرارها بالمجتمع فإن هذا الاضرار يبقى دائما فى نطاق محصور مهما اتسع مداه .

أما جريمة التجسس فإن آثارها لا تقتصر على جانب واحد أو جماعة . بل أنها تعرض البلاد جميعها لافدح الأخطار بل للدمار والضياع لا قدر الله . فوجوب قتل الجاسوس سياسة شرعية أخذا مما قرره الفقهاء جميعا فى جرائم عناصر الشر المشار إليها وهو أمر لا يمكن أن يكون محل تردد .

واتباعا لقول الله تعالى . « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

وقد اختلف الفقهاء والمفسرون فى هذه الآية فى موضعين .

الأول . فى معنى المحاربة لله ورسوله . هل هى المجاهرة بقطع الطريق والمكابرة باللصوصية فى المصر وغيره . أو هى المجاهرة بما ذكره غير المصر . أو هى قطع الطرق واخافة الناس وإظهار الفساد فى الأرض وإن لم يحدث قتل ولا سلب .

الثانى . فى العقوبات الواردة فى هذه الآية وهى القتل والصلب والقطع والنفى هل هى على سبيل التخيير يفوض الأمر فى إيقاعها إلى رأى الامام واجتهاده يوقع فى كل حالة ما يناسبها أو هى على سبيل الترتيب والتوزيع . القتل جزاء القتل . والقطع جزاء أخذ المال . والقتل والصلب جزاء الجريمتين معا . وهكذا ! !

وقد اختار كثير من العلماء فى الموضوع الأول أن المحارب هو الذى يقطع السبيل ويخيف الناس ويظهر فى الأرض الفساد وإن لم يقتل أحدا ولم يأخذ مالا . واختاروا فى الثانى أن الآية نصت على التخيير وأن الله تعالى رتب التخيير على المحاربة أشد . وقالوا إذا قبض على هذا المحارب فللامام أن يرى فيه رأيه ويستشير فيه ويوقع عليه عقوبة القتل وإن لم يرتكب جريمة القتل أو أخذ المال .

وإذا كان العلماء قد اعتبروا الفساد فى الأرض وإشاعة الفتنة والشر صورة من صور المحاربة لله وللرسول ولجماعة المسلمين وإن لم يصاحب ذلك

قتل ولا سلب . وقرروا أن للامام فى هذه الحالة أن يجتهد ويستثير ويوقع عقوبة القتل على مرتكب هذه الجريمة . فإن جريمة التجسس تكون أولى بايجاب عقوبة القتل على مرتكبيها نظرا لبعد أثرها فى المجتمع وعدم وقوف نتائجها الخطيرة عند حد .

ولذا رأى المفتى أن الجاسوس الذى تثبت ضـــده تهمة التجسس والتخابر يستحق القتل شرعا .

* * *

مجمل القضايا الأخيرة

اكتشفت المخابرات العربية فى أواخر سنة ١٩٥٩ أكبر شبكة تجسس لحساب إسرائيل فى الجمهورية العربية المتحدة واستطاعت أن تتدخل فى الجهاز السرى لها وبرؤوس هذا الجهاز فى روما وجنيف وزيوريخ وامستردام وأن تتبادل الرسائل اللاسلكية . واتضح من ذلك أن ظهر لإسرائيل ست خلايا تكون فى مجموعها شبكة التجسس موزعة بين القاهرة والإسكندرية ودمشق .

وكانت هذه الخلايا موضوع المحاكمات الأخيرة التى شغلت الرأى العام طويلا فى عام سنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ والتى شكلت لها محكمة أمن دولة عليا خاصة. بالأمر الجمهورى رقم ٧١ لسنة ١٩٦٠ طبقا لقانون الطوارىء يشمل اختصاصها كل ما حدث من وقائع التجسس فى الخارج بفرنسا أو هولندا أو ايتاليا أو سويسرا وما حدث بالإقليمين المصرى والسورى وما اتصل أمره ببغداد والبصرة وليبيا وسلخت المحكمة حوالى الخمسة الشهور لبيان وجه

الحقيقة وكشفها . وصدرت الأحكام فيها فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٦٠ . وعقدت المحكمة ٨٣ جلسة وبلغ صحف الدعاوى ومرفقاتها حوالى الستة آلاف صفحة واستمعت المحكمة فيها إلى ٩٥ شاهدا منهم الخبراء وكان عدد الجناة سبعة عشر منهم ستة من الأجانب والباقى من المصريين وكان عدد المحامين ٣٣ محاميا وندب فيها أربع خبراء خلاف خبراء مصلحة التزييف والتحليل بالطب الشرعى وخبراء اللاسلكى وخلاف العديد من المترجمين لكل لغة يتكلمها الجناه .

وانتهت المحكمة فيها إلى معاقبة ثلاثة من الوطنيين بالإعدام وواحد بالأشغال الشاقة المؤبدة وستة بالأشغال الشاقة المؤقتة وخمسة بالسجن واثنين بالحبس واستعملت المحكمة الرأفة مع الأجانب لأنهم لا يحملون بين جنوبهم أى إحساس بالدفاع عن البلاد فهى ليست بلادهم ولأنهم لا يشعرون بحق هذا الوطن عليهم ! وقد صدق السيد رئيس الجمهورية عليها جميعا بغير تعديل .

والحقيقة أن النفس إذا كانت تفرق من الخيانة فإنها تكون أكثر حزنا عندما تكون الخيانة سعيا لنفع العدو . ولأن الذين يتعاونون مع العدو ولحسابه نظير أمر مادى أو منفعة أو متعة فهم الخونة فى كل زمن ولدى كل شعب ولأن الذين يخونون بلادهم لا يتنكرون لوطنهم وإنما لآدميتهم أيضا .

« وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » .

[صدق الله العظيم]

الخلية الأولى :

قضية الهولندى والايتاليين

بدأت الواقعات التى اظهرت هذه الخلية التى كان على رأسها الهولندى «م ج» فى أن شابا اسمه س . ف . كان طالبا بكلية الفنون الجميلة بقسم الرسم وهو مصرى مسلم يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما وكان قد التحق خلال دراسته بمدرسة ليلية إيطالية بالقاهرة وكان ترتيبه الأول فسافر فى بعثة دراسية إلى إيطاليا صيف ٥٦ — ٥٧ ثم فى بعثة أخرى فى ١٥ يوليو سنة ١٩٥٨ للالتحاق بجامعة بيروجيا وخلال إحدى السهرات ببار الجامعة تقدم منه شخص أجنبى لم يتحقق من شخصيته الحقيقية وقدم إليه نفسه باسم « سليم » وكان هذا يتردد أيضا على نادى الجامعة ثم تظاهر بصداقته وأفهمه بعد حديث أنه كان يقيم فى مصر وأنه من أصل يونانى وأنه غادر مصر بعد الثورة وفهم الطالب من حديث هذا الشخص أنه غير راض عن نظام الحكم القائم فى مصر وأراد هو أن يعرف حقيقة المذكور فأفهمه أنه يرغب بدوره فى الإقامة فى إيتاليا لفترة طويلة للالتحاق بمعهد السينما بروما فأبدى له استعداده لمساعدته فى ذلك وإلحاقه بعمل يتعيش منه ثم أخبره أنه يدعوه للسفر إلى مدينة روما لكى يقدمه إلى شخص آخر هو الذى سيقوم بمساعدته وفى إلحاقه بالعمل الذى وعده به فسافر معه إلى روما حيث نزل فى فندق اختاره له الشخص المذكور

وكان يتردد عليه فيه ويدفع له أجر إقامته بالفندق وينفق عليه بسخاء كما عرض عليه أيضا بعد فترة إسناد بعض أعمال الترجمة إليه نظير مبلغ ثمانين ألف ليرة إيتالية شهريا وقد وافق س . على ذلك وبعد حوالى أسبوع طلب منه أن يتوجه إلى « كافيه جريكو » بميدان أسبانيا بروما وأفهمه أنه عند دخوله لهذا المقهى سيتقدم إليه شخص يعرفه سيكون هـو الشخص المقصود . وذهب فعلا إلى هذا المقهى حيث تقـــدم إليه شخص لم يسبق له رؤيته من قبل وحياه باسمه وجلس معه ثم سأله عن رغبته فى العمل بايتاليا وذكر له أنه يستطيع إلحاقه فى عمل معه ولما استفسر منه عن نوع هذا العمل أخبره أن هناك منظمة فى منطقة البحر الأبيض المتوسط تعمل على مقاومة انتشار الشيوعية واسترداد الأموال التى أخذتها حكومة الجمهورية العربية من اليهود الذين كانوا يقيمون فى مصر وعندئذ أدرك س . أن الشخص المذكور يعمل فى التجسس ضد مصالح البلاد فقر رأيه على مسايرته فيما طلب منه وأخبره بأنه يوافق على الالتحاق بهذا العمل حتى يتمكن من اكتساب ثقة هذا الشخص الذى عرفه بأنه يدعى « هانز سميث » والذى يظهر أنه ألمانى وبعد عدة مقابلات صحبه المذكور إلى منزله بأحد أحياء مدينة روما حيث أخبره أنه سيدرس له طريقة سرية للتراسل بينه وبين المنظمة نظير مبلغ مائة دولار شهريا . وأن عمله سيكون بعد العودة إلى مصر مراسلة المنظمة . ووصله خطابان فى ١٨ ، ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٩ ، وكان ذلك نتيجة للاتصالات التى تمت بين س . وبين الجهة الأجنبية سنة ٥٨ ، ٥٩ محرران بالحبر السرى يتضمن أن مندوبا من طرفهم فى مصر سوف يرسل إليه نقودا على صندوق بريده مجموعها مائة جنيه وأنه سوف يتصل به تليفونياً للتأكد من وصول المبلغ . ووصـــله فى الوقت عينه التقرير رقم ١٥ فى

٢٦/١٠/١٩٥٩ بأن صديقهم أخبرهم أنه تسلم المبلغ مما يدل على اتصالات الهولاندى اللاسلكية والتى تمت قبل وصول الخطابات إليهم وإشعارهم بتسلمها .

وقد حدث أن أرسلت النقود إلى س. الطالب على صندوق البريد الخاص به والذى كان استأجره باسمه تحت رقم ١٢٢١ بناء على تعليمات مندوب المنظمة وقد وجد فعلا ثلاث خطابات فى صندوق البريد يحوى أولها مبلغ عشرين جنيها ويحوى كل من الثانى والثالث مبلغ أربعين جنيها .

كيف بدأ الشك فى الهولندى :

وقبل ذلك وضعت الحكومة الرقابة على الأجانب الذين يترددون على البلاد بغير موجب أو الذين يذهبون ويعودون دون عمل كما وضعت الرقابة اللازمة على بريدهم طبقا لحالة الطوارىء التى عليها البلاد وكان من بين هؤلاء الأجانب م . ج .

إذ لوحظ طبقا لتقرير إدارة المخابرات . أنه حضر إلى مصر ثلاث دفعات وأقام بها خلال فترات مختلفة وأنه كان يتحايل للحصول على تأشيرات لدخول البلاد ومد إقامته بها دائما دون مبرر قوى وأنه كان يقيم بالقاهرة وانتقل فيها إلى جهتين مختلفتين ثم ذهب وأقام بالإسكندرية وفى الوقت عينه اتضح من المصادر السرية ومن التحريات أن له نشاطا سريا مع إحدى الهيئات الأجنبية عن طريق التراسل السرى معها . فوضعت رقابة على بريده الوارد إليه من الخارج وأمكن لرقابة البريد ضبط أحد الخطابات المشتبه فيها

وأجريت محاولات مبدئية لإظهار الكتابة السرية التى به وظهر من بينها رقم صندوق البريد ورقم التليفون الخاص بالطالب س . وإذ ذاك بدأت تظهر بوضوح الرابطة بين المنظمة اليهودية فى الخارج التى يتخابر معها الطالب س. وبين الهولندى .

الصلة بين المتهم ومخابرات إسرائيل : —

وللتأكد من أنه نفس الشخص بطريق قاطع فأرسلت المظاريف الثلاثة التى كانت تحوى المبالغ المرسلة إلى س . لمقارنتها على استمارات طلب تجديد الإقامة المقدمة من الهولندى فى ملفات إدارة الجوازات — وتبين من مضاهات الخطوط المكتوبة بها وما قرره خبير الخطوط والتزييف بمصلحة الأبحاث أن الكاتب لعناوين المظاريف الثلاثة هو نفس الكاتب لاستمارات طلبات إمتداد الإقامة بما بان منه بيقين أن مرسل المبالغ للطالب هو الهولندى وتبين بجلاء أنه هو رأس الشبكة والعميل الرئيسى للمخابرات الإسرائيلية فى مصر والذى يتصل ويوزع النقود على غيره ووضع تحت رقابة أشد وتبين أنه يقيم فى شقة مفروشة بمفـــرده على ربوة عالية فى ٨ شارع الادوسى شقة رقم ٤ بجبهة « جيلمونوبولو » تكشف البحر بما يظهر منه أنه أحسن اختيار موقعها للرقابة . وهكذا بدىء فى ضبط وتفتيش منزله .

وحدث فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٩ أن انتقل المحقق إلى منزله ووجده به وتبين أنه يسكن بشقة من خمس حجرات وضبط بها كتبا كثيرة من بينها كتاب « البحر القاسى » أى The Cruel Sea وجهاز بيك أب وجهازاً للإرسال وآخر للاستقبال « ترنزستور » فى حقيبة جرامافون وحبرا سريا ومظهرا وبقية أدوات التراسل السرى من البلوكنوت وغيرها وبعض

المظاريف والجبس وكربونات الصودا والريش وأحواض البلاستيك والمساحيق وكان الحبر السرى موضوعا فى زجاجة عليها اسم « Rhinox » والمظهر فى زجاجة مكتوب عليها (listerine antisiptic) وقطعة قطن وآلة تصوير لايكا . وبعض فئات من طوابع البريد المختلفة وآلة ريمنجتون للكتابة حتى لا يكتب بخطه فى بعض الأمور . وجهاز استقبال صغير ماركة فيلبس وعدسة مكبرة ومفكرة لعام ١٩٥٩ محرر عليها عبارات رأسية وأسماء أشخاص من بينها اسم الطالب س . وجواز سفره ورصيد حسابه بالبنك البلجيكى بلغ الأربعمائة جنيه ووصل اشتراك الجريدة الاجيبشيان جازيت لتحرى صدق الأخبار ونقلها وليضمن وصول الجريدة إليه لمدة ستة شهور . كما ضبطت لديه بوصلة لمعرفة اتجاه جهاز الإرسال وضبطه وعدسة مكبرة . . وتبين وجود إريال طوله ٤ متر مثبتا على قائمين خشبيين ٣,٥ م ، ٤ متر فوق السطح متصل بالغرفة وبعض صور فوتوغرافية لبعض معالم القاهرة . كميدان الجمهورية وميدان باب الحديد وشركة القنال ثم بعدها ضبط وضبطت المضبوطات ورحل إلى القاهرة حيث أجرى التحقيق معه وكتب إقرارا بخطه عما يعرفه كله : —

إقراره

« أنه فى سنة ١٩٥٥ كان مرهقا ماليا وكان متخوفا من مواجهة المستقبل وكانت عليه التزامات يجب أن يفى بها لزوجته المطلقة ولما كان له أصدقاء من اليهود فى امستردام وقد عرفوا بحالته المالية والضائقة التى يعانيها انتهزوا هذه الفرصة وعرضوا عليه أن يعمل مع « دافيد كيخ » وقدموه له فعرض عليه أجراً طيبا واتفق معه على السفر إلى مصر ليجمع له بيانات

خاصة ، ويبلغها بعدها بالموجة القصيرة طبقا للتعليمات وظهر أن « دافيد كيخ » هذا الذى تبين بعدها أنه قتصل إسرائيل فى امستردام انتهز فرصة جنسيته الهولندية وأنه لن يشك فيه فاستخدمه — وقد تم الاتفاق بينهما على أن يتقاضى منه أجراً قدره ٢٠٠ دولاراً شهريا خلاف مصاريف السفر وغيرها . وذهب هو تنفيذاً لذلك إلى باريس ليقابل رجلا آخر بها لتلقينه دروسا فى كيفية الإرسال والاستقبال وآخر فى كيفية التصوير . وقد قضى أربعة أشهر فى هذا التدريب ثم عاد بعدها لهولندا وكان واجبا أن يتصل ببعض المصدرين الهولنديين — وذلك كما هو مفهوم لأخذ توكيلات لتكون تكأة وستاراً له عند الدخول لمصر لطلب تأشيرة الدخول أو الخروج ولا يجاد عمل ظاهرى يكون مبرراً له فى الحضور ولإخفاء غرضه الأصلى من التجسس .

إن المقصود من ذلك هو الحصول على تأشيرة لدخول مصر من أجل الأعمال التجارية — ومنح تأشيرة الدخول — إذ انه هولندى مسيحى لا عداء بين دولته وبين مصر — وأعطوه أجر ستة أشهر ومصروفات السفر وبعض المال لشراء راديو فى القاهرة للاستقبال وسلموه آلة تصوير وزجاجتين من الحبر السرى وجهاز إرسال صغير وضعه فى حقيبة الجراموفون الظاهرة وكان مخفى بها بطريقة لا تظهر — وأنه ولما وصل للقاهرة نزل بفندق الكونتنتال وسعى للحصول على شقة خاصه — حتى يكون عمله بها بعيداً عن أى رقابة — فاستأجر شقة وركب بها إريال بواسطة أحد محلات الكهرباء ولكن بالنظر إلى سوء موقعها إذ كانت داخل المدينة ولتدخل أصوات المرور لم ينجح — فى تلقى الاستقبال منهم تماما ولم يستطع — كما يدعى — أن يقدم لهم البيانات التى طلبوها » إلا أنه قد وصلته منهم برقية

يطلبون منه المودة وأنه حاول أن يشرح لهم فى خطاب بالحبر السرى مسألة الإرسال وعدم نجاحها كما يدعى .

وطلبوه بعدها وسلموه مرتباته وأصدروا إليه تعلياتهم ثم أعادوه مرة أخرى للقاهرة بتعليمات جديدة .

وفى هذه الفترة التى عاد فيها لقن دروساً أخرى فى الإرسال وغيره بأمستردام بواسطة نفس الشخص الذى علمه إياها فى باريس ثم بعدها عاد للقاهرة فى سنة ١٩٥٨ ومعه نفس المعدات وجهاز استقبال آخر وبحث عن شقه أخرى خارج الطرق المزدحمة فتوصل للبحث عن شقه بالزمالك رقم ٣ شارع الملك الأفضل . وبعد أن ركب بها الايريال أمكنه التواصل بالراديو بطريقة جيده أى أن الاستقبال كان حسنا وأبلغوه أنهم تمكنوا من استلام رسالاته وكانت التعليمات تقضى بأن يفضى إليهم بما يجرى فى طريق المعادى وغيره — حيث هناك بعض المواقع العسكرية للجيش والمصانع الحربيه وغيرها — وعلم أنهم يريدون بقاءه فى القاهره لإبلاغهم بتقارير فى حالة الطوارىء — وسافر مرة أخرى إلى أمستردام وفى هذه الفتره طلب إليه أن يتوجه إلى روما مركز الشبكه الرئيسية للجاسوسية والمخابرات الإسرائيلية . وأن يذهب إلى قهوة باريس بروما حيث — سيقابله رجل إسمه « جورج » — ليشرح له المطلوب منه بالتفصيل وهناك طلب إليه جورج هذا أن يذهب هذه المرة إلى الإسكندرية وأن يبحث عن شقه تطل على الميناء وأن يبلغهم إثبات التحركات التى تجرى فى ميناء الإسكندريه كما أنه دفع إلى س . مبلغ مائة جنيه بعد إتصاله به تلفونياً .

طريقة الإرسال والإستقبال : —

وشرح الهولاندى طريقة الإرســال والإستقبال وكيفيته فذكر أنه كان يقوم بثلاث إرسالات وثلاث استقبالات بين يوم وآخر طبقاً للتعليمات التى زود بها وفصلها وأن « كيمخ » أعطاه الشفرة الخاصة بالتراسل وأفهمه كيفيتها بما نوضحه تفصيلا بعد وهى مأخوذة من كتاب الـ Cruel Sea « البحر القاسى » أو الـكود الخاص بالتراســـل وطلب منه أن يقوم بثلاث نداءات يوميا فى الساعة التاسعة والنصف صباحا على أن يقوم هو بالإرسال ثلاث مرات أسبوعياً فى أيام الأحد والثلاثاء والخميس وأن يستقبل الإشارات ثلاث أيام أخرى هى الإثنين والأربعاء والجمعة ويتوقف التراسل يوم السبت — وهو يوم راحة اليهود — كما أعطاه العنوان الأول الذى يرسل إليه خطاباته بالحبر السرى وهو بعدينة أمستردام وأنه لا يعرف مكان المحطة التى كان يوجه إليها نداءاته وإرساله بالضبط وإنما يقطع حسب معلوماته أنها فى مـكان ما بإسرائيل لأن الإشارات كانت تصله قوية جداً ومفهوم ذلك أنها من مكان قريب ولا يمكن أن تـكون فى هولندا أو باريس أو روما .

الإتصال بمخابرات اسرائيل . . ودلالته : —

وبعد القبض على الهولاندى كما تقـــدم القول رأت السلطات المصرية « المخابرات » أن تستعين به للتيقن من إتصاله بإسرائيل ولتستفيد من المعلومات التى يمكن أن تصـــل إليها عن طريقه وللتعرف إلى الجواسيس الآخرين أو معرفة مقارهم وكان المتهم فى هذه الفترة مستجيباً فملا إلى هذه المعاونة فوافق على الإرسال والإستقبال واستمر فى إجراء العمليات اللاسلـكية

بواسطة المخابرات على نفس الأجهزة وفى المواعيـــد السابق تحديدها حتى لا يعرف بوجود تغيير فى شيء مطلقا ولم يشتم أحد شيئاً فى أمر القبض عليه أو ضبطه أو فى أن هناك طارئا غير عادى وسجلت الإشــارات التى أرسلها والتى استقبلها المتهم فى خلال هذه الفترة. وقد تبين أن من بينها إشارات مرسلة من المخابرات الإسرائيلية تطلب فيها من المتهم موافاتها ببيانات عن التحركات العسكرية فى منطقة القنال وعن خصائص ووصف الشاطىء والمنشآت به وعن القوات البحرية وسفن الأسطول والقوارب التجارية الملحقة به وبحراسة الشواطىء فى بورسعيد ونشاطها وعن المدفعية الساحلية والدفاع الساحلى ومواقع محطات الحراسة الساحلية فى الطريق إلى بورسعيد والسويس ومواقع محطات الرادار ومعسكرات الجيش فى طريق السويس وعن العلامات المميزة والمعسكرات الحربية فى أماكن حددت له ومواقع الدفاع الساحلية فى ميناء الاسكندرية كما طلب منه ذكر المنشئات فى رئاسة القوات البحرية ووصف وتحديد مواقعها ولهذا كله دلالته فى حقيقة المعلومات التى يرسلها الجواسيس.

فحص جهازات الارسال والموجة.

تبين من فحص جهازات الاستقبال والارسال أن الهولندى كان يرسل إشاراته على موجة ذبذبتها ٨٧٦٠ كيلو سيكل فى الثانية بطريقة مورس التلغرافية وهى النقط والشرط المقسمة لها الحروف الابجدية وهى طريقه عالمية مستعملة فى كل بقاع العالم للاتصال والتعارف بها . وأن جهاز الارسال المضبوط هو جهاز صغير يعمل بصمامين بالكهرباء ويمكن سماعه على بعد يتراوح بين ٥٠٠ أو ٦٠٠ كيلو مترا أثناء النهار وقد تصل هذه المسافة على الأكثر إلى ١٠٠٠ ألف كيلومتر أثناء الليل أو فى الصباح المبكر وأن الهوائى أى

الايريال الخاص به موجه إلى ناحية الشمال الشرقى من الاقليم المصرى وأنه يستقبل الاشارات اللاسلكية على موجة قصيرة وذبذبتها ٨٢٤٠ كيلو سيكل فى الثانية وهى مسموعة جيدا ويستقبلها على جهاز الاستقبال (الراديو) المضبوط لديه . وأن هذه العمليات تتم فى تمام الساعة الثانية عشر ونصف ظهر كل يوم عدا يوم السبت فهو يوم عطلة وأن أجهزة الارسال والاستقبال أحدها هو راديو عادى يدار بالبطارية «جهاز فيليبس» ترانزستور من أحدث نوع وجهازين للارسال صغيرين متشابهين ومن صناعة يد واحدة ودقيقة جدا وصغيرة ولا تباع فى الأسواق وعملت خصيصا لعملية الارسال وقد ضبطت أجهزتها على أن توصل إلى مكان واحد تقريبا ولا ترسل إلا على بعد من ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ كيلو متر تقريبا أى فى المسافة التى بيننا وبين اسرائيل وأنه مصنوع باليد ويكون من مكثف ومقومات وبه لمبتان للارسال وليس عليه علامات مطلقا أو إشارات تدل على مكان صنعه أو على تحديد الفولتات الخاصة به وبه مكان لوضع الفيشة ومكان لوضع الكريستال ولا يمكن العمل بهذا الجهاز إلا بواسطة الكريستال والكريستال مكتوب عليه الموجات أى الكيلوسيكل فلو وضع الكريستال فى الجهاز المحدد عليه موجة ٨٢٤٠ فهو يعمل عليها فقط وإذا وضعت الموجة الأخرى يعمل عليها وهكذا طبقا للتعليمات وبه لمبة كاشفة تسمى الـ (Pilotlamp) بواسطتها يمكن الاستدلال على أن الجهاز يعمل صحيحا وذلك فيما إذا أنارت باضاءة كافية وأن هذا الجهاز لو كسر أو حوول فكه لبحث كيفية صناعته لتلف تماما وهو لا يمكن إصلاحه محليا . وهذا أمر مقصود حتى لا يصل أحد إلى سر صناعته ولذا أعطى له جهاز احتياطى آخر .

ولا يخفى أن هذا الكريستال من ناحية تركيبه الفنى هو عبارة عن بللورة مكونة من شرائح وبالضغط عليها بواسطة الميكروفون تتولد عنها ذبذبات تحدد الموجة وكذلك تتكون من الضغط عليها بواسطة مفتاح مورس وهو من ناحية معناه الذى يحدد الذبذبة أو طول الموجه المراد العمل عليها — وبدون هذا الكريستال لا يمكن تشغيل الجهاز إلا إذا كان الجهاز مصمما أصلا على أن يكون فى دائرته تذبذب رئيسى يتحكم فيه الراسل لتحديد طول الموجة المراد العمل عليها ولكن تصميم الجهاز بهذا الكريستال إنما قصد به فى حالة الإرسال أو الاستقبال الدقة المطلوبة وعدم تعريض الجهاز للعبث به أثناء العمل من أى فرد حتى يستجيب دائما لنفس الموجات دون خلل أو تدخل خارجى .

الأحبـــار السرية :

شرح الطبيب الشرعى المحلل محمود عبد المجيد مسائل الحبر السرى والكتابة به وإظهاره وقرر بأن الأحبار السرية لم تظهر فى قضايا بمصر قبل الآن إلا فى قضية لبعض الإخوان المسلمين وأن الأحبار السرية التى ضبطت فى قضايا الجاسوسية التى نظرتها المحكمة والتى فحصها هو جميعها وقدم تقاريره عنها هى عبارة عن زجاجات ومستحضرات طبية مكتوب على بعضها أنها أدوية للأنف أو للأذن أو لقطرة أى أنها توضع فى زجاجات كانت أصلا لهذه الأدوية أو لمواد عطرية أو لمواد أخرى كدهان للشعر أو للوضع على الوجه بعد الحلاقة وما شابه حتى لا يشتبه أو يشك فيها عند ضبطها — وأنه بدأ الفحص أولا فتبين له أن ما فى الزجاجات لا يحوى ما هو مدون عليها — أى أن جميع الزجاجات لا تحتوى على المركب الطبى المبين بها بل تحتوى على

مواد أخرى فاتجه نظره إلى مسألة الأحبار السرية وتكوينها وبالتحليل عرف تكوين المواد وأصولها . ولما كان الحبر السرى لا يمكن حصره فى دائرة واحدة بل هو متشعب ومتسع وبعض الأحبار السرية تستعمل فيها الحرارة لإظهارها وبعضها لا يظهر إلا بمُظْهِر خاص له ولا بد أن يكون إظهار الحبر السرى بمظهر لكل حالة . لأنه مادة إذا كتب بها وجفت لا تظهر للعين المجردة . وله تعليمات خاصة بمعنى أنه لا يكتب بالضغط بل بكتابة خفيفة بحيث لا يترك الضغط أثراً على الورقة وأن لا يُمَلّ القلم بالحبر أو الريشة بكثرة حتى لا تتشعب المادة على الورق وأن الذى يُجهز الحبر السرى لا بد أن يجهز المادة المظهرة له وهذا يحتاج إلى خبرة وكفاية علمية وفنية . وأنه فيما يعلم لا يوجد حبر سرى فى مصر يباع ويشترى فى الأسواق والذى بان له من العمل كله أن الذى لديه الحبر السرى لا يعطى المظهر له زيادة فى الأمان والاحتياط كما أنه لا يعطى المظهر للحبر الذى يرد له إنما يجوز أن يستعمل المظهر فى بعض أنواع من الحبر السرى . ولكن ليس كل مظهر ليظهر كل حبر سرى وهو قد أمكنه بعد الفحص ومعرفة المواد والأحبار السرية أن يظهر بعض الخطابات التى تكتب بالحبر السرى لدى بعض الجواسيس كما حدث فى أمر الايتالى إذ أمكنه أن يظهر الحبر السرى الذى يكتب به من معرفة الأحبار السرية المضبوطة لديه .

وأنه فحص ما ضبط لدى الهولاندى وتبين له أن الزجاجات المضبوطة لا تتفق محتوياتها مع العناوين المكتوبة عليها فالمظهر مكتوب عليه مادة « اللسترين » وهى مادة مطهرة وأحضر مادة اللسترين فوجدها تختلف

لونا عن المادة الموجودة فى الزجاجة المضبوطة ثم حللها وعرف كيفية تركيبها واتضح له أن ما بها هو مادة تظهر الكتابة السرية .

أبحاث التزييف والتزوير :

وزيادة فى الاطمئنان من أن المصدر الذى يتعامل معه الهولندى سواء فى روما أو باريس أو امستردام أو غيرها إنما هو مصدر واحد وكذلك هو نفس المصدر الذى كان يتعامل ويتراسل معه الطالب س . والمهندس ن. بالرغم من اختلاف الأسماء واختلاف البلدان المرسل منها . اطلع مدير قسم أبحاث التزييف والتزوير على المظروفات الواردة إلى الهولندى بعد ضبطه مع المظروفين السابق ورودهما إليه وبعضها وارد من روما والأخرى من جنوا أو بلاد غيرها وتبين أن عناوين المظروفات الستة والمظروفات والتقارير الواردة بها المحررة بكتابة مقروءة أو بأحبار جافة مزرقة اللون قد كتبت بتصنع وتلاعب ظاهرين فى طريقة التكوين والاتصالات واتجاه الأحرف فضلا عن البطء إلا أنه رغم هذا كله فقد تبين من المميزات الخطية أنها جميعها لشخص واحد وكذلك الكتابة المحررة بالحبر السرى بالتقارير الستة الواردة فيها والتى استظهرت محررة بأحرف كبيرة منفصلة على طريقة الكتابة السرية قد وجدت جميعها تتفق فيما بينها من حيث طريقة تكوين الأحرف وما بها من مميزات خطية . مما يشير إلى أن الكاتب لها جميعا شخص واحد وأن بعض الأحرف الكبيرة المنفصلة فى العبارات المحررة بالحبر السرى والأخرى المناظرة المحررة بالكتابة المقروءة يتفق بعضها مع البعض مما يشير كذلك إلى أن الكاتب للعبارات المحررة بالحبر

السرى هو نفس الـكاتب للـكتابة المقروءة وتشير إلى وحدة المصدر وأنه المخابرات الإسرائيلية وفقاً للاتصالات اللاسلـكية .

كما أنه أيضا قد فحص ما ضبط لدى الإيتالى وتبين أن أحد الأحراز عبارة عن زجاجة مكتوب عليها « كوكتيل » والآخر « اكوافالفا » واتضح كذلك أنها تختلف عما هو مكتوب عليها وأن ما بها إنما هو أحبار سرية ومظهر على الطريقة السابق شرحها . وأنه بفحص الريش والأقلام والحبر المضبوط قد تبين أنها تحتوى على آثار للحبر السرى كذلك وبفحص مسحوق الجبس المضبوط والأحواض البلاستيك قد تبين أنها جبس من نوع جيد وأن هذا الجبس يستعمل بعد الـكتابة بالحبر السرى ويوضع عادة فى حوض من البلاستيك به بعض المياه إذ من المعروف أن الجبس لا يذوب فى الماء وكذلك الأمر فى كربونات الصودا وذلك لتغطى طبقة الجبس الرقيقة التى ترسبت على الورقة ما يمكن أن يكون قد تركه القلم من آثار للضغط على الورقة فلا تظهر للعين المجردة ولا يمكن كشفها وبعد ذلك تجفف الورقة إما بين أفرخ أوراق النشاف أو توضع بين أوراق أخرى أو تجفف بمكواه كهربائية أو توضع فى الشمس مثلا . كما وأن الأحبار السرية عادة ليس لها مدة للصلاحية والحبر المضبوط فيما يعلم المحلل الفنى لا يتأثر بالعوامل الجوية ولا بالمدة مما يدل على دقة صانعه وخبرته وأنه ليس من الأفراد العاديين . وأن الأوراق التى تستعمل هى كلها تقريبا من نوع واحد ومن مصدر أو آخر وهى يقصد بها أن لا ترشح ولا تتقع الأحبار منها بمعنى أنها تـكون دقيقة الصنع من خامة جيدة وبعض الأوراق تحمل العلامات المائية اما من سويسرا أو من ايتاليا أو من المصادر التى بها الشبكة الأصلية للجاسوسية .

طريقة الشفرة واستعمالها : —

تبين من أقوال الهولندى كيفية استعمال الشفرة من كتاب (البحر القاسى) الذى ضبط لديه وهو Cruel Sea وأنه الكود الشفرى الذى يتعامل به وأن كيفية كتابة رسالة مثلا تقول: أنه كان مريضا حقيقة « have been seriously ill » فهو يبدأ الإرسال بأن يكتب أولا مقطعين من حروف لا معنى لها مكونة من ثلاثة أو أربعة حروف على الوجه المتعارف عليه وذلك لإلفات النظر . وبعد ذلك يكتب كلمة مكونة من ثلاثة أو أربعة حروف فإذا كانت هذه الحروف من حرف A إلى حرف D فمعنى ذلك أنه لم يستمع إلى رسالتهم السابقة وإذا كانت هذه الحروف التى تتكون منها الكلمة من حرف E إلى حرف L فمعنى ذلك أن رسالتهم التى أرسلوها كان سماعها ضعيفا . وذلك ليتأكدوا من أن الإشارات والرسالات قد وصلت وفهمت حتى تنفذ وإذا كانت الحروف التى تتكون منها هذه الكلمة من حرف M إلى حرف Z فمعنى ذلك أنه سمع رسالتهم السابقة جيدا . وبعد ذلك يكتب رقم الرسالة التى سيرسلها ويكون رقم الرسالة مطابقا لرقم أحد الصفحات بكتاب الشفرة وهى تكون دائما الصفحة التالية للصفحة التى استعملها فى آخر رسالة. ثم يكتب تاريخ اليوم وأى ساعة يكتبها فى الرسالة وبعد ذلك يكتب حرف R . G . وبجوارها رقم يدل على عدد مجموعات الكلمات فى الرسالة التى سيرسلها فإذا كانت الرسالة مكونة من خمس مقاطع فيكتب رقم ٥ بجوار هذين الحرفين وهكذا وأنه بعد ذلك يكتب الرساله التى يريد كتابتها ولا يتقيد بالفواصل بين الكلمات وإنما يجب أن تكون كل كلمة مكونة من خمسة حروف فمثلا فى الرسالة التى كتبها يكتب الكلمة الأولى من خمس حروف

وهكذا ـ Lyill — Rious — Eense — Haveb ثم يبدأ بعد ذلك في تغيير حروف الرسالة السابقة بالطريقة الآتية : —

يأخذ الصفحة التي استعملها من صفحات الكود وهي التالية للصفحة السابق استعمالها في الرسالة السابقة عليها وهي رقم ٦٣ مثلا ويأخذ الحرف الثاني من السطر الأول في هذه الصفحة ويكتبه بدلا من الحرف الأول في الرسالة ثم الحرف الثاني من السطر الثاني بدلا من الحرف الثاني في الرسالة والحرف الثاني من السطر الثالث بدلا من الحرف الثالث في الرسالة وهكذا يأخذ الحرف الثاني من كل سطر في صفحة الكتاب ويضعه بدل الحرف المقابل له في الرسالة ويكتب هذه الحروف فوق حروف الرسالة بالتوالي . وبعد ذلك يكون لديه جدول بالحروف الأبجدية باللغة اللاتينية من أول حرف A إلى حرف Z . ومقابل كل حرف يعطى رقما ويبدأ حرف A برقم 0 وحرف Z برقم 25 أي الستة والعشرين حرفا في الأبجدية ويستمر الترقيم مرة أخرى من أول حرف A ويعطى له رقم آخر 26 وحرف Z برقم 57 وعلى أساس هذه الأرقام يطرح المتهم الرقم المعطى للحرف الأول من الرسالة من الرقم المعطى للحرف الأول من الكود ونتيجة الطرح يترجمها إلى الحرف الذي يقابل الرقم في الحروف الأبجدية فمثلا يكون الحرف الأول في الرسالة هو حرف H وهو رقم ٧ والحرف المقابل له في الكود هو حرف A وهو رقم ٨ وتكون نتيجة طرح الرقمين هو ١ وهي تساوي حرف B فيكتب المتهم حرف B تحت هذين الحرفين وهكذا تَحُلُّ هذه الحروف التي تحصل من نتيجة الطرح بالأرقام السابقة محل الحروف التي استخرجها من الكود الشفري وتكون هذه الحروف هي الرسالة . وكل ذلك لتعقيد الأمر وليصعب على أي مخلوق

حل أرقام الشفرة إلا إذا كان عالما بها وهذا يدل على أهمية المعلومات التى يرسلها الجواسيس وإلا لما بذل هذا الجهد الكبير فى إرسال الإشارات بطريق الشفرة . وأنه إذا انتهت أسطر الصحيفة بعد أخذ الحرف الثانى من كل سطر ولم تكمل الرسالة يعود من أسفل الصفحة ويأخذ الحرف الثالث من السطر الأخير والحرف الثالث من السطر الذى قبله وهكذا حتى يصل إلى السطر الأول وهكذا صاعدا نازلا حتى ينتهى استعمال الصفحة وعليه بعدها أن ينتقل إلى صفحة أخرى . وقرر أنه كان يتلقى رسائلهم باللاسلكى مكتوبة بالشفرة بنفس الطريقة ثم يترجمها بنفس الطريقة .

وهكذا سار الهولندى على الطريقة نفسها التى اتبعها ويتبعها جواسيس العالم كله فقد كان مثلا هناك عميل المانى فى الولايات المتحدة سنة ١٩٤١ يرسل تقاريره إلى وسطاء له فى أسبانيا والبرتغال وكان يكتب الرسائل خاصة ببضاعة وظاهرها برىء . ولكن كل جملة منها تهدف إلى شىء آخر . وكان يستخدم كذلك حبرا سريا لا يظهر إلا عند وصوله للطرف الآخر فكتب تقريرا عن شحنة من نيويورك أرسلت إلى بريطانيا بعتاد حربى ولكن خطابه ضبط وعرفت محتوياته. وكان هناك رجل آخر اسمه سيلبر يعمل فى الرقابة الانجليزية بالقسم الألمانى وقد انتفع بكشوف المشتبه فيهم الذين كان يراقب رسائلهم وكان يضع تقاريره ويرسلها إلى منظمة الجاسوسية الألمانية ويضع عليها العبارة المشهور « فتح بواسطة الرقيب » فكانت هذه الرسائل تصل إلى مكانها دون أن يشتبه فيها وأمكن للألمان أن يعرفوا منها الكثير عن العملاء. وهناك طريقة أخرى فكانت رسائل الشفرة تقسم إلى مجموعات كل منها خمسمائة حرف ثم تصور بالميكوجراف مرة بعد أخرى التى تُصَغِّرُ الصور

لأقل حيز ممكن حتى تصل إلى حد رأس الدبوس ثم يلصق الفلم السلبي في بطاقة بريد مصورة في قسم منها لا يكون مرئياً وترسل البطاقة إلى وسيط ومنه إلى وسيط آخر ويرسلها هذا الأخير إلى البعثة الدبلوماسية لدولته . كما تستخدم وسائل كثيرة لاخفاء الرسائل كما رأينا من معلومات المهندس ن. في هذه القضية فبعضها في كعوب الأحذية أو في زرائر الثوب أو في البطاقات الداخلية أو ثنيات القبعات أو في علب الأغذية المحفوظة أو الحلوى أو أنابيب معجون الأسنان أو قطع الصابون أو لفائف التبغ أو أصابع الروج أو معجون الأسنان . وقد تكتب بواسطة الوشم أو بالحبر السرى على جلد بشرة الرسول أو في أعلى ياقة المعطف وقد ضبطت إحدى هذه الرسائل في العين الزجاجية لفراء جاسوسة حسناء كانت تنقل الرسائل بين المجر وتركيا أثناء الحرب العالمية الثانية . وكل القصد من استعمال الشفرة الكودية هو منع العدو من معرفة الرسائل وإن وصلت إليه فيصعب عليه قراءتها وتحليل كلماتها .

الكود :

على أنه يجب التمييز في الكتابة الرمزية بين « الكود » و « الشفرة » فالكود الذي يستعمله بعض الدول والذي بدأ قبل استعمال الشفرة هو كلمات أو مجموعة حروف أو رموز تختار لتمثل أو تعبر عن كلمات أخرى . وفي هذه الطريقة قد يكون للكلمة الواحدة معان أو أنها تمثل عددا من الكلمات المركبة مع بعضها أو تعادل جملة كاملة وإليك مثلا لطيفا صعبا من هذه الأمثلة :

ففى الكود النمسوى الذى عرف بعد سقوط النمسا أثناء الحرب العالمية الأولى كانت تستخدم كلمة « مَـامَـا » لتعبر عن « ثلاث قوارب طوربيد أفانتى » . وكانت كلمة « ايستر » تعبر عن الخروج والاتجاه إلى « كاتارو » أى الخروج للبحر . وكلمة « دكتور » تعبر عن « سفر » أو « رحيل » لقوات بحرية أو برية مثلا وكلمة «شمس» تعبر عن الطراد الثقيل «ايتاليا» وكلمة « حديقة » لتعبر عن شهر أغسطس « مثلا وكلمة طابق » تعبر عن « انزال سفينة جديدة فى البحر » وهكذا ارسل عميل إلى قلم المخابرات فى الدولة التى يخدمها تلغرافا قال فيه :

« ينتظر أن تنتقل ماما بعد الايستر . لقد ذهبت لرؤية الدكتور بالأمس بسبب ألم أذنها — واقترح الدكتور أن تقضى وقتا طويلا فى الشمس وليس هذا بمشكلة لأن الطابق الجديد الذى ستشغله له حديقة جميلة » .

وكان معنى هذا الرسالة الكودية بعد حلها :

«رحلت قوارب طوربيد طراز افانتى فى اتجاه كاتارو . وسينزل الطراد الثقيل ايتاليا إلى البحر فى شهر أغسطس » .

وقد تستخدم الشفرة كما قدمنا بطريقة أخرى وهى وضع أحرف الهجاء مكان بعضها أو أن يتم الهجاء عكسيا أو توضع أرقام أو إشارات مكان الحروف .

ولكن علماء الشفرة يقولون أن الشفرة يجب أن تكون بسيطة ليمكن كتابتها وقراءتها وبرئية الظهر ويمكن للعقل أن يجد حلها بالاناة والصبر والجلد .

ولو أن الشفرة والـكود من التدابير الخادعة إلا أنه تبين فى الـكثير أنه لم يصعب حل بعضها — ولذا يوجه العملاء جهودهم عادة لمعرفة كاتب الـكود أو الشفرة وقد أمكن للالمان والتليان فى الحرب الماضية الوصول إلى الـكود الأمريكى الدبلوماسى ونجحوا فى شراء رجل الـكود واستخدموه لحسابهم . كما كان لأهمية حصول أمريكا على الـكود اليابانى أن تمـكنوا من معرفة كثير من أسرار اليابان العسكرية ومواجهتها وفى هذا يقول المستر هانسون المحرر العسكرى لجريدة « نيويورك تيمس » سنة ١٩٤٥ « أنه لم يعد سراً أن الولايات المتحدة منذ معركة «ميدواى» قد استطاعت معرفة سر الـكود اليابانى وبذلك استطاعت التقاط كل الرسائل التى ينقلها الراديو الألمانى ومعرفة ما بها من أسرار وأمكنهم أن يعرفوا مقدما العمليات التى كان اليابانيون يعتزمون القيام بها . .

المهندس البحرى ن :

لقد حدث أن ورد للهولندى خطاب فى ديسمبر سنة ٥٩ تطلب فيه مخابرات إسرائيل منه أن يدفع للمهندس ن. ثلاثمائة جنيه — وكان المهندس ن. على إتصال بالمخابرات العربية من قبل ووردت النقود وأودعت صندوق البريد وتسلمها ن. وأخطر بها — وذلك لأن العدو لم يكن على علم بصلة ن بالمخابرات المصرية — وكانت قصة ن. هذه أيضاً من أغرب القصص التى تدل على المحاولات والترتيبات المدبرة لإصطياد العملاء من المصريين ولـكن أغلبهم كانوا من شرف النفس بحيث لم يلينوا ولم يضعفوا .

وأما قصة المهندس البحرى ن : فتتخلص فى أنه كان يعمل بالسفن البحرية

التجارية وهو أعزب ترك أهله بالاسكندرية واعتاد أن يحط رحاله من بلدة لأخرى وكان رجلا بلغ الخامسة والأربعين من عمره وقد حدث له فى يناير سنة ١٩٥٨ أثناء إحدى رحلاته إلى أوربا ومروره بجنوا بإيطاليا للبحث عن عمل هناك حيث كان قد حجز على الباخرة التى يعمل عليها وانقطع عمله بها أن صادفه فى أواخر شهر فبراير سنة ١٩٥٨ شخص تقدم إليه باسم « أحمد خليفة » والذى اتضح فيما بعد أنه نفس الشخص الذى تقدم لجاسوس آخر فى قضية أخرى باعتباره ممونا للسفن ووعده بأن يساعده فى البحث عن عمل يرتزق منه وكان لقاؤه به مصادفة فى ١٩٥٨/٣/٤ ووطد علاقته به وادعى له بأنه عراقى واستطاع أن يحصل منه على بيانات تفصيلية عن شخصه ليقدمها لإحدى الشركات التى يعمل بها ومن بينها تاريخ حياته ومعارفه وأقاربه وأصدقائه وخاصة منهم الذين يعملون بالجيش ولما أعطاه ما طلبه من بيانات انصرف ثم عاد إليه بعد ذلك وصحبه لمحل عام حيث قدمه لشخص إسمه بيكاديللى . وقد أفهمه الأخير أنه يعمل فى مخابرات حلف الإطلنطى لصالح الدول الغربية وكان هذا هو السبيل الأول للتقرب إليه كالعادة وأفهمه أنه ضد المعسكر الاشتراكى واستفسره فيما إذا كان يرغب فى أن يعمل معه سيما وهو لا عمل له الآن. فلما وافق على ذلك حدد له ميعاداً للسفر إلى روما معه على مصاريفه لمقابلة مسئول التنظيم كله هناك ونقده حوالى الف ليره إيتالية ومصاريف السفر إليها وفى الميعاد المحدد التقى به فى روما وأطلع على جواز سفره ولما تبين له أن تصريح إقامته بإيتاليا قد أنتهى طلب منه العودة إلى جنوة وحدد له ميعاداً للقاء هناك فى اليوم التالى ونقده أيضاً ٥٠٠٠ خمسة آلاف ليرة وفى الميعاد المحدد قابله مع أحمد خليفه وأعطاه ألف ليرة أيضاً وطلب منه الذهاب إلى إدارة الجوازات بجنوة لتجديد إقامته وهناك أفهم من المختصين . بأنه يمكنه الإقامة للفترة التى يراها

دون تأشيرة بشرط حجز مكان لسفره فى الميعاد الذى يراه مستقبلا . ولما عاد لبيكاديللى استخرج له تذكرة سفر بالباخرة . الاسكندرية . وحدد له ميعاداً للسفر بعد حوالى شهر من تاريخ إستخراج التذكرة وطلب منه مصاحبته فى اليوم التالى إلى روما حيث أنزله فى أحد فنادقها ودفع مصاريف إقامته به . وفى اليوم التالى أيضاً حضر إليه وصحبه إلى أحد المحلات العامة وهناك قدمه لمن يدعى « برعا » باعتباره أحد مسئول المنظمة التى يعمل بها وقد سلمه الأخير حوالى ألفى ليرة للصرف منها وأفهمه أنه سيعاود الإتصال به فى الفندق وشكره على رغبته فى التعاون معهم وأقام بعد ذلك فى روما حوالى أسبوعين وكان المدعو « برعا » يتصل به يومياً ويسلمه المبالغ التى يطلبها وقد نقده خلال هذه الفترة حوالى سبعين الف ليرة . وفى أوائل إبريل سنة ١٩٥٨ أبلغه برعا بأن ميعاد سفره إلى الإسكندرية قد حان ولم يبق عليه سوى بضعة أيام وطلب منه السفر إلى جنوة للرحيل منها للاسكندرية وأعطاه عشرين ألف ليرة . ولما استعلم عن الأعمال التى يمكن أن يؤديها للمنظمة أبلغه أن عليه انتظار التعليمات التى ستصدر إليه مستقبلا والتى ستصله خلال شهرين وانتهى الأمر بينهما عند هذا الحد . وسافر نه إلى جنوة حيث عرض عليه العمل على الباخرة « حلب » ليعمل بها وأبلغ « أحمد خليفة » بذلك حين قابله فى جنوة وأنه سيقوم الى الاسكندرية ثم بور سعيد ثم البصرة وقد وصلها فى يونيوسنة ١٩٥٨ . والذى يستفاد من ذلك أنه طلب منه أن يعمل بالمنظمة وأعطاه النقود ولم يفهمه عن عمله الحقيقى وهو التجسس أو التخابر لأن ذلك متروك لبعد مرور فترة التدريب والامتحان والفحص والتأكد من حقيقة نواياه وعما إذا كان سيبلغ أحداً بما حصل أو ينم عن شيء . إلا أنه حدث بعد أن وصل إلى البصرة فى يونيوسنة ١٩٥٨ أن صادفه شخص لم يكن يعرفه من قبل وتقدم

إليه بصفته مندوبا عن « بريما » وذكر له أن الأخير أى « بريما » يطلب منه الاستمرار فى العمل على الباخرة حلب لحين صدور تعليمات أخرى وهذا يدله على أنه كان تحت المراقبة هذه الفترة وأنهم كانوا يعلمون بما يفعله وأن لهم عملاء فى كل مكان . وسافر هو بعد ذلك على تلك الباخرة نفسها إلى عدن ثم للمملكة السعودية ثم إلى دول أوربا الشمالية وانتهى مطافه عليها سنة ١٩٥٨ فى قبرص حين أراد العودة لمصر فترك الباخرة وعاد بطريق الجو فوصل القاهرة فى ١٩٥٨/١٢/٢ . وهناك وجد على عنوانه الذى سبق أن أعطاه لهم خطابا واردا إليه من روما بتوقيع « ثابت أندريا » يبلغه فيه الراسل أنه فى إنتظاره بروما لإلحاقه بعمل مجز وبأن سفره سيكون على نفقتهم وطلب منه الاتصال بعنوان حدده له فارسل برقية على هذا العنوان يبلغهم فيها بالموافقة على السفر ووصله الرد بانتظارهم لحضوره .

إبلاغ المخابرات :

ولكن المهندس ن. عندما عاد لمصر وقد شك فى أمر هؤلاء الذين طلبوا منه الانضمام لمنظمة لا يعرفها والذين سألوه عن هوايته وحياته وأعطوه النقود بلا سبب فلا بد أن يكون ذلك لعمل غير مشروع فتقدم وأبلغ إدارة المخابرات المصرية بالأمر كله وقد قامت المخابرات بوضع الخطة العامة له ليتبعها وأعطته التعليمات اللازمة .

وحدث بعدها أن سافر ن . طبقا للخطة الموضوعة بالباخرة إلى إيتاليا ووصل ميناء جنوة فى ١٩٥٨/١٢/٢٤ ومنها إلى روما حيث توجه إلى العنوان سالف الذكر فسلمه حارس هذا العنوان رقما تليفونيا للاتصال به . وقد أفهمه

من تحدث معه بشخصيته فواقاه بالفندق الذى نزل به شخص جديد تقدم اليه باسم « سعد » وأفهمه أنه مندوب « بريما » وأنه مكلف بمصاحبته طوال فترة إقامته بروما وطلب منه الانتقال إلى فندق سان جوستو الذى كان قد حجز له محلا للاقامة به ونقده عشرين ألف ليرة للصرف منها وفى اليوم التالى مر عليه بالفندق وصحبه إلى محل عام حيث قدمه لمن يدعى «ريتشارد» الذى استعلم منه عما إذا كان يتعاون معهم بمحض كراهيته للنظام القائم فى البلاد فأفهمه أنه لا يقصد من هذا التعاون سوى هدفه الأول وهو الحصول على المال وعندئذ وافق « بريما » على استمراره فى التعاون معهم وأفهمه أن « سعد » سيلقنه دروسا هامة فى منزل أعد خصيصا له . وهكذا بعد أن اطمأنوا إليه هذه الفترة الطويلة بدأوا يفضون اليه بأسرارهم لأنه كما ظهر من أحاديثه معهم كان يبدو طبيعيا فى تصرفاته ولم تساورهم الظنون فى أمره إذ أنه حرص منذ الوهلة الأولى أن يبدو فى شخصية معينة شخصية الذى لا يهمه سوى المال ولا يقيم أى وزن للمبادىء أو الأخلاق . وهذا اللون من الناس هو الذى يعجب الباحثين عن العمـــلاء لأن غرضهم هو المال والمال وحده ولا يهم من أين يجىء هذا المال ولأنه كان حريصا على صرف كل ما تصل اليه يده فكان يطالبهم بدفعات أولا بأول ويزودهم ببعض المعلومات . وقد كان أن صحبه « سعد » هذا إلى سكنه الخاص الذى أقام به حوالى الشهر وكان يتردد عليه فيه يوميا وينقده المبالغ اللازمة للصرف منها على نفسه وقد بلغت حوالى ١٣٠ ألف ليرة ثم سلمه آلة تصوير وعلمه كيفية التصوير بها وكيفية تصوير المستندات ثم كيفية تحميض الأفلام واخفاء الأفلام السلبية فى الطرود كما علمه كيفية الكتابة بالحبر السرى . وطريقة استظهار الكتابة السرية ومنحه بعد هذه الدروس أجازة يومين قضاها فى فلورنسا وبعدها حضر اليه سعد

مع شخص قُدِمَ اليه باعتباره قبطان مدمرة انجليزية وأخذ هذا يلقنه لمدة أسبوع دروسا فى السفن الحربية والغواصات والطرادات وعلمه كثيرا من أنواع الرادارات وكيفية رسم القطع البحرية الحربية وطرق تسليحها . كما لقنه طريقة استدراج أفراد القـــوات المسلحة للحصول منهم على الأسرار والمعلومات العسكرية وانتهت بذلك فترة تدريبه . وبعدها حضر اليه المدعو ريتشارد وأفهمه أن مرتبه تحدد بخمسين جنيها شهرياً مقابل عمله بالمنظمة وأن زيادة المرتب رهينة بزيادة الإنتاج . وكانت هذه طريقتهم دائماً بل أنهم كانوا يقطعون المرتب عادة إذا قل الإنتاج والتراسل . ثم سلمه المذكور مائة وخمسين جنيها مصريا كأجر له سلفا لمدة ثلاثة شهور وأبلغه أن أجره سيصله بانتظام فى مواعيد محددة بطرقهم الخاصة وسلمه آلة تصوير وزجاجة حبر سرى وأخرى بها مظهر وأوراقاً ليستعملها فى الـكتابة السرية وأفهمه بإرسال خطاباته إلى عنوان معين بروما باسم « ثابت ميشيل اندريا » وطلب منه أن يوقع على الخطابات التى يرسلها بإمضاء مستعار وقدم إليه إيصالا وقع عليه باستلام هذه المبالغ وأدوات التصوير والتراسل السرى تحت عنوان المخابرات الأوربية لتـكون حجة ضده . وبذلك انتهت مهمة ن فى روما . ثم كلف بالعودة للبلاد على نفقة المنظمة حيث وصل الاسكندرية بطريق البحر فى أول فبراير سنة ١٩٥٩ وبدأ الـكتابة إليهم بالحبر السرى وكانت تصله الردود على عنوانه وكل ذلك كان تحت إشراف إدارة المخابرات العامة إذ أنها وضعت الخطة المناسبة لاستمرار الاتصال بالمخابرات الإسرائيلية وطلبوا منه أيضاً فى هذه الخطابات استئجار مسكن يطل على ميناء الاسكندرية ليتمكن من مشاهدة حركة البواخر فى الميناء وتصويرها وخاصة المراكب الحربية فيها . وطلبوا إليه الالتحاق بالقوات البحرية . كما طلبوا من

الطالب س من قبله أن يلتحق بالجيش . ليتمكن بالأكثر من الحصول على الأسرار العسكرية لتوصيلها إليهم وتصوير المعدات الحربية فى العرض الذى يتم فى يوليو سنة ١٩٥٩ وكانت المعلومات التى طلبوها خاصة بالبحرية المصرية وبمواقع المدافع المضادة للطائرات وبفناطيس البترول لمدينةالاسكندرية وعن الحوض الجاف وعن مركز تجمع الشبكة الكهربائية بميناء الاسكندرية وعن محاولة التقرب بالأكثر من الجنود بالبحرية للحصول على المعلومات المطلوبة إلا أن المعلومات التى أرسلت إليهم كانت أغلبها معلومات زائفة أو مضللة وإنما فيها شبه من الحقيقة . وكان نتيجة لهذه الخطة ولاطمئنان المخابرات الإسرائيلية لعمله أن أرسلوا إليه أربعة طرود . أحدها عبارة عن علبة حلوى بداخل بعضها مبلغ مائة جنيه والأخرى عبارة عن بطة من الخشب بداخلها مائة جنيه أخرى والبوم صور بداخل غلافه مبلغ مائة جنيه ثالثة ورباط عنق ومعه زجاجة حبر سرى . كما وأن خطاباته كانت ترسل بالحبر السرى وفيها الردود على استفساراتهم ولكنها كانت تعد بمعرفة المخابرات العامة كل ذلك تم قبل القبض على الهولندى كما وأن ن. فى الوقت عينه أرسل لهم بموافقة إدارة المخابرات أشياء تحوى معلومات تافهة وهى عبارة عن زوج حذاء نسائى وضع بعلبته صورا سلبية للميناء الشرقية بالاسكندرية والبوم خبا بغلافه بعض الصور السلبية لبواخر تجارية وقطع بحرية وحذاء آخر أخفى به صور استعراض القوات المسلحة فى ٧/٢٣ سنة ١٩٥٩ . وإنما كانت الصور تؤخذ على البعد بما لا يفيد شيئاً ومبخرة من من النحاس بغلافها صور بعض المراكب التجارية وقاموس إيتالى عربى أخفى بغلافه صور بعض القطع الحربية البحرية وحذاء طفلة والبوم فرعونى

أخفى به صور بعض المراكب الحربية أيضاً . وكان ن. يرسل رسائله على العنوان الذى أبلغته إياه المنظمة أو المخابرات الإسرائيلية بروما . وكانت تصله خطاباتهم فى الإسكندرية على عنوانه الذى سلمه لهم . وقد أرسلوا لهم آخر خطاباتهم بتاريخ ١٩٥٩/١٢/١٥ بعد إلحاحه عليهم فى إرسال النقود . لأن المخابرات حرصت على معرفة العملاء الآخرين وأبلغوه فيه أنه سيصله عن قريب مبلغ ٣٠٠ جنيه عبارة عن مرتب شهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٥٩ ونفقات سفره إلى روما . حيث طلب منه السفر هناك للاقامة ثلاثة شهور أخرى ليتدرب فيها على الأعمال الجديدة وقد كان نتيجة لهذه الخطة الموضوعة باستمرار الاتصال بالمخابرات الأسرائيلية أن وصل الهولندى الخطابان رقم ٦ و ٧ المؤرخان ١٦ / ١٢ / ١٩٥٩ و ١٧ / ١٢ / ١٩٥٩ يطلبون منه فيه أن يدفع إلى ن. هذا مبلغ ثلاثمائة جنيه بصندوق البريد أمام منزله .

الوصول إلى معرفة الجاسوس الايتالى الأول :

وحدث فى ١٩٥٩/١١/٣٠ أن أرسلوا للهولندى خطابين وصلا بتاريخ ١٩٥٩/١٢/٣ احدهما به تعليمات عن ضرورة ذهابه للقاهرة للتعرف على الايتالى. والاتصال به ومعرفة لماذا لم يكتب لهم منذ مايو سنة ١٩٥٩ وأن يبلغه تحيات جيوفانى وفى هذا الخطاب تعليمات سرية خاصة بطريقة المحادثة واقفال السماعة إذا حصل شك وأن تكون من مكان عام وباللغة الانجليزية وإن كان نقل عليه التعرف على عنوانه الجديد . ولم يذكر فى هذا الخطاب اسم X أى المجهول هذا . ثم ورد خطاب آخر به اسم الايتالى بفندق لونشان بالقاهرة وأنه يعمل كمستخدم بالاستقبال وهذه الطريقة تتبع عادة حتى لا يمكن تسرب اسم الشخص من أول مرة إذا ما وقع الخطاب الأول فى يد الغير والثانى يحمل الاسم فقط دون أى معلومات أو تفصيل حتى لايدل الاسم وحده على شئ

وهكذا من هذه المراسلات والخطابات عرف أمر الايتالى وتبين أنه شاب ولد بمصر من أبوين ايتاليين واتصل بالجاسوس الايتالى الآخر إذ أنه كان صديقا للاسرة ويتردد على فندق والده بالاسكندرية . وكان هذا قد اتم دراسته الابتدائية وكان يهوى السياحة والارتحال وعمل أخيرا بفندق بالقاهرة ثم سافر لايتاليا للعمل هناك — وهناك استغلته مخابرات اسرائيل ليتجسس لها عما يهمها معرفته فى حدود إمكانياته وفى نطاق عمله فهو بصفته موظفا بالفنادق يمكن أن يكون عينا لهم لوافاتهم باسماء الأشخاص الذين يهمهم معرفة وجودهم فى البلاد ومايزاولونه من أعمال تتصل بنشاط الدولة وخاصة النشاط العسكرى ومنهم الخبراء الأجانب من الروس على وجه خاص وهم الذين تستعين بهم القوات المسلحة وغير ذلك وقد عمل حسبما طلب منه حتى تكشف أمره للمخابرات منذ يوليو سنة ١٩٥٩ ثم تأيد قيامه بالتجسس فيما ورد للهولاندى كما تقدم من أخباره عنه ومن إعطائه بعض النقود على النحو الذى يلى تفصيله وحدث بعد أن وردت الرسالة المكتوبة بالحبر السرى فى ٣ / ١٢ / ١٩٥٩ إلى الهولندى للاتصال بالايتالى بالتليفون رقم ٨٠٢٣١١ أن اتصل فعلا باشراف المحقق بالرقم المطلوب وسال عنه واتضح أن الرقم هو رقم فندق لونشان وعلم أنه ترك عمله بهذا الفندق منذ ستة شهور وأنه يقيم بالاسكندرية وضبط هناك وضبطت لديه الأحبار السرية والمظهرات والأوراق .

واعترف الايتالى بما نسب إليه كله وقرر أنه سافر إلى ايتاليا من جنيف عام ١٩٥٧ بتأشيرة سياحية قاصدا البحث عن عمل هناك لما تبين من كساد فى مصر بالنسبة له ولأمثاله بعد الاعتداء الثلاثى وبعد فترة عمل بفندق مارينى بروما إذ أنه ولو أنه مولود بمصر إلا أنه يجيد الايتالية وكان عمله لمدة أربعة

شهور بعقد ينتهى فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ وذات مرة اتصل به الايتالى الآخر وتحدث إليه تليفونيا وضرب له موعدا يلقاه فيه وقابله بميدان كولونا وافهمه أنه كما يعلم بمثابة أخ أكبر له إذ كان يعرف والده ويقيم لديهم ويتصل بهم عائليا أثناء إقامته وعمله بمصر وأخبره أن لديه عملا يرغب إلحاقه به ويعتبر ذلك منه هدية له لما سيدره عليه من مال وفير دون أية مسئولية . فلما استجلاه كنه هذا العمل أنبأه أنه سيكون عميل فى منظمة تناهض الشيوعية . وعندما طلب منه ايضاح مأموريته أخبره أن شخصا آخر سيقابله ليشرح له طبيعة هذا العمل . وبعد زهاء ثمانية أيام تقدم له فى عمله شخص اسمه « جيوفانى » وصفه بأنه طويل القامة فى منتصف العقد الرابع ويتكلم الايتالية بلهجة ألمانية كما يتكلم الانجليزية ولقيه فى مكان انفرد به فيه وابلغه بأنه قد وفد اليه من قبل صديقه الايتالى الذى رشحه وعرض عليه العمل الموعود به دون أن يوضح له حقيقة أمره ثم انصرفا على أن يتقابلا فى اليوم التالى ولما كان الغد وتم اللقاء بينهما أبلغه أنه سيتصل به فى نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩٥٧ قبل عودته لمصر لشرح المأمورية التى سيكلف بها والتى تدر عليه المال وفهم من حديثه أنه يعلم كل تفاصيل حياته وعمله وقبل مغادرته لايتاليا وانتهاء عمله بالفندق وعلى التحديد يوم ١٩٥٧/١٢/٢٢ حضر له وطلب منه الانتقال إلى فندق آخر بعيد حدده له روما ليكونا فى مأمن من العيون وهناك أفهمه على حد قوله أنهم يعملون فى منظمة ضد الشيوعية وهى منظمة سرية وأنه رشح للانضمام لهامقابل ستين جنيها شهريا فلما وافق على ذلك أفهمه أنه سيدربه على طريقة العمل والتراسل الذى سيكون بحبر سرى لايظهر وافهمه كيفية الكتابة به وطريقته وكيفية استظهار هذه الكتابة .

وبمثل الشرح الذى قدمناه . أفهمه كيفية التراسل وتغير الأسماء وأنهم سيطلبون منه معرفة بعض أشياء وسيسألونه عنها وعليه أن يتحرى أمرها ويجيبهم عليها . وبدأ بعد ذلك تدريبه بالفندق بطريقة سرية . ولما انتهت فترة تدريبه فى بضعة أيام سلمه زجاجة الحبر السرى وأخرى بها للظهر وأفهمه كيفها كما سلمه باقى أدوات التراسل السرى من بلوكنوت وغيرها واتفق معه على أن يودع حسابه فى البنك الوطنى التجارى بروما وأن أجره سيكون مائة ألف ليره شهريا ثم سلم له كذلك تذكرة سفر للاسكندرية وأعطاه عنوان التراسل لإخطاره بمجرد وصوله ومعرفة محل إقامته بمصر كما سلمه خمسين ألف ليرة كمصاريف شخصية له . ولما عاد للاسكندرية واستقر به المقام أخيراً بفندق لونشان بالقاهرة أرسل هو إلى المنظمة بأول خطاب سرى على العنوان الذى أعطى له يبلغهم فيه بمحل إقامته وعمله ووصله الرد منهم بعد أسبوعين تقريباً ثم استمر بعد ذلك فى التراسل وتبادل الرسائل السرية معهم وقد طلبوا منه فى خطاباتهم التى أجملها أن يبلغهم بأسماء الخبراء الروس الذين يلحقون بالقوات المصرية والذين ينزلون بفندق لونشان وجنسياتهم والأعمال التى يقومون بها وأسباب قدومهم للبلاد والأماكن التى يذهبون إليها والتى يقضون أوقاتهم فيها وأنه أبلغهم كذلك بأسماء هؤلاء النزلاء بعد التحرى عنهم منهم ومن غيرهم ومن دفاتر الفندق وأنهم خبراء من الطيارين الذين قدموا لتدريب المصريين على طائرات حربية عينها لهم . كما عين لهم مكان التدريبات وأن بعض الخبراء يقومون بتدريب المصريين على الأسلحة الحربيّة المضادة للطائرات التى استوردتها القوات المسلحة العربية . وطلبوا منه أيضاً فيما طلبوه توضيح الحالة الإقتصادية فى البلاد وتعليقات الناس وموافاتهم بأسماء الأشخاص الذين يعرفهم من ذوى المراكز وعملهم فابلغهم بأن صاحبة الفندق على علاقة طيبة بمجموعة من موظفى

السفارة الروسية وبعض الشخصيات المصرية . وأخطروه بعد ذلك أيضاً أنهم أودعوا لحسابه بالبنك أجره عن عمله بالمنظمة إبتداء من أول يناير سنة ١٩٥٨ وطلبوا منه كذلك إبلاغهم بالمعلومات التى يمكنه أن يتوصل إليها عن المطارات بالبلاد وخاصة المطارات السرية الموجودة بها وعن الأسرار العسكرية والتعليمات الحربية وأماكن المصانع الحربية ومصانع الذخيرة وأسماء الأشخاص الذين يمكن تجنيدهم بالمنظمة من مدينتى الإسكندرية وبورسعيد وبالمعلومات التفصيلية عنهم. وأقر بأنه أبلغهم ببعض المعلومات عن مطار سرى بالقرب من الطريق الصحراوى الموصل بين القاهرة والاسكندرية إذ كان قد لاحظ عند سفره وجوده ووجود القوات بالقرب منه وأبلغهم عن مطار الماظه الحربى ومطار الأقصر الحربى وقرر أنه استقى هذه المعلومات خلال أحاديثه العابرة مع نزلاء الفندق .

وحدث فى يوليو سنة ١٩٥٩ أن وصلته برقية بتوقيع جيوفانى يستعلم فيها عن السبب فى إنقطاع رسائله · لأنه يريد أن يطمئن عليه وعما إذا كان قد كشف أمره وهذه من وسائل الأمن التى يتبعونها ولكنه على حد قوله لم يرد عليهم. إلا أنه قرر صراحة أنه فهم إبتداء من حديث جيوفانى معه ومن الرسائل التى وردت وما بها من أسئلة أن هذه المنظمة تعمل ضد مصلحة البلاد بطرق غير مشروعة وتتجسس لصالح دولة أجنبية وأنه لم يدفعه للانضمام إليها سوى رغبته فى الحصول على المال الذى كانوا يدفعونه له كأجر على عمله ، ثم أقر بعد ذلك فى اجاباته أنه بعد تبادل الرسائل السرية فهم أن المنظمة تسعى للقيام بأعمال عدائية ضد مصر لأنها تحاول أن تكشف الأسرار العسكرية وحبه للمال هو الذى دعاه للانزلاق فى التجسس .

الايتالى الثانى : —

أما الجاسوس الايتالى الآخر فقد اتضح أنه بحرى وجندى قديم كان فى فرقة الفدائيين البحرية وباشر أعمال التخريب ابان الحرب الماضية كما قرر وقد سبق أن أقام بمصر السنين الطوال مستترا تحت مظهر عمله الرسمى كخبير بحرى وكان فى متناول سمعه وبصره جميع المعلومات الخاصة بالقوات البحرية يعبث بها ويذيعها كيف شاء وأينما شاء وهو الذى خان الأمانة للبلد التى امتدت إليه يدها بالاحسان والحسنى . وتبين أنه مدرب الايتالى السابق إذ ورد اسمه على لسانه .

وهو مسيحى الديانة أربى على الأربعين خبير فى الغوص فى أعماق البحار وأقام أخيرا بمدينة جاليبولى بايتاليا وأنه سبق أن عمل بالقوات البحرية أثناء الحرب الفلسطينيه عام ٤٨ — ٤٩ ثم غادر البلاد إلى أن جاء ثانية يوم ١٦ / ٢ /١٩٥٠ وقام ببعض الاتصالات ثم عمل بالقوات البحرية من ١٦ / ٤ / ٥٤ كمدرب للضفادع البشرية حيث ثبت عدم صلاحيته وذلك لأنه حدث أثناء هذه المدة حوالى شهر أبريل سنة ٥٤ أن استصدرت القوات البحرية أمرا بتفتيش منزله ووجدت لديه مذكرات يومية عن تدريب الضفادع البشرية مكتوبة من صورتين وكان ذلك سببا فى انهاء عقده أولا ومغادرته البلاد وسافر بعدها سنة ١٩٥٤ إلى ليبيا ومن هناك أراد العودة بعد مدة إلى مصر مرة ثانية فقدم طلبا لمصلحة أخرى هى مصلحة الموانى والمنائر دون البحرية وبعد اتخاذ الإجراءات عين وعمل بها من ١٨ /٨ / ١٩٥٦ إلى ١٧ / ٧ / ١٩٥٧ وظهر بعدها حادث جديد وقع منه كان السبب فى انهاء

عقده ثانية والشك فيه إذ أنه بعد عودة المقدم ح . ط قائد المركب إبراهيم من الأسر باسرائيل أبدى للمسئولين أنهم عرضوا عليه فيما قدمه من معلومات صورة قائد الضفادع البشرية وآخرين من الضباط ولما سئل الأخير تذكر الأمر بأنه أخذت له صورتان فى ايتاليا بملابس البحر احداهما بآلة تصوير خاصة به ليحتفظ بها والأخرى بمعرفة الجاسوس الايطالى أثناء وجوده مع آخرين من زملائه فى بعثه بإيتاليا والذى أهـــداه نسخة منها كتذكار ولما عرضت هذه النسخة على المقدم ط . بعد عودته من إسرائيل أورى بأنها هى نفس الصورة التى رآها هناك مما قطع فى أن مرسلها لإسرائيل هو الايتــالى المذكور ولأسباب خاصة لم يتخذ معه اجراء ما سوى الأمر بانهاء عقده مع مصلحة الموانى وتم ترحيله ووضعه فى قوائم الممنوعين من الدخول فغادر مصر فى ١٩٥٧/٩/٢٨ ومع كل ذلك ومع وضعه على قوائم الممنوعين فإنه عاد إلى البلاد ثانية باسم العائلة المخالف لاسمه وذلك حتى لا يكشف أمره ولما عرفت المخابرات الحربية بوجوده رحل ثانية فى ١٩٥٩/٣/٢٤ ثم كان أن حضر فى المرة الأخيرة يوم ١٩٦٠/١/١٦ دون علم منه بما يجرى فوصل إلى بورسعيد حيث ضبط وحقق معه .

وتبين أن هذا الجاسوس فى أغسطس سنة ١٩٥٦ كان قد أبدى رغبته فى أن يعاون البحرية بأى مجهود يطلب منه خاصا بمشكلة القناة وبأنه على استعداد للقيام بأى عمل هناك فى القناة وذلك قبل العدوان الثلاثى الغاشم الذى وقع على البلاد فى أكتوبر سنة ٩٥٦ — وأن المذكور اعتمد فى ذلك على أنه قام باستعراضات خاصه أمام بعض القادة تثبت كفايته فى الغطس وعلم منه أنه عمل بمصلحة الموانى كذلك كمدرب لأفراد من مصلحة الفنارات ولبعض

الـكشافة البحرية على أعمال فرقة الضفادع البشرية التى كان قد بدىء فى تكوينها ولـكنه نظرا لما يعلم عنه من أنه شخص ملتو فى تصرفاته وبأن له اتصالات مريبة بدول مختلفة ممـا جعل البحرية الايتالية نفسها تمتنع عن استخدامه وتستبعده نهائيا وبالرغم من أنه منع من الدخول إلى مقر القوات البحرية فقد استمر فى الاتصال التليفونى محاولا العمل بالبحرية مرة أخرى .

ورأى قائد الضفادع البشرية أن فى وجود مثل هذا الأجنبى وجعله مسئولا عن تدريب أفراد القوات البحرية على أعمال الضفادع ما يسهل له بالنسبة لطبيعة عمله اثناء التواجد بمنطقة الميناء ومعه أدوات الغطس القيام بأى أعمال مضره أو بأعمال التخريب بالميناء أو السفن الحربية وغيرها أو الاستطلاع الفنى للاسرار لأن عمله سيبيح له التنقل داخل الميناء بغير مراقب ولا محاسب ورأى ابعاده هو وغيره من الأجانب الذين يعتبرون خطراً على أمن القوات المسلحة المصرية لأنه من المشكوك فى تصرفاتهم وكان هذا هو السبب فى الغاء عقده وترحيله .

لم يكتف الايتالى المذكور بذلك وهو المـكلف بأعمال التجسس على الأعمال البحرية وهو الذى أراد حتى قبل العدوان أن يشترك مع القوات البحرية ليـكون قريباً من المواقع — التى تفيد العدو — بل عاد للبلاد كما تقدم يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٧ بدعوى « السياحة » ثم غادرها ثم عاد مرة أخرى فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥٨ بدعوى العمل مع إحدى الشركات لانتشال السفن الغارقة كل ذلك لـكى يتمكن من القيام بأعمال التجسس .

وكان الايتالى من أهم العملاء لمخابرات إسرائيل وكلف بترشيح غيره فرشح الايتالى السابق وعضده وشجعه على العمل ليـكون بديلا له فى مصر بعد

رحيله عنها الأمر الذى أقر به بعدها وبعد مواجهته بتلميذه بأنه فعلا قد تقابل في إيتاليا مع المدعو جيوفاني الذى طلب إليه التجسس على مصر وعلى الشيوعيين فيها وأنه كلما سافر كان يقابل مندوبي المنظمة واتفق معهم على العمل والتخابر وأنه أبلغهم بكل المعلومات التى يعلمها عن القوات البحرية وعددها وعتادها وأنواعها وخاصة عن مدرسة الضفادع البشرية التى عمل بها وعن عددهم وجهات تمرينهم وعدد الغواصات وحمولتها وأنواعها . وأنه كتب لمندوبي المنظمة بيانا بما يريدون كل ذلك بعد أن أخرج من مصر وأنه قابل مندوب المنظمة أيضا في بحر شهرى أبريل ومايو سنة ١٩٥٩ — وأفهمه أنه لم يعد يعمل في مصر لأنهم رحلوه منها فسر من ذلك وأخبره أنه إذن يستطيع أن يعمل معهم بحرية فأخبره باستعداده على أن يذكر له كل ما يعرفه عن الأشياء الخاصة بالسلاح البحرى والتى علمها أثناء وجوده بمصر وفعلا أخرج المندوب ورقة وكتب فيها كل المعلومات التى أعطاها له وذكر له فيما ذكر عدد الضفادع البشرية وأنواعهم وعدد الغواصات وبعض القطع البحرية وعددها له وأن المندوب وعده أن يرسل لرئاسته بهذه المعلومات ليتحرى أمر صحتها وأنه سيرسل له بعد ذلك ألف دولار ، وأنه استشار شخصا اسمه « دى بورجيزا » كان رئيسا له في الجيش أثناء الحرب العالمية وأخبره عما حصل فنصحه دى بورجيزا هذا بأن يعطى المعلومات التى يعرفها مقابل المبلغ الموعود به فعمل مذكره مفصلة وكتب بها كل ماشاهده بميناء الاسكندرية من زوارق التوربيد وأنواعها وماركاتها وما بها من مدافع والانجليزى منها والروسى والغواصات والضفادع البشرية وعن الضباط الذين يعملون بمدرسة الضفادع وذكر له أنه يعرف قائدهم القديم . وقد أيد هذا ما سبق ذكره من أنه هو الذى أرسل صور رجال الضفادع البشريه وصورة رئيسهم عند وجودهم

فى إيتاليا للتمرين بما يدل فى الوقت نفسه على اهتمام رجال مخابرات إسرائيل بمعرفة كل شيء لأهمية ذلك بالنسبة لهم وبالنسبة للتعرف على هؤلاء الضباط ولذا أرادوا أن يتأكدوا من هذا الأمر فعرضوا الصور على الضابط الأسير بما يقطع فى أن الايتالى كان يقوم بالتجسس منذ مدة طويلة وأنه حرص هو ومن أرسلوه واستخدموه على العمل دائما بمصر والعودة إليها بكل الطرق والوسائل مستخدما أسبابا وهمية ولكنها كانت تكفى مبررا لاعطائه تأشيرة الدخول. فلما وضع اسمه على قائمة الممنوعين تلاعب وذكر اسم الأسرة بدل اسمه الأول حتى إذا بحث عنه فى الحروف الأولى لم يوجد وكان هذا ما حصل فعلا. وهكذا تبين لمحكمة أمن الدولة العليا الخاصة فى قضية الخلية الأولى وغيرها من الخلايا أن حرب الجاسوسية هى إحدى المعارك المستمرة مع العدو وهى أخطر ما تواجه به الحكومات لأنها معركة ليست مكشوفة وإنما هى معركة غدر وخيانة تعتمد على التسلل تحت الظروف العادية داخل الدولة ولا شك أن جميع المعلومات التى أبداها الجواسيس يستفيد منها العدو فى اعتدائه لأنها أسرار تؤدى إلى خسائر لا تعوض إذا ما أفلح العدو فى استغلالها وفيها ما يترتب عليه الاضرار الكبرى بأمن الدولة الحربى وسلامتها وقد رأت المحكمة أن الجواسيس الثلاثة قد ارتكبوا الجرائم الخطيرة المسندة إليهم من الاشتراك فى الاتفاق الاجرامى مع مندوبى المنظمة الاسرائيلية مقابل الرشوة التى تقاضوها وتخابروا مع الاعداء وأذاعوا الأسرار ورشحوا بعضهم. تلك الأسرار الخاصة بالدفاع عن البلاد وقد حكمت بعقابهم جميعا بالاشغال الشاقة ولكنها وهى بسبيل توقيع العقاب عليهم رأت القسط فيها وقدرت ما ارتكبه كل منهم ووضعت له جزاءه العادل.

الخلية الثانية :

مساعد الطيار المدنى ف . م.

اتضح من محاكمته أنه على اتصال سرى باحدى الهيئات الأجنبية (إسرائيل) بغرض التجسس نظير أجر يدفع إليه ووضع تحت المراقبة وضبطت بعض خطاباته التى تبين منها أنها تودع نقودا لحسابه فى ميونخ مقابل مد المنظمة بالمعلومات العسكرية . وتبين أن المعلومات التى أرسلها تتعلق بالمطارات والطائرات الحربية وأنواعها وما يتصل بمطارى الساطة وانشاص وأنواع الطائرات التى بالمطارات وكيفية حراستها وما يجرى فيها من تدريب الطيارين على الطائرات النفاثة الروسية من الميج والأليوشن وتحديد مواضع مطارات أخرى كالدفرسوار وأن مطارا آخر قد أصلح وأنشئ حوله ممر جديد للطائرات النفاثة وأنه أنشئ كذلك بالاقليم الشمالى مطار ببلدة أخرى — وكلها معلومات أفادت العدو — وقد ضبط بمنزله أوراق فيها بيانات بملخص ما كتب وبها عبارات رمزية وكلها تنصب على استعدادات القوات الجوية مما يعد من أسرار الدفاع .

كما ضبطت لديه أيضا زجاجات الحبر السرى ومسودات الخطابات وتقارير سرية أخرى وقد أقر بأنه حاول الخروج من مصر والالتحاق بالطيران الأمريكى والزوج من أجنبية والتجنس بالجنسية الأمريكية وقد أهدته المنظمة سيارة مكافأة لنشاطه وأودعت النقود لحسابه بسويسرا وبيروت .

وقد ادعى ف . م . الجنون وقال الدفاع عنه أنه غير مسئول وسار التحقيق شوطا طويلا فى ذلك إلا أن تصرفاته قطعت فى سلامة عقله من كل عاهة ، فقد كان يعبر عن الطائرات بالسيارات وعن الطيارين بالفتيات الراقصات وأرسل فيما أرسل خطابا لخطيبته السويسرية — ضبط أيضا — حذرها فيه من ذكر شئ عن حقيقة السيارة التى أهديت له من المنظمة واتصل فيما اتصل بقنصلية اسرائيل عندما كان بالخارج وحذر خطيبته من أن تذكر شيئا لأحد لأن ذلك قد يقوده للاعدام . ودلت أقواله كلها ودفاعه بأنه كان يقدر فعله وخطورة عمله ووخيم عاقبته مما لا يصدر إلا من شخص سليم العقل كامل الادراك والاختيار . وقد بدأت قصته منذ سنة ١٩٥٧ عندما لاحظت المخابرات كثرة اتصاله بأحد أعوان إسرائيل أثناء رحلاته فى السودان والحبشة وتمكنت من كشف النقاب عن نشاطه الضار .

ولم تر المحكمة أن انحرافه فى مستهل شبابه قد يكون عذرا له لأن المنحرفين لاقيمة لهم فى الحياة ولاوزن ولأن الجماعة والدولة أولى بحماية القانون وتجنيبها الضرر والسوء . ولأنه ثبتت خيانته لوطنه وأهله وأفشى من الأسرار الحربية بعد اتفاقه الإجرامى مقابل الرشوة التى كان يتقاضاها تلك الأسرار التى تؤدى بسلامة بلاده وتضرها ضررا كبيرا يصيب المواطنين وبالأخص زملاءه فى السلاح فقد أخذته المحكمة بما يستحقه من القصاص العادل .

* * *

الخلية الثالثة :

الجاسوس — س. م.

حوكم فى هذه الخلية الجاسوس س م. وأصحابه ممن أغراهم وهو من ثبت أنه خدم المنظمة الإسرائيلية بإخلاص والذى أصبح عميلا لها والذى كثرت تنقلاته وتحركاته لهذا الغرض فسافر إلى ليبيا وروما مرارآً وإلى دمشق وغيرها والتى كلف بأن يستقر بها . ولم يقتصر أمره على تنفيذ الاتفاق الإجرامى الذى اشترك فيه بل تدرب على استعمال الوسائل السرية فى التجسس وقد أقر بنفسه بالتراسل مع المنظمة وعوالاتها بالأخبار السرية وتم استدراجه لبعض رجال السلاح الجوى المصرى الذين أوفدوا فى مهمة لسوريا قبل الوحدة وبعدها وجند واحداً منهم هو م . ت . للعمل فأفشى بدوره الكثير من أسرار الدفاع عن الطائرين والمطارات والطيارات . وقد أقسم دائماً على أنه صادق فيما يقول وتبين أنه المصرى الوحيد الذى تسلم جهاز الإرسال والاستقبال والذى قام برحلات كثيرة للتجسس فى الإقليم السورى وروما والإقليم المصرى وإتضح أنه كان يتعمد انتظار عساكر الطيران بسيارته بالقرب من مقار عملهم ثم يوصلهم ويقيم علاقات وصداقات مع بعضهم ليصل إلى ما يريد معرفته وليخون بلاده وليوقع ببعض حسنى النية وتمكن من إغراء زميله بالخمر والنساء حتى استدرجه وقذف به إلى الخيانة .

وقد أحضر س . م . معه تعاليم التراسل بالشفرة وكتاب التراسل «ذهب مع الريح» واللاسلكى وأدوات الإرسال والاستقبال على أن يكون الإرسال يوميا زمن السلم وفى حالة الحرب والطوارىء يكون كل ساعة . وزود بكل ما يحتاجه لذلك كما حدث تماما مع الجاسوس الهولندى م . ج . وضبطت لديه آلات التصوير وجهازات الإرسال والكريستالات وكان بعضها مخفى فى أنابيب معجون الأسنان وتبين أنه أرسل واحداً وعشرين تقريراً حوت الكثير من أسرار الدفاع كما ثبت أنه رجل أغواه الجشع وأعماه بريق المال فباع نفسه للشيطان ولهذا حكم عليه بالقصاص وحكم على زميله بالمؤبد وعلى الباقين بالسجن .

* * *

الخلية الرابعة :

مدير مستخدمي فورد ر . ر . والطبيب الألماني ك .

حوكم كلاهما مع آخرين وتبين أن ثانيهما جند الأول للتخابر والتجسس وعرفه بجلازر زعيم المنظمة الإسرائيلية في زيورخ ودرب بروما وغيرها على التصوير والأحبار السرية واتفق على إفشاء الأسرار العسكرية والاقتصادية وكتب كما أقر سبعة وعشرين تقريراً ضمنها الكثير من المعلومات وتلقى خمسة وعشرين خطابا من المنظمة وكانت كلها تدور حول أسرار الدفاع وعن حركة الأقطان والمنسوجات والغزل والحالة الاقتصادية وتحركات الجيش وحركة الملاحة في الاسكندرية والسفن والأسطول وكان اسمه في التنظيم « بوستون » وضبطت لديه أحبار سرية وتقارير مكتوبة بها . وعلم هو وزميله بقصة الانقلاب الذى كان يراد عمله بمصر وباتصال بعض النبلاء المطرودين بزعماء إسرائيل ولم يخبرا بأمره مع أهميته . ولما كان هو من أخطر الجواسيس الذين أساءوا للبلاد فقد كان جزاؤه القصاص .

أما زميله الطبيب فقد كان دوره ترشيح العملاء لخدمة اسرائيل وكان هو مستشارهم الفني في مصر وقد اساء للبلد التي آوته واحسنت إليه فكان جزاؤه السجن عشر سنوات .

* * *

الحلقة الخامسة :

النائب السابق ا . ر .

بدأت اتصالاته بالخارج عن يدعى بران وصديقه المسمى واردن عميل إسرائيل ولصلته بالشركات والمسائل الاقتصادية بمصر استفادت منه المنظمة فيما بعثه لها من تقارير سرية عن الحالة الاقتصادية ومن استغلال بعض رؤوس الأموال فى مصر وعن الأحوال العسكرية والشئون السياسية والعلاقة بسوريا واليمن ورجال الجيش — ودرب طويلا على الأحبار السرية والتصوير والتحميض واظهار الكتابة السرية — وضبط لديه بمنزله وبمكتبه أدوات الحبر السرى وزجاجاته والمظهر له وبعض الخطابات المكتوبة بالحبر السرى وحساباته والنقود التى دفعت باسمه فى بنوك سويسرا وكان اسمه الحركى « جبران » وثبتت عليه تهم الرشوة وافشاء الأسرار والتراسل والاتفاق الجنائى . وقضى عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات.

* * *

الخلية السادسة :

اليونانيين . ن . ك . ج . س

أولهما منسق الديكور ن . ك . الذى كان يعمل فى ميلانو واستغواه المال فانضم لمنظمة إسرائيل واتفق معهم على التراسل وجند لهم زميله ج . س . موظف جرونى ووافاها كلاهما بأسرار الدفاع نظير الرشوة التى تقاضياها واستعملا الأحبار السرية فى التراسل . وقررت المنظمة أهمية ثانيهما الذى يخدم فى المآدب والحفلات التى يحضرها كبار رجال الدولة والذى كان يسعى بأخبارهم إليها فضلا عن المسائل العسكرية الأخرى وأسرار الدفاع التى أفشياها . وقد أقرا بعملهما الإجرامى وثبت الإتهام ضدهما ولكن المحكمة رأفت بهما لأنهما أجنبيان وقضت عليهما بالسجن .

* * *

تلك هى بعض القضايا التى ما زال الرأى العام يذكرها — ذكرناها تذكيرا وعبرة ولعلنا أيضا أن ذكرنا بعض القضايا الأخرى التى وقعت فى الخارج قبل الحرب وبعده نكون قد وفينا الموضوع حقه . وقد استقيناها من بعض ما كتب عنها أو حولها .

وإلى القارىء نبذات من بعضها وهى تدل على الجهود المضنية التى تبذل من الجانبين للتجسس والجاسوسية المضادة فى ألمانيا وفرنسا وفى انجلترا وأمريكا . وروسيا واليابان وغيرها .

* * *

القضايا المماثلة فى البلاد الأجنبية

الجاسوس اليابانى :

هى قصة مثيرة لجاسوس يابانى لا أريد أن أنقلها لك وإنما ألخص الموعظة منها .

باع جاسوس يابانى نفسه فى ساعة ضعف للروس أعداء بلاده فى الحرب الأولى بينها - ثم أرقه الندم وأنهكه وخز الضمير فذهب من تلقاء نفسه إلى قيادة الجيش اليابانى وأعترف بجريمته . وطلب أن يكفر عنها فطلبت إليه قيادة الجيش ومخابراته أن يظل على إتصاله بالروس ليدس إليهم بخطة ملفقة لعملية حربية حاسمة .

وامتثل الجاسوس التائب ولكى يقنع الأعداء بخطورة موقفه - إنتحر أثر تسليمه الخطة الملفقة خوفا من القيادة اليابانيه التى سيجن جنونها بانكشاف خطتها . فلا يقر لها قرار حتى تهتدى إلى الجاسوس الذى نقلها للأعداء .

وإنطلت الحيلة على الروس وأقاموا خطتهم على حساب الخدعة الملفقة وتم النصر لليابان بفضل ذلك الجاسوس الذى لم يكتف بالتوبة بل دفع حياته تكفيراً عن إثم مضى .

قضية ماتاهارى : -

لم تخل الحرب العالمية الأولى من محاكمات للجاسوسية كان أشهرها محاكمة « ماتاهارى » الحسناء التى حكمت محكمة فرنسية عليها بالإعدام والتى يذكرها الناس جميعا كلما ذكرت الجاسوسيه وقد نفذ الحكم فيها رميا بالرصاص .

وقد ثبت من محاكمتها أنها سبق أن جندت بوساطة جاسوس ألمانى اسمه «وولتر ويلهلم كاناريس» الذى أصبح فيها بعد أميرالا فى الأسطول الألمانى وقد اشتغل كاناريس أيضا أثناء الحرب العالمية الأولى تحت امرة الكولونيل «نيكولاى» رئيس الخدمة السرية فى القيادة الألمانية العليا . وعين بعده رئيساً لها عندما عين نيكولاى فى رئاسة المخابرات العسكرية .

وعمل كاناريس ونيكولاى فى تعاون تام ومع ذلك فقد أمكن أيضا فى الوقت نفسه للمخابرات الروسية التسلل والحصول على سر قوارب الطوربيد الألمانية بواسطة بعض الشيوعيين الألمان وكل ذلك مع حيطة وتحفظ كل طرف لأنها حرب مستمرة دائماً .

وكم لقى بعض الجواسيس حتفهم أثناء عملهم أو أثناء مطاردتهم فلقد سجل التاريخ الكثير من الأسماء للذين وهبوا أنفسهم لتحقيق أهدافهم نحو خدمة بلادهم أيضا من جانب أو آخر ويوجد حتى اليوم فى كنيسة «وستمنستر أبى» بلندن قبر لجاسوس انجليزى اسمه «جون اندرى» كان قد ضبطه الأمريكيون أثناء حرب الاستقلال وأعدموه بحكم صدر من محكمة أمريكية عينها الرئيس جورج واشنجتن إذ ذاك .

وفى الوقت نفسه أثناء حرب الاستقلال فى أمريكا حكمت محكمة انجليزية بالإعدام أيضاً على ضابط أمريكى هو الكابتن «ناتان هل» وأعدم شنقا لا رمياً بالرصاص لأن المحكمة لم تعترف برتبته العسكرية !

ريتشارد سوج الروسى :

وحدث أيضا فى الحرب العالمية الثانية أن كانت هناك حلقة سوفيتية يرأسها ريتشارد سوج فى اليابان تتكون من حوالى خمسين شخصاً منهم.

بعض المواطنين من اليابانيين ومن بينهم صحفيون ورجال أبحاث وموظفون كبار وكانت أخبارهم تنقل للمكتب الرابع السوفيتى .

وسار سوج شوطاً بعيداً فى نشاطه كجاسوس وكان يتستر وراء عمله كصحفى وكان حريصا على إبعاد الشكوك عن نفسه . ونفذ سوج التعليمات التى جاءته من موسكو بأن لا يتصل بالشيوعيين من اليابانيين . إلا أن أحدهم وهو « ايتوريتسو » وكان شيوعياً يابانيا شك فى هذه الشبكة للجاسوسية وشك فى سيدة يعرفها تعمل معهم وهى « توموكيتا باياشيا » وأبدى شكه للسلطات اليابانية التى أغارت على من تشك فيهم وقبض على « توموكيتا » التى كانت حائكة ثياب تتسقط الأخبار من النسوة وتنقلها إلى وسيط آخر اسمه « توتومياجا » كان يعمل مصوراً واعترفت « توموكيتا » بمن يتصلون بها ومنهم « هوزميمى أوزاكا » الذى اعترف بدوره على « سوج » وعلى زميله « كلوزن » وتم القبض على الجميع وحوكموا ولم يعد لهذه الشبكة وجود بعد ذلك .

الجستابو الألمانى :

وقد بذلت بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية جهداً مماثلا لإنشاء حلقه فى داخل المانيا من العملاء المحليين يعملون فى مركز فى هولنده ولكن الحلقه لم تلبث أن كشفت فى نوفمبر سنة ٣٦ عند إقتياد رئيسها الإنجليزى واختطافه بواسطة الجستابو الألمانى وتم تدمير أفرادها بالإعتقال ثم الموت . وقد أمكن للجستابو كذلك القضاء على بعض العملاء السوفيتين فى المانيا إذ ذاك بنفس الطريقة .

وهكذا فإنه من الطبيعي أن تـكون لأشهر عمليات الجاسوسية نهايات غير سعيده إلا أن بعضها كلل بالنجاح دون أن يعرف العالم أمرها . وعلى كل فهي قصصي مثيره تهدف لغرض شريف لمصلحة البلاد التي ينتمي إليها الجاسوس الوطني لا المرتزق ولا الخائن .

ولهذا اعترف القانون الدولي بحق المحاربين للدول المحاربه في إستخدام الجواسيس للحصول على معلومات عن العدو على أن محاكمة الجاسوس أصلا لا تـكون لخرقه القانون الدولي وإنما لمحاولته الحصول على معلومات لها خطرها على أمن البلاد التي يعمل ضدها .

الفأر الأبيض :

وهناك قصة أخرى لا تقل طرافة عن هذه القصص جميعا وهي قصة الفأر الأبيض بوتوماس أحد العملاء الإنجليز الذين أشتهروا في الحرب الأخيرة بأعمالهم الفذة والذي قيل أنه كان الرسول الشخصي لتشرشل أثناء حركة المقاومة في فرنسا .

فإن هذا الجاسوس كما كُتِبَ عن مخاطراته قد قبض عليه الجستابو في باريس بعد أن قام بالاعاجيب عندما ذهب إلى مكان غير مأمون وكان ينتظر إتصالا هاما ثم أستجوب وعذب وقضى سنوات كثيره في معسكرات الإعتقال الألمانيه واجه فيها الرعب مجسما وكانت خاتمة أعماله إعدامه بالرصاص

وهكذا لم يعش الـكثير من الجواسيس ليقصوا قصصهم وإن كانوا قد عرفوا كيف يرسلون بمعلومات قيمه ولـكنهم لم يعودوا لأوطانهم ولقي بعضهم مصرعهم مبكرين . وإليك قصة أخرى تدل على سعة الحيلة ! !

« الجاسوس الألمانى والتفتيش على الحدود » .

وكان الحديث فى القطار مختلف الشجون بين المسافرين الذين يعبرون الحدود الفاصلة بين جنوب ألمانيا والإتحاد السويسرى ، أما « الهرشوابزر » وهو سويسرى الجنسية فقد كان عائداً إلى وطنه حيث يدير إحدى الشركات السويسرية التى تقوم بتنفيذ بعض الأعمال لحساب الحكومة الألمانية . ولقد إنتحى جانباً من العربة منطويا على نفسه وكان فى مواجهته بنفس المقصورة شابة وسيمة تركت جانبا المجلة التى كانت تتصفحها وأخذت تشاهد المناظر التى تتوالى عبر النافذه ثم إستدارت فالتقى نظرها بالهرشوابزر ووجهت إليه فى كثير من التردد هذا السؤال .

س : الإجراءات شديدة جداً . أليس كذلك ؟ منذ نشوب الحرب . ! إنى لم أعبر الحدود قبل الآن فى مثل هذا الوقت .

ج : أرجو أن تكون أوراقك مستوفاه يا آنسة ! إنهم يبالغون كثيراً فى إجراءات التفتيش .

س : نعم إنها مستوفاة إذ أنى أعتزم زيارة والدى الملحق السياسى بالسفارة فى مدينة برن .

ج : إذا فلا تنشغلى فعلى الرغم من الحرص الذى يبدونه فى تفتيش المسافرين عبر الحدود لم تعد سويسرا مركز الجاسوسية المختار كما كانت إبان الحرب السابقة فالجاسوس حتى إذا استطاع استقاء الأخبار التى تهمه فى سويسرا فليس من السهل عليه الخروج بها ، أتسمحين لى يا آنسة باستعارة مجلتك ؟

اطمأنت الشابة إلى حديث الهر (شوايزر) وبادرت إلى تلبية طلبه فسارع بدوره إلى إعطائها جريدة اليوم (فرنكفورت تسايتونج) التى كانت بيده وانهمك كل منهما فى القراءة بعد أن أضفى هذا الحديث الذى تتبعه باقى المسافرين بآذان صاغية شعوراً بالإطمئنان وعدم الإكتراث للهدوء الذى كان يبدو على محيا الهر (شوايزر) الذى اعتاد عبور هذه الحدود مراراً لمقتضيات عمله كما يقول .

ولما توقف القطار وبدأت إجراءات التفتيش على الحدود أبرز كل مسافر أوراقه وسرعان ما أنجز المفتش المختص فحص أوراق الشابة المسافرة حتى بدا أن سرعة استيفائه لذلك تُعزى إلى بيان تضمنه جواز سفرها يشير بأنها تمت إلى السلك السياسى بصلة ما .

وعندما حل دور الهر شوايزر استوقفه المفتش وفحص جواز سفره بامعان ثم استأذنه فى التوجه معه إلى كبير المفتشين الذى أبدى للهرشوايزر أنه قد نمى إليه أن جاسوسا يحمّله رسائل بدون علمه إذ لا يخفى أن كثيراً ما يقع اختيار أحد الجواسيس على شخص هام معروف وموضع ثقة يُحمله رسائل سرية يدسها فى حقائبه أو ملابسه دون علم منه .

وعلى الرغم من احتجاج الهر شوايزر بأنه باشر بنفسه ترتيب امتعته وحزم حقائبه فقد هاله اقدام رجال التفتيش على فحص حوائجه وملابسه بكل دقة وعناية حتى أنهم شطروا صابون الحلاقة إلى نصفين وانتزعوا من أحد أحذيته القديمة الرقعة المثبتة عليها لرتقها وذلك بحثا عن أية رسالة قد تكون مخبأة فيها .

أعتقد الهر شوايزر أن التفتيش أشرف على النهاية لـكنه سرعان ماانفجر ثائرا عندما طالبه رئيس مكتب التفتيش بتقديم جميع الأوراق التى فى حوزته لفحصها إذ لم يعد الأمر يقتصر على التثبت من عدم تحميل الهر شوايزر رسالة سرية بدون علمه بل تعداه إلى الاشتباه بأنه هو يقوم بأعمال التجسس بنفسه .

وبالفعل شرع ستة من رجال مكتب التفتيش مزودين بكافة الأدوات المستعملة للكشف عن أعمال التجسس فى فحص الأوراق الخاصة بالهر شوايزر فسكب أحدهم مادة مظهرة على كل ورقة من أوراقه للكشف عن استعمال الاحبار السرية وانكب آخر على فحص الأوراق فحصا ميكرسكوبيا بالمجهر واخذ ثالثهم فى كى كل ورق بمكواة ساخنة لاستظهار بعض المواد الكيميائيه التى تكشف عنها الحرارة العالية وانهمك الرابع فى تمرير كل ورقة تحت لوحة زجاجية مسلطا عليها مصباح للاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء ومستعينا بجهاز لضبط الاشعاع وتعتبر هذه الطريقة من احدث الوسائل المستعملة فى الكشف عن الاحبار الخفية غير الظاهرة .

وفى كثير من الحياء المقرون بالحزم طلب رئيس مكتب التفتيش من الهر شوايزر خلع ملابسه لاتمام الفحص إذ أن القطار مازال متوقفا حتى يتم التفتيش ويستأنف سيره عبر الحدود الإلمانيه السويسرية .

ازاء ذلك لم يجد الهر شوايزر رغم احتجاجه وتوعده مناصا من خلع ملابسه والاستسلام لإجراءات التفتيش الدقيق التى تناولت ما احتوته جيوبه من أوراق شخصية وغيرها وبعدئذ تقدم رجلان آخران من رجال مكتب التفتيش نحو المسافر وهو عار تماما واخذ أحدهم يمشط شعره لعله يجد شيئا

بين ثناياه ثم يفحص جسده كي يتثبت من عدم وجود نتوء أو شريط لاصق إذ كثيرا ما يلجأ الجواسيس إلى هذه الحيلة لإخفاء رسالة سرية بين شفرتى جرح مضمد بشريط طبي . أما الرجل الآخر فجعل يمر ببطء على بعد قليل من بشرة جسد الهر شوايزر بمصباح تنبعث منه حرارة شديدة فاحصا الجلد بكل عناية لاستظهار ما قد يكون عالقا به من مواد كيميائية مما يستعمل فى الكتابة على الجلد الآدمى والتى لا تظهر إلا تحت تأثير الحرارة .

ولما لم تجد جميع الوسائل التى استعملت للكشف على جسم الهر شوايزر واعيدت إلى هذا الأخير ملابسه لكى يرتديها انفجر قائلا لرجال مكتب التفتيش ومتوعدا إياهم فى لهجة حارة .

« منذ ٣٠ سنة وأنا اعبر الحدود بين المانيا وسويسرا . فما فرضت على هذه التجارب المهينة إلا اليوم فقط ! ثقوا أنى لن اسكت على مافعلتموه بى وسوف ترون ما يحل بكم عندما أقدم احتجاجى لدولتى ! !

فاجابه رئيس مكتب التفتيش بقوله :

لحظة واحده ياسيدى وسينتهى كل شيء فلم يبق سوى فحص المجلة التى معك .

وبعد الكشف على تلك المجلة بالمواد المظهرة واجهزة الأشعة استصحب رئيس المكتب الهر شوايزر حتى أوصله إلى مقعده بديوان المسافرين ولم يكف عن الاعتذار عما اقتضاه منه اداء واجبه من المضايقات .

وحينئذ تحرك القطار واخذ الهر شوايزر بدوره يعتذر لرفيقة سفره عما فرط بغير قصد منه قائلا لها :

لقد ارتكبوا خطأ سخيفا إذ اعتقدوا انى جاسوس وقد انتهى الأمر على عكس ما ظنوه . إلا انى أبدى لك شديد أسفى لأنهم شوهوا مجلتك وأشار الهر «شوايزر» إلى البقع التى تخلفت على صفحات المجلة الخاصة بالآنسة تحت تأثير المواد الكيمياوية وأضاف قائلا .

لقد استعملوا مواد لاستظهار الأحبار السرية فتركت الآثار التى ترينها على صفحات المجلة . إنى آسف لذلك كل الأسف يا آنستى .

— الأمر جد بسيط ياسيدى ولا يدعو للاسف فقد أتممت قراءة المجلة وهاك جريدتك « فرنكفورت تسايتونج » أعيدها إليك بالتالى .

شكرا يا آنستى !! فهذه الجريدة بها اعلان يهمنى .

واسترد الهرشوايزر جريدته ودسها فى جيبه . وبعدساعات قليلة كان عاكفا مع صديق بريطانى من أصدقائه على استظهار الرسائل السرية المسطرة على هوامش الجريدة فقد كان من أهم الجواسيس الذى يعملون لصالح الانجليز فى تلك الحرب وكانت الجريدة تحوى كل الاخبار والمعلومات الهامة .

* * *

« جاسوس دون أن يدرى » :

وإليك قصة أخرى من أغرب قصص الجاسوسية كان بطلها شاب بلجيكى أبله قام بأعمال التجسس وحمل الرسائل السرية دون أن يعرف بأمرها .

فى خلال الحرب العظمى الأخيرة كونت السيده « لويز دى بتيني » التى

كانت ناظرة لمدرسة « ليل » خلية للتجسس لحساب بريطانيا ودفعتها غيرتها الوطنية أن ترصـــد تحركات الفرق الألمانية وأن تتسقط الأخبار الهامة عنها .

ولما كان استقاء الأخبار أصعب من توصيلها لأصدقاء المنظمة وكانت هولاندة إذ ذاك دولة محايدة فقد حاول رجال المخابرات الانجليزية بكافة الطرق التسرب عبر الحدود التى كانت موصدة بالأسلاك الشائكة وبسياج من الحواجز الكهربية تتخللها الأنوار الكاشفة والمدافع سريعة الطلقات على المواقع البلچيكية المتاخمة لهولاندة .

وكانت تقيم ببلدة « تورن هو » ببلچيكا الشمالية سيدة تعمل فى المخابرات وكانت تقوم فعلا بعمل جدّ خطير وهو تدبير أمر تسلل رجال المخابرات الانجليزية وإرسال ما يصلها من أنباء عبر حدود هولاندة . وقد قامت هذه السيدة بأعمال على جانب من الخيال سنسرد أطرفها .

كان يقوم بفلاحة حديقتها بستانى اسمه « ارستيد » وهو موضوع قصتنا وكان شابا أبله قاصر الإدراك ولكنه قوى الجسم ولا يعدو نصيبه من الذكاء مستوى طفل فى السادسة من عمره . ولاحظت سيدته أن الجنود كانوا يجدون فيه ملهاة وأضحوكة لهم فرأت هى أن تستفيد من هذه الفرصة التى سنحت ومن علاقته بهم وغفلته ولما كانت قرية بارك لى البلچيكية تقع على حدود هولاندة فقد وقع اختيار رجال المخابرات الفرنسيين والانجليز عليها لتكون لهم مقراً سيما وأن الجنود الألمان لم يكونوا ليستطيعوا دخولها حتى لا يخرقوا حيادها وهكذا أصبحت القرية مركز التجمع لرجال المخابرات .

وفى إحدى المرات وكانت الحراسة مشددة على مضارب القرية أقدم أحد رجال المخابرات على التخفى داخل احمال التبن وكان يقود العربة ارستيد الذى كان محل تندر رجال الحراسة وأمكن مرور الجاسوس الانجليزى إلى الجهة المقابلة دون أن يشعر به أحد .

وظل أرستيد هكذا يلبى نداء سيدته ويخدم المخابرات على غير علم منه وفى يوم من الأيام لبس أرستيد "حلة" جديدة أعطتها له سيدته وذهب بها لزيارة خالته فى بلدة مجاورة وبينما كان هو مزهوا بحلته إذ تفكه معه كالعادة أحد رجال الحرس الألمان بأنه يلزمه تصريح للمرور لهذه السترة الجديدة وكتب له بعض كلمات علقها بمشبك على ظهره وهى :

« سعر البيع للجمهور ٥ فرنكات »

وسار البستانى الساذج وهو لا يدرى من أمره شيئا والجنود يغرقون فى الضحك وما أن وصل إلى بلدة « بارلى روك » حتى أمسكت خالته بالحلة وكانت هى من أعضاء المقاومة السرية أيضا واستخرجت من بطانة السترة أوراقا كانت عليها كتابة تبين مواقع المدافع الألمانية المسلطة فى هذه الجهة. ومن قصص ارستيد أنه كان له كلب اسمه «توتو» لاينتمى إلى فصيلة معروفة بصلة . ولم تمر أسنان المشط قط فى شعره حتى أصبحت جدائله ملتوية كثه ورأت سيدته أنها تصلح لإخفاء وسائل التخابر فبدأت تستعملها فعلا فى إخفاء الرسائل السرية المكتوبة على ورق السجاير داخل كريات صغيرة وكانت

الـكلب يغدُو ويروح مبتهجا عندما يصطحبه أرستيد عبر الحدود بل كان في غالب الأحيان يؤدى بعض الألعاب أمام الجنود الألمان مما يزيل عبوسهم ولـكنهم كانوا فى غفلة عما ينقله .

وكانت السيدة تشجع أرستيد على زيارة خالته أسبوعيا حتى لا يشك فيه وفى كل مرة كانت تحمل الأخبـار بطريقة ما معه إذ أنه كان فعلا قد كسب صداقة رجال الحرس الألمانى . وفى مرة زار أحـــد الضباط الألمان نقطة الحراسة وكان شديداً وفتش أرستيد فيمن فتشوا ولم يجدوا معه شيئا بطبيعة الحال وأراد أحد الجنود أن يمزح معه كعادته فرسم على صدره نسراً يرمز إلى ألمانيا الهتلرية كان موضع زهو أرستيد وانتهزت سيدته هذه الفرصة التى أوجدتها الظروف بين يديها ورسمت بعض المواقع داخـل النسر بحبر مشابه ومر أرستيد أمام الجنود وهو يباهى بما رسمه له الجندى الألمـانى من قبل وغاب عنهم ما رسم من رسوم للحصون داخل النسر وما أعيد تلوينه لإخفاء الرسالات المـكتوبة وظل الحال كذلك ردحا من الزمن .

ولم يقتصر الأمر مع أرستيد وتوطيد علاقته مع الألمان من رجال الحدود على ذلك بل انتهزت سيدته ومخدومته التى كانت على جانب كبير من البراعة وسعة الحيلة والتى حرصت على تغيير أساليبها فى توصيـل الرسائل إلى الجانب الآخر للمخابرات المضادة . ففى الربيع كعادتها إستدرجته بسذاجته المعهودة على محاكاة الأطفال فى القرية فى اللعب بالطائرات الورقية وكانت هى تساعده فى إعدادها ولـكنها كانت تحرص على تزويد الطائرات بذيل ثقيـل نوعا ما وكان ينتزع الهواء بالقرب من الحدود ذيل الطائرة ويقذف به خلف السياج

المكهرب حيث كان يتلقفه رجال المخابرات الإنجليز ويلتقطون الرسائل السريه المثبتة فيه ويعلمون بأمور خفيت عليهم عن أحوال الالمان .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل استعملت السيدة القديرة أيضاً الموتى فى توصيل الرسائل السرية فكلما عاجلت المنية أحد أهالى « بازى روك » عمدت مع قسيس القرية وكان من الناهضين للألمان على تدبير دفنه فى بلدة على الحدود وانتهزت هى الفرصة لدس رسالة أو أخرى فى تابوت المتوفى وقد نجحت هذه الطريقة مراراً إلا أنه ككل شىء خفى لابد من ظهوره آجلا أو عاجلا فقد شك قلم الجاسوسية الألمانية من دقة تسرب الأخبار عبر الحدود واستوقف جند الحراسة المشددة تابوت متوفى حديث وأسفر تفتيشهم الدقيق على العثور على رسالة مغلفة داخل كيس رقيق من المشمع كانت موضوعة فى فم الميت . وكان هذا آخر العهد بحيل أرستيد وسيدته .

* * *

ومما ذكرته أيضاً كتب الجاسوسية مما يستحق التنويه تلك الحادثة الهامة التى أصابت قلم المخابرات الألمانى فى صميم كبريائه عقب إحتلاله لبلجيكا فى الحرب العظمى الأخيرة .

فقد افتتح هذا القلم ككل فروع المخابرات فى مدينة أنتيورب مدرسة هامة لتدريب الجواسيس والعملاء كما هو الحال فيما فعلته إنجلترا بلبنان كما حدثتنا عنه الصحف أخيراً ووافتنا به الأنباء . وكانت مهمة هذه المدرسة إعداد الجواسيس ولكنه كان مما أثار دهشة هؤلاء الألمان أيضاً أنه كلما أرسل جاسوس قد أتم تدريبه إلى جهة ما قريبة قبض عليه أو كشف أمره وخفى الأمر عليهم جميعاً حتى أخيرا بعد الحرب انكشفت الحيلة وظهر الخبء فيها

إذ أنه كان قد أعد بالقرب من هذه المدرسة جاسوس مضاد نحيل الجسم كان يلبس ساعة يد بها آلة تصوير دقيقة تمكن بها من تصوير كل طلبة هـــذه المدرسة ومن يترددون عليها عند دخولهم أو إنصرافهم ولم يكن يشك فى أمره لأنه كان يلعب لصغر حجمه مع الأطفال ألعابهم فى هذه المنطقة مما أتاح لرجال المخابرات من الأنجليز أو الفرنسيين التعرف على الجواسيس الألمان قبل أن يبدأوا العمل وأن يكشفوا أمرهم ويضبطوهم .

* * *

الثعلب العجوز .

أو « الأب بونتيفى »

وقبل أن أنهى تلخيص هذه القصص التى أردت بها أن تكون ترويحا وثقافة معا احدثك حديث الثعلب العجوز . أو قصة قطار نصف الليل على الحدود بين فرنسا وسويسرا الألمانية .

كان الأب بونتيفى وهو ضابط قديم من مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسية اشتهر عنه هذا الإسم لحدبه وعطفه على مساعديه ومرؤوسيه ولسابق خدمته الطويلة فى مكتب الأمن ومهارته الخارقه فى الكشف عن أعمال التجسس حتى أن مكتب المخابرات الفرنسى الشهير باسم « المكتب الثانى » كان يستعين به كثيرا حتى بعد أن أحيل للمعاش فى الكشف عن بعض الأمور وكم أفادت خبرته رجال المكتب الثانى فى التعرف على الجواسيس وكشف أمرهم وايضاح ما غمض من أعمالهم .

وبالرغم من تقدم الأب بونتيفى فى السن فقد كان يتمتع بسرعة فى الإدراك وقوة البصيرة ونفاذها مما جعلته يعتمد كثيرا فى أغلب القضايا التى عالجها على وجدانه واحساسه وسرعة بديهته أكثر مما يعتمد على البيانات التى تلقى إليه أو التى يجمعها أو يستقيها له رجال المخابرات .

وقد حدث فى ابان الحرب العالمية الأخيرة أن استعان به المكتب الثانى فى أمر هام هو مراقبة أحد الجواسيس المدعو « بايار » الألمانى النشأة الذى قبل بأنه يعمل فى الوقت نفسه لحساب قلم المخابرات الألمانى والذى تبين أنه تمكن من الاستيلاء على بعض الخرائط الهامة التى توضح التحصينات البحرية التى كانت اقيمت أخيرا فى ميناء « برست » وأن هذا الجاسوس « بايار » قد قتل أثناء مطاردته رميا بالرصاص على رصيف محطة جاردى ليون بباريس أثناء محاولته الهرب ومع ذلك لم يعثر معه « على الخرائط »

استدعى الأب « بونتيفى » على عجل وافهم حقيقة الأمر ووجم هو لمقتل الجاسوس ولأهمية الخرائط التى كانت معه فانتهر الذين طاردوه وبدأ تحقيقه معهم وعلم منهم أنه حدث أثناء المطاردة أن اطلقوا عليه الرصاص ولكنه انحنى فجأة فأصابت منه مقتلا ولما وصلوا إليه كان قد فارق الحياة ولم يجدوا معه شيئا . وانهم فتشوا حجرته التى كان يقيم بها فى الفندق فلم يجدوا بها ولا بحقائبه شيئا — وتبين للأب بونتيفى من مجموع التحقيق أن حجرته بالفندق كان بموقدها آثار رماد محترق وأنه كانت معه قبل مغادرته الفندق سيدة قضت معه بعض الوقت ثم انصرفت وتركته ولم يستطع أحد أن يدلى بأوصافها تماما مما يسمح بالارشاد عنها .

وقالوا أنه لما بلغ المحطة لم يتصل بأحد ما ودخل مقصورته التى حجزت له بالدرجة

الثانية وكان بها رجل وثلاث سيدات فقط وأنه خرج بعدها لقضاء أمر له فتتبعه رجل المخابرات ولما هم بالهرب بعد أن عرف بتعقبه وبكشف أمره حاول التخلص منهم ولكن رجل المخابرات الذى لم يكن حصيفا أرداه قتيلا بالرصاص .

وهكذا سار التحقيق فى سرية وسرعه . واستخلص الأب بونتيفى من ذلك كله أن الخرائط لابد قد سلمت لشخص آخر كان يعمل معه. لأن « بايار » كان تحت الرقابة الشديدة منذ ترك حجرته فى الفندق حتى بلغ محطة « جار دى ليون » فلم يعثر على الخرائط معه ولا كانت بحجرته بل لم يوجد أى أثر لها ولا لاحتراقها ولا حتى بعد تفتيش جثته ولا حقائبه وإذن فلابد أن تكون الخرائط ما تزال مع زميله الذى لا بد أن يكون بالقطار نفسه والذى لا بد من أنه تسلمها منه عندما دخل مقصورته .

وكان فى وسع الأب « بونتيفى » أن يلقى القبض على جميع المسافرين بالقطار وسيما الموجودين بهذه المقصوره وهم اربع بل كان من الميسور له تفتيشهم ولكنه لم يكن لديه أى دليل أو شبهة قبل أحدهم ولم يكن يعرف من أمرهم جميعا شيئا ما وربما لم يكونوا على أية علاقة بالجاسوس . وكانت العلاقات إذ ذاك سيئة مع المانيا وأى سوء تصرف كان يسىء إليها وهذا هو أهم ما يهتم به الجاسوس المضاد وهو عدم اتخاذ أى اجراء يسىء إلى العلاقات الدولية مع المحافظة على حسن المظهر وتوقى الحيطة والحذر حتى لا تزداد الأمور سوءاً . فاستقر رأى « بونتيفى » على موالاة الأمر وكشفه بنفسه والسفر فى نفس القطار . . كل ذلك بالطبيعة كان يجرى بصفة سرية وعاجله كما هو الشأن دائما فى أعمال المخابرات سيما والقطار ينتظر مدة بمحطة ليون قبل رحيله .

أمر بونتيفى مساعديه برادل وكوزنى ولنسمهما كذلك الآن ووجه الكلام لهما .

فقال لهما حسنا سأفر توا فى نفس القطار بالمقصوره عينها ثم قال أذهب يا برادل واثتنى بتذكرة سفر إلى « فالورب » على الحدود أما أنت يا كوزنى! فدبر ما يلزم مع رجال السكه الحديديه لكى يقوم كوزنى نفسه بوظيفة مفتش للتذاكر بالقطار حتى يتمكنوا من معرفة حقيقة المسافرين الأربعة دون الفات نظرهم لشىء إذ بهذا يتم فحص جوازات سفرهم وتذاكرهم ومعرفة كل ما يريدون عنهم .

وتم كل شىء وفقا للخطه التى وضعها « بونتيفى » . وما أن أستقر به المقام فى المقصوره التى تضم المسافرين الأربعة حتى أخذ يفحص كلا منهم بعين المحقق القدير عن كثب

فكان إلى يمينه سيدة شابه متجهمة الوجه ينم حديثها وشكلها أنها إنجليزيه وعن يساره أخرى تتكلم الفرنسية بلهجة أجنبيه ويبدو على محياها إستعداد للمبادأه بالشر . وفى الزاوية اليسرى من المقصوره القابلة له جلست شابة فى مقتبل العمر ويدها مطبقة على يد كهل فى سن أبيها وقد التصقت به وإنما يفتر فمها عن إبتسامه ونظرة والهه حتى ظن بونتيفى أنها سكرتيرة للكهل فى رحلة قصيره لهما سويا بعيدين عن الرقباء .

وهكذا رأى بونتيفى تنافراً فى طباع الراكبين معه مما دعا إلى بلبلة فكره وعدم التأكد من مصير الخرائط المسروقه التى كان يتلهف على انتظارها قلم المخابرات الألمانى فى الجانب الآخر من سويسرا .

وبدأ القطار ينهب طريقه وسط السهول والمروج ليلا ولم يبق له إلا بضع ساعات ليصل إلى الحدود السويسريه وكان على « بونتيفى » أن يضع خطة سريعة للعمل ليكشف عن زميل الجاسوس القتيل إن كان بالقطار ورأى

أن خير طريق هو أن يقلق راحة زملائه هؤلاء فى السفر حتى يُبَرِّحَ بهم،
التعب والإرهاق دون نوم إلى الإفضاء بشىء أو إلى حالة من التوتر العصبي قد
تبين عن شىء .

فتصنع النوم وأخذ يغط غطيطا مقلقا مزعجا أثار جميع رفاقه فى المقصوره
وكلما أيقظوه ونبهوه بالغ فى الإعتذار وأتى مساعده وهو على هيئة مفتش التذاكر
وكان يوقظ الزملاء عملا بتعليمات بونتيفى حتى لا يترك لهم فرصة للراحة. وحتى
إذا كان الصباح التالى ولم يذق النوم أجفان المسافرين . وحل التعب بهم زالت
السكنة الفرنسيه للسيدة التى اصطنعتها وأما الإنجليزية فظلت رابطة الجأش
والأخرى قد فتر عنها جو الحب الذى كانت فيه عندئذ بالأمس . رأى بونتيفى
أن يعمل عملا جدياً قد يفصح عن شىء فخرج من المقصورة ثم عاد إليها بعد
قليل وهو يصيح ويحتج بأنهم اعتزموا تفتيش جميع الركاب ـ وكان ذلك
بطبيعة الحال طبقا لأوامره . حتى يعرف مدى تأثير ذلك عليهم قبل بلوغ
الحدود السويسريه ـ والاطمئنان لأمرهم .

وتلقى الجميع النبأ بالضيق والتبرم بعد تلك الليله التى قضوها بغير نوم وكانت
أشدهم فزعا الشابة هى وزميلها الكهل إذ تساءلت ماذا يعنى هذا التفتيش
بالنسبة لهما ؟

وأراد « بونتيفى » أن يعرف أثر ذلك عليهم فقال لهم أن المفتش أخبره
أن البوليس يجد فى أثر البحث عن شخص مسافر فى هذا القطار ومطلوب
القبض عليه لأمر هام .

وإذ ذاك سألت السيده الإنجليزيه ومن يكن هذا الرجل الذى يبحث عنه البوليس .

وكان هذا السؤال هو الذى وجه نظر بونتيفى ولمله بأن الجاسوس القتيل كانت معه امرأه فقال أنه لا يبحث عن رجل يا سيدتى بل عن سيدة مشتبه فيها

وإذ ذاك بدرت من الشابة صيحة لم تقو على كتمانها ونظرت إلى وجه رفيقها الكهل نظرة القلق .

أما السيدة الإنجليزيه فتوعدت بإبلاغ الأمر إلى قنصلها بسويسرا لكن السيدة الأجنبيه ذات اللكنة الفرنسيه فقد تناولت حقيبتها بعد أن ترددت طويلا وتناولت ربطة صغيره كانت معها ثم دخلت دورة المياه وكانت الربطة ذات لون أزرق ولاحظ بونتيفى على غلافها اسم محل من المحلات ولكنها لما عادت من دورة المياه كانت الربطة غير مغلفة بشىء وأنما زادت حجما عن ذى قبل .

وهكذا بدأ الشك يتسرب إلى ذهن الأب بونتيفى بالنسبة لها فلما وصلوا لنقطة الحدود السويسريه الفرنسيه طلب من جميع الركاب التوجه إلى مكان التفتيش الجمركى وكان الأب « بونتيفى » قد احتاط للأمر قبل عبور الحدود ونبه على إحدى السيدات من رجال الجمارك المختصة بالتفتيش بأن تهتم بأمر الثلاث السيدات اللائى كن معه فى نفس المقصوره — وأمر بالإهتمام خاصة

بالربطة التي تحملها السيده الأجنبيه ذات اللكنة الفرنسية والمغلفة باللون الأزرق .

وبعد قليل عاد إليه مساعده وأخبره أنه لم يعثر على شيء يشتبه فيه وأنهم وجدوا أن الربطة الزرقاء تحتوى بداخلها على جونيلة (لباسا داخليا) للسيدة

وأهدت بونتيفى قريحته إلى أن يسأل . وأليست الجونيلة مستعملة أم هل هي جديدة فقال له مساعده أنهـا مستعملة فعلا . وإذ ذاك أفصح بونتيفى لمساعده عن شكوكه بالنسبة لهذه السيدة أولا في لكنتها الفرنسية وثانياً في ترددها قبل التفتيش وذهابها وتغير شيء مما تلبسه بمـا كان في الربطة التي ألقت غلافها بما يدل على أنها كانت تحوى « جونيلة » أخرى .

وأحضر بونتيفى المفتشة وسألهـا عن الجونيلة فوصفتها له بأنها جونيلة طويلة مما يلبسه السيدات ولكنها مطرزة باليد في آخرها برسوم متشابهة — وأنه مما استرعى إنتباه المفتش أن قماش هذه الجونيلة ليس متينا بالدرجة التي تحتمل معها الغسيل مرات مع الإهتمام بهذا التطريز اليدوى الجميل عليها .

وإذ ذاك تحول شك (بونتيفى) إلى يقين وأمر بإحضار هـذه السيدة إليه . وما أن مثلت أمامه حتى بدت شاحبة الوجه فجابهها بأن تريه جونيلتها التي تلبسها ! !

فاسقط في يدها وعرفت أن أمرها قد كشف وأصبحت لاتعى شيئا وبدأت تتنكر صلتها بالجاسوس القتيل . وإذ ذاك أمر بونتيفى مفتشة المخابرات بأن

تخلع عنها جونيلتها الجديده وتلبسها القديمة وأمر بضبطها وواصل القطار سيره إلى سويسرا دونها .

وعندما أحضرت إليه (الجونيلة) الجديدة بسطها على المنضدة التى أمامه وأخذ يتأمل التطريز على مدار الجونيلة الأسفل وإذا هو عبارة عن رسم أوراق للشجر كبيرة الحجم نوعا تتخللها زهور متعددة الأشكال صغيرة ولما أمسك بونتيفى بقلم ومسطرة وخط خطوطاً بين أطراف ورق الشجر والزهور تبين أن هذه الخطوط تحوى خريطة تفصيلية تمثل بدقة التحصينات البحرية الحديثة التى أجريت أخيراً بميناء (بريست) الفرنسية وأنواع ومواقع المدافع الساحلية وغيرها مما كان يهتم العدو بمعرفته ليحدد موضع هجومه .

وهكذا يبين مما تقدم جميعه كيف تتم وسائل التجسس وكيف تخفى حتى تكون الأدلة عادة ضد الجواسيس أن هى إلا قرائن وأعمال فكر واجتهاد .

* * *

غزو كوبا الأخير :

أن المخابرات اليوم تشغل عالما كبيرا فى الدول وتتدخل فى مستقبل العلاقات بينها وفى الحصول على المعلومات الحيوية والاستراتيجية وخطؤها قد يأتى بالفشل الكبير ، وقد سمعنا هذه الأيام وقرأنا فى الصحف ما تردد من أن غزو كوبا تم بناء على تقارير من المخابرات التى يرأسها « دلاس » فى أمريكا وكانت هذه التقارير خاطئة فى تعرف حقيقة كوبا حتى أن رئيس الولايات المتحدة « جاك كنيدى » قد طلب اجراء تحقيق فى أمر هذه

فالمعلومات الغير الصحيحة والتي أدت إلى فشل الغزو كما يقول . مع أن ماينفق عليهم سنويا حوالى ألف مليون دولار . إلا أن هذا لم يكن أول فشل لأمريكا ومخابراتها فقد فشلت من قبل فى التعرف على حقيقة الأنباء عن سقوط حكومة تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٨ واعتبرت أنها مجرد تغيير وليس استيلاء تاما من الشيوعيين على السلطة المطلقة هناك مما غير الكثير من نظريات الغرب .

كما فشلت كذلك فى تقدير ثورة الرئيس تيتو بل لم يكن لديها أى إنذار بتوقع إحداث فى يوغوسلافيا ولم تكن لديها معلومات عن الحقائق الجوهرية هناك وبذا لم تستطع التدخل فى الفلك الشيوعى إلا بالقدر الذى يعرفه الناس من المساعدات المالية .

نظرة أخيرة

تلك هى قصص التجسس الأخيرة فى الجمهورية العربية المتحدة اردنا أن نذكر طرفا منها وملخصاتها ليتعرف عليها الناس فتكون عبرة وعظة إذ من حق الشعب والرأى العام علينا أن يعلم بها لتكون له حفاظاً فى المستقبل وأمنا .

وفى التاريخ القديم والحديث لم تخل الحروب وما بعدها من محاكمات عالمية كما تقدم ذكره . ولا يزال بل وستستمر هذه الأحداث ما دام هناك صراع عالمى والحقيقة أن قصة الجاسوسية والعمل لمكافحتها قصة طويلة احوج ما تكون إلى كتب بل مجلدات لأنها فى الواقع هى التاريخ السرى للفترات التى تسبق الحروب والتى تلحق بها وقد عرفنا اليوم إمكان اثارة الحرب دون ارسال جيوش للميدان تلك الحرب التى يديرها السياسيون وإخصائيوا الدعاية

وأقلام المخابرات وهى التى تسمى بالحرب الباردة والتى يستخدم فيها العلم والعقل باوسع معانيها والله وحده هو القادر على حماية الإنسان من نفسه ومن أخيه الإنسان .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

صدق الله العظيم

* * *

ولا أريد أن أختم كتابى هذا قبل أن أشير إلى حملة من حملات التجنى تشنها بعض الأجهزه أخيراً ضد الجمهوريه العربيه المتحدة وفى خلدى أن مثل هذه الحمله لن تخدم قضية الحريه فى العالم مطلقا بل هى ستفتح الطريق أمام الإستعمار والجاسوسية وعملائها للدس والوقيعه بلا مبرر . وأنى أعتقد أن القوميه العربيه وقد عرفت دائما كيف تفرق بين حقها فى إتخاذ الموقف الذى تمليه عليها مصالحها القوميه ستتبع نفس الطريق القويم من الشيوعيه المحلية ومن إستمرار صداقة الشعب العربى بشعوب الاتحاد السوفيتى وتدعيم علاقات التعاون المتكافىء الذى أساسه الاحترام المتبادل والتبادل الشريف غير المشروط دون التحول عن خطتنا ومبادئنا من الاشتراكيه الديموقراطيه التعاونية. وذلك لأن مبادئنا كما نادى بها رئيسنا لا تحتمل غموضاً ولا إبهاما ففى كل خطوه خطوناها وفى كل إتفاق عقدناه قلنا أننا نؤمن بالتعايش السلمى ومعنى هـذا أن أنظمة الحكم لدينا مهما اختلفت مع غيرها لا تعد عقبة فى طريق التعاون والعمل المشترك لتحسين مستوى الشعوب وإقرار دعائم السلام فى العالم لمصلحة الملايين من البشر من كل الأديان والألوان .

وعلى هذا سنمضى فى طريقنا الذى رسمناه لأنفسنا لنبنى حاضرنا ومستقبلنا على النحو الذى أردناه دون ضغط أو اكراه من أى معسكر . فلا نقبل أى شىء يعوق حريتنا ولاتقدمنا أو يمس استقلالنا وسياستنا أو كما يقول الرئيس عبد الناصر فى كلمته الأخيرة قبيل صدور هذا الكتاب :

« تطلعا إلى عالم يسوده سلام قائم على العدل يصنعه التكافؤ الحر بين الشعوب »

إننى لا أشك أننا نقف فى مفترق الطرق فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل تطورنا بل أن العالم كله يواجه نفس الموقف على أن أملنا كبير فى مجموعة الدول الغير المنحازة الإفريقية الآسيوية والتى تمثل أغلبية كبيرة من سكان العالم والتى ستعمل على تحقيق السلام الذى هو هدف الجنس البشرى والذى هو الإطار الوحيد لصورة حياتنا المشرقة الغنية بدماء الحياة الحرة والتى تعمل فى سبيل رفع مستوى المعيشة مما يحقق مصالحنا وأهدافنا فى ظل عيشة آمنة مطمئنة وهى الأمل الوحيد لنا فى ظلال العصر الذرى الحالى .

* * *

وكما بدأت هذا الكتاب باسم الله أنهيه بحمد الله . وهو نعم المولى ونعم النصير

المؤلف


البحر الأسود
تركيه
اسبانيا
فرنسا
المانيا
بلجيكا
يوغوسلافيا
ايطاليا
البحر المتوسط
البحر الأبيض
ليبيا
العربية المتحدة
الجمهورية العربية المتحدة
وعالم التجسس

الثمن ١٨ م